الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

٤٦٢
ص ١٠
٦١٣

تجربة السجن في الشعر الأندلسي

رشأ عبد الله الخطيب

عميد كلية الدراسات العليا

إشراف

الدكتور هاني العمد

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها
بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية

تموز ١٩٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٩٩٦/٧/٢٩ وأجيزت .
توقيع أعضاء لجنة المناقشة

أعضاء اللجنة		التوقيع
د. هاني العمد	رئيساً	
أ.د. صلاح جرار	عضواً	
د. محمد علي أبو حمدة	عضواً	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى أمي الحبيبة التي ما فتئت تحترق لتنير دروبنا..

إلى والدي الحبيب الذي أعاننا لنصل إلى هذا المستقبل..

إلى زوجي الحبيب لما قدمه من جهد ورعاية في سبيل هذا العمل..

إلى كل من ساهم في إعداد هذا البحث أو إتاحة الظروف المناسبة لإعداده.

وإلى عشاق الأندلس ومنارة حضارتنا فيها

أهدي هذه الثمرة المتواضعة التي تؤتي أكُلها في شجرة تراثنا وأدبنا العربي العظيم.

رشا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشكر

أقدم شكري وتقديري إلى أستاذي الفاضل د.هاني العمد، لتوجيهاته ذات القيمة وإرشاداته الجليلة لي في أثناء عملي على إعداد هذا البحث، كما أشكر له حسن تعاونه وسعة صدره.

وأقدم شكري وتقديري إلى أستاذي الفاضل أ.د. صلاح جرار، الذي فتح قلبي على عشق الأندلس في سنواتي الجامعية الأولى، وأعانني على خلْق هذا العمل وإنجازه على الوجه المطلوب.

وأقدم شكري وتقديري لأستاذي الفاضل د. محمد علي أبو حمدة الذي أخذ بيدي في سنتي الجامعية الأولى، وكان له الفضل الكبير في توجهي لدراسة الأدب العربي في جامعتنا العزيزة.

كما أتقدم بخالص تقديري وجزيل شكري إلى أستاذنا الكبير د. إحسان عباس؛ للمجهود الجبار الذي قدَّمه في إنارة الطريق إلى الأندلس أمام الدارسين، بإشرافه على تحقيق كثير من المصادر، ودراساته الفنية وتعليقاته حول تراثنا الأدبي في الأندلس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

قرار لجنة المناقشة ..... ب

الإهداء ..... ج

الشكر ..... د

المحتويات ..... هـ

فهرس الملاحق ..... ز

الملخص ..... ح

المقدمة ١

الفصل الأول: السجون في الأندلس ..... ٣ – ٣٤

المبحث الأول: لمحة عامة: ..... ٤ –١٣

المطلب الأول: نظام السجن ٤

المطلب الثاني: الإشراف على السجن ٥

المطلب الثالث: سجون الأندلس ٧

المطلب الرابع: موقع السجن ٨

المطلب الخامس: هيئة المسجون ١٠

المطلب السادس: امتيازات بعض السجناء ١١

المبحث الثاني: أسباب السجن ١٤– ٢٥

المبحث الثالث: طبقات السجناء ٢٦– ٢٩

المبحث الرابع: أكثر العصور والحكّام سجناً ..... ٣٠ – ٣٤

الفصل الثاني: موضوعات أشعار السجناء ..... ٣٥ – ٨٨

المبحث الأول: الاستعطاف والعتاب ..... ٣٧ – ٤٧

المبحث الثاني: وصف المأساة ..... ٤٨ – ٥٦

المبحث الثالث: وصف مكان السجن ..... ٥٧ – ٦٠

المبحث الرابع: الحديث عن الذكريات: ..... ٦١ – ٦٨

المطلب الأول: المقارنة بين الماضي والحاضر ٦١

المطلب الثاني: الحنين للأهل والأحبّة ٦٤

المبحث الخامس: الحديث عن السجناء ..... ٦٩ – ٧٠

المبحث السادس: وصف القيد ..... ٧١ – ٧٣

المبحث السابع: تحذير الشامتين وإنذارهم ..... ٧٤ – ٧٨

المبحث الثامن: الأمل واليأس ..... ٧٩ – ٨٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث التاسع: الحكمة (خلاصة التجربة)..... ٨٥ – ٨٨
الفصل الثالث: أساليب الشعراء في وصف تجربة السجن..... ٨٩ – ١٢٧
المبحث الأول: بناء القصيدة (الشكل والمضمون):..... ٩١
المطلب الأول: مقدمات القصائد ٩١
المطلب الثاني: تعدد الأغراض في القصيدة الواحدة ٩٥
المطلب الثالث: المحسنات اللفظية والمعنوية ٩٨
المطلب الرابع : استلهام التراث ١٠٤
المبحث الثاني: الصدق والطبع ومجانبة التكلُّف..... ١٠٧ – ١٠٩
المبحث الثالث: العاطفة..... ١١٠ – ١١٤
المبحث الرابع: الخيال والصور..... ١١٥ – ١٢٢
المبحث الخامس: الرمز ..... ١٢٣ – ١٢٧
الخاتمة..... ١٢٨
قائمة المصادر والمراجع..... ١٣٠ – ١٣٧
الملاحق..... ١٣٨ – ٢٢٢
الفهارس: ..... ٢٢٣ – ٢٢٦
١- فهرس الأعلام (من غير الشعراء السجناء)..... ٢٢٤
٢- فهرس الأماكن والمدن..... ٢٢٦
الملخص باللغة الإنجليزية..... ٢٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الملاحق

الرقم	الموضوع	الصفحة
١-	بعض الشعراء الأندلسيين الذين تعرضوا للسجن.....	١٣٩
٢-	بعض ما وصل الينا من أشعار السجن.....	١٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

تجربة السجن في الشعر الأندلسي

إعداد

رشأ الخطيب

إشراف

د.هاني العمد

هذه الرسالة تبحث في موضوع تجربة السجن في الشعر الأندلسي، وهو من الموضوعات المهمة في الأدب الأندلسي؛ لأن تجربة السجن التي مرّ بها شعراء أندلسيون كثيرون - أغنت التراث الشعري بمجموعة غير قليلة، من القصائد والمقطوعات الشعرية المنتشرة في دواوين الشعر الأندلسي، والمبثوثة في ثنايا كتب التراث الأدبي.

كما أن تجربة السجن تجربة مثيرة ومؤثرة في نفس الشاعر المرهف الحس، الذي تهزّه مواقف الحياة وتجاربها المختلفة .

لذلك حاولت الباحثة في هذه الدراسة رصد صدى تجربة السجن لدى الشعراء الأندلسيين الذين تعرضوا لها، وكان لأشعارهم التي قالوها في السجن دور في الكشف عن بعض جوانب موضوع السجن بشكل عام، وتأثيره الكبير في علاقاتهم بالناس والطبيعة والكون .

وبناء على ذلك فقد قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول، كما يلي :

- **الفصل الأول: السجون في الأندلس:**

كان هذا الفصل مقدمة عامة عن ظروف السجون الأندلسية، وما يتعلق بها من حيث نظام السجن والإشراف عليه ومواقع السجون، حيث انتشرت السجون في الأندلس مع توطيد أركان الدولة الأموية فيها؛ ثم نُظِّمت السجون من حيث الإشراف عليها الذي تولته الشرطة، ممثلة بصاحب الشرطة والأعوان والحراس.

كما تناول هذا الفصل الحديث عن السجناء من حيث هيئتهم وطبقاتهم ، فقد كانت السجون متباينة؛ لتباين الطبقات النازلة فيها، منها ما توافر فيها بعض وسائل الراحة والخدمات، وكانت مثل هذه السجون مخصصة للذين ينتمون للطبقات الاجتماعية العليا، بينما كانت سجون العامة على حال سيئة من حيث الشروط الصحية الواجب توافرها ومعاملة السجناء وغيرها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتناول أيضاً الحديث عن الأسباب التي أدت إلى السجون، خاصة لدى الشعراء الأندلسيين الذين تعرضوا للسجن، وتفاوتت تلك الأسباب بين بعض الجرائم، والاتهام بالزندقة ، والأسباب والمؤامرات السياسية، أو بعض القضايا المالية، وتناول كذلك الحديث عن بيان أكثر العصور والحكام سجناً في الأندلس.

- **الفصل الثاني: موضوعات أشعار السجناء:**

جادت قرائح الشعراء السجناء بأشعار كثيرة، تلائم هول تجربة السجن التي مروا بها وعظم تأثيرها في نفوسهم.

وكانت هذه الأشعار جميعاً تدور حول موضوع كبير هو الحديث عن مأساة السجن التي أصابتهم بسهامها، لكن هذا الموضوع كان يتفرع إلى موضوعات صغرى، شكّلت المادة التي تضمنتها مباحث هذا الفصل.

والموضوعات التي طرقها الشعراء في أشعار السجن كانت: الاستعطاف والعتاب، ووصف المأساة، ووصف السجن والسجناء والقيود، والحديث عن ذكريات الماضي والشوق للأهل والأحبة والديار، وتحذير الشامتين وإنذارهم ، ومواقف الأمل واليأس التي تقلّبوا فيها، ثم أخيراً الحكمة وخلاصة هذه التجربة المرة.

- **الفصل الثالث : أساليب الشعراء في وصف تجربة السجن:**

دار الحديث في هذا الفصل على بناء القصيدة من حيث الشكل والمضمون، وكانت أشعار السجن موزعة بين قصائد طويلة ومقطوعات قصيرة، وقد قدّم بعض الشعراء في بعض القصائد بذكر المرأة والتغزل بها كما جرت التقاليد الأدبية، واستخدموا بعض المحسنات اللفظية والمعنوية ليساهموا في جلاء حقيقة مشاعرهم، واختاروا من الصور ما يلائم هذه النفس الحائرة.

كما تناول هذا الفصل استلهام التراث والصدق الفني وعدم التكلف في أشعار السجناء، والعاطفة الحزينة التي غلّفت هذا الشعر بشكل عام، والصور الفنية والخيال الأدبي، الذي سلك الشعراء في سبيله دروباً شتى، تلتقي جميعاً في خدمة المعنى وإيضاح مكنونات صدر الشاعر السجين.

أما المبحث الأخير في هذا الفصل فكان عن رمز الطير الذي شاع ذكره لدى بعض السجناء في أشعارهم، وتحليل الدلالات الرمزية التي تحملها ألفاظ الطيرفي سياق القصائد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

تناولت هذه الدراسة موضوع تجربة السجن في الشعر الأندلسي، وهو من الموضوعات المثيرة والمهمة في الأدب الأندلسي، لأن هذه التجربة عاشها غيرُ شاعر من شعراء الأندلس، كان من بينهم بعض فحول الشعراء الأندلس، وشغلت هذه التجربة من مجموع أشعارهم حيزاً لا بأس به .

ومن المعروف أن الشاعر بطبيعته مرهفُ الحس، سريع التأثر بأي تجربة قد تمر به، فكيف إذا كانت تلك التجربة هي تجربة السجن وسلب الحرية ؟! التي هي من أقسى التجارب التي تمر بالإنسان .

وقد حاولت الكشف عن بعض جوانب موضوع السجن بشكل عام، وصدى تجربته لدى الشعراء الأندلسيين الذين تعرضوا لها (بغض النظر عن أماكن سجنهم)، عن طريق أشعارهم التي قالوها في أثناء تلك المحنة، وأودعوها ما يعتمل في صدورهم من مشاعر وأحاسيس تجاهها، وتجاه الحياة وتقلبات الزمن . حملت اليأسَ والغضب، وحملت الاستسلامَ والخضوع، وحملت كثيراً من الاضطراب والتناقض والحيرة

وكنت قد وقفت في دواوين الشعر الأندلسي وكتب التراث الأدبي - على مجموعة غير قليلة من القصائد والمقطوعات الشعرية، التي تناول فيها شعراء السجون تلك التجربة القاسية، التي أثرت تأثيراً بيّناً في نفوسهم وكبريائهم، ووجدت أن تلك الأشعار تستحق الالتفات والبحث والدراسة، فكان لتلك الأشعار التي استقيتها من المصادر الأدبية المختلفة، دورٌ في وضع الخطوط العامة لهيكل هذه الدراسة في أولى مراحلها .

وقد أعانني في دراستي طائفة من مصادر كتب التراث الأندلسي، الأدبية والتاريخية، التي أضاءت لي الظلام المحيط بموضوع السجن وقضاياه، من مثل : إعتاب الكتّاب، والحلة السيراء لابن الأبار، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقّري ... وغيرها .

ومع ذلك ، فإن هذه المصادر ذات القيمة لم تكن تتعرض لموضوع السجن بطريقة صريحة، وتبويب واضح، بل تناثرت المعلومات المتعلقة بالسجون في ثناياها وبين السطور .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الدراسات التي كتبها باحثون معاصرون، نراهم وقفوا عند هذه التجربة لدى بعض شعراء الأندلس وقوفاً ليس بطويل، أما الذين تعرضوا للموضوع بشكل وثيق، فكانوا - على قلتهم - أصحاب آراء سديدة أفدت منها، وكان منهم :

علي لفزيوي في كتابه (أدب السياسة والحرب في الأندلس حتى نهاية ق٤هـ)

وأحمد مختار البرزة في كتابه (الأسر والسجن في شعر العرب)، وعبد العزيز الحلفي في كتابه (أدباء السجون).

ونظراً لأن الدراسة تناولت تجربة السجن في الشعر الأندلسي على امتداد عصور المسلمين في الأندلس، دون تحديد لمدة زمنية معينة، فقد كان من المناسب العمل وفق المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، حيث تم بحث الظاهرة ووصفها ضمن إطارها التاريخي ثم تحليلها.

وقد قسمت الدراسة إلى ثلاثة فصول، تناول كلٌّ منها جانباً معيناً على النحو التالي :

الفصل الأول : السجون في الأندلس .

الفصل الثاني : موضوعات أشعار السجناء .

الفصل الثالث : أساليب الشعراء في وصف تجربة السجن .

وضم كل فصل من الفصول السابقة مجموعة من المباحث ؛ تخدم موضوع الفصل وتساهم في تجلية جوانبه.

ونظراً لما في الملاحق من أهمية، فقد ألحقت الدراسة بملحقين، خُصص الأول منهما لبعض الشعراء السجناء، حيث ضم خلاصة حادثة سجن كلِّ شاعر، من حيث : زمنه ، ومكان سجنه ، وأسباب هذا السجن، وبعض المصادر التي ترجمت للشاعر.

أما الملحق الثاني فضمَّ بعض ما وصل إلينا من أشعار السجن، المنتزعة من دواوين بعض الشعراء الأندلسيين، أو من المصادر الأدبية والتاريخية المختلفة لبعض الشعراء الذين ليس لهم دواوين شعرية مجموعة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

السجون في الأندلس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول : لمحة عامة

نظام السجن

انتشرت السجون بأشكالها المختلفة، في دول العالم منذ قديم الزمان؛ لمعاقبة الخارجين عن نظام الجماعة التي ينتمون إليها والمعتدين على حقوق الآخرين.

وقد اتخذتها الدولة الإسلامية مثل غيرها نتيجة اتساع أطراف الدولة، وازدياد أعداد الرعية وتشابك العلاقات فيما بينهم، فجاءت الحاجة ملحة لإيجاد مكان خاص لتنفيذ العقوبات فيه على من تقع عليهم ،مع أن الحبس الشرعي برأي المنظِّرين والعلماء « ليس هو السجن في مكان ضيق، إنما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه، سواء أكان في بيت أو مسجد »[١]

« وكانت السجون آباراً ، وأول من بنى السجن (في الإسلام) علي بن أبي طالب، ولعل عمر(بن الخطاب) كان يحبس في الآبار، قبل شراء الدار التي أعدها للسجن ... لما اشتدت الرعية »[٢] في زمنه، وهذا يدل على أن فكرة السجن وضرورة إيجاد مكان لتنفيذ العقوبات موجودة، سواء أكان ذلك المكان بئراً مهجورة أو بيتاً أو غير ذلك مما يفي بالغرض المقصود .

ثم انتشرت السجون على امتداد رقعة الدولة الإسلامية؛ للحاجة إليها لتنفيذ العقوبات التي يستحقها بعض الأفراد أو الجماعات المخالفة الخارجة عن النظام العام للدولة، فضمت المدن الإسلامية سجوناً مختلفة لأجل ذلك .

والسجن في الإسلام - نظرياً - لا ينبغي أن يكون على حال سيء من البناء والتنظيم ؛ لأن الهدف منه تعويق الشخص ومعاقبته وليس تعذيبه أو الانتقام منه . وقد بين بعض علماء المسلمين أن السجن يجب أن يُصَنَّف فيه المحبوسون كلٌّ حسب جريمته التي ارتكبها، وأن يُنَظَّمَ الإشراف عليه من ناحية رعاية الشؤون الدينية بتولية إمام يصلي بالمساجين، فضلاً عن ضرورة تنظيم أرزاق السجن وأعطيات الموظفين فيه، حيث كانت محنة قد جرت على محمد بن أحمد الغافقي من أعيان الأندلس إذ تُقبِّض عليه وعلى ولده ... فأودعا مُطَبَق أرباب الجرايم.[٣]

وهذا يعني أن تصنيف المساجين كلٌّ حسب جريمته كان موجوداً ، ومكان السجن مقسَّم حسب ذلك. وفي هذا يقول ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) في كتابه (السياسة): « يعهد الإمام إلى من قلده ولاية من الولايات أن يكون لهم سجن ثقيف للذُعَّار، ومن تُخاف غائلته، وسجن آخر للمستورين والمحبوسين في الديون والآداب وأشباهها، ويتفقد أحوال المحبوسين جميعهم في جميع ذلك، وسجن للنساء مفرد

١- عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ج١ ص٢٩٥ .
٢- المصدر ذاته ، ج١ ص٢٩٨ .
٣- ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبدالله ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ج٢ ص١٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بواباته موثق بهن، ولو جعل للمستورات المحبوسات في الديون والآداب سجن على حدة من سجن المحبوسات في التهم القبيحة لكان حسناً. وقال : ويجعل الإمام لأهل السجن إماماً يصلي بهم الجماعة والفرائض ويرزقهم من بيت مال المسلمين »[١].

ويعي ابن حزم في كلامه هذا أن اختلاط المساجين أو المسجونات من أصحاب التهم البسيطة مع أصحاب التهم القبيحة أشد خطراً على المجتمع ؛ لأنّ في هذا الاختلاط إفساداً للطرف الصالح بوضعه مع المجرمين ذوي الانحراف الشديد ولهذا عواقب سيئة على المجتمع .

ونتبين أنه كان هناك مسجد للسجن « وكان القاضي يعين إمام مسجد السجن الذي يؤمُّ بالمسجونين، ويعطى أجره من بيت المال »[٢] وهذا التركيز على أداء المساجين للصلاة من عوامل إصلاح أخلاق المساجين وتهذيبها ، كما يفهم من رسالة السجن الإصلاحية في العصر الحديث، حيث يعتبر السجن مكاناً لإصلاح ما فسد عند المرجو منه الإصلاح.

الإشراف على السجون

تكون رعاية السجون ضمن اختصاصات صاحب الشرطة « الذي كان يعرف في ألسنة العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل، وإذا كان عظيم القدر عند السلطان كان له القتل لمن يجب عليه دون استئذان السلطان ... وهو الذي يحدُّ على الزنا وشرب الخمر »[٣].

ويعتبر عبدالرحمن الثاني بن الحكم[٤](ت ٢٣٨ هـ) هو مؤسس الشرطة المسؤولة عن القضايا الجنائية التي لا يبت القاضي فيها ، وكانت سابقاً من صلاحيات المحتسب (صاحب السوق) المسؤول عن النظام العام، ثم ظهر التمييز بين صاحب الشرطة وصاحب المدينة في القرن التاسع الميلادي ،[الثالث الهجري وبداية الرابع] ، وقبل ذلك كانت العامة تطلق اللقبين عليهما دون تمييز[٥]، وكان منصب صاحب الشرطة لا يتولاه إلا الأكابر من رجالات الدولة وكان يعدُّ ترشيحاً للوزارة والحجابة[٦].

١- ابن رضوان المالقي ، الشهب اللامعة في السياسة النافعة ، تحقيق علي سامي النشار ، ط١ ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٤ ، ص٣٦٠ ، ومقال محمد ابراهيم الكتاني ، بين يدي شذرات من كتاب السياسة لابن حزم ، مجلة تطوان ، الجامعة المغربية، عدد٥ ،١٩٦٠ ص١٠٦ .

٢- محمد خلاف، تاريخ القضاء في الاندلس ، ط١ ، المؤسسة العربية الحديثة مصر ١٩٩٢ ، ص ٢١٩ نقلاً عن ابن عبدون ضمن ثلاث رسائل في الحسبة، تحقيق ل. بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص٢٩.

٣- المقري ، أحمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ ،ج١ ص٢١٨ .

٤- عبد الرحمن الثاني بن الحكم، وهو رابع حكّام بني أمية في الأندلس ، تولى الحكم سنة ٢٠٦ هـ ، وكان عهده زاهياً مستقراً ، كثرت فيه الأموال ، ووفد عليه زرياب المغني ، ويحيى الليثي الفقيه ، وهو الذي ميز ولاية السوق عن أحكام الشرطة المسماة بولاية المدينة، فأفردها، وصيّر لواليها ثلاثين ديناراً في الشهر ولوالي المدينة مائة دينار. انظر البيان ٢: ١٣٧ والنفح ١:٣٤٤.

٥- Hernandez ,Miguel Cruz :EL Islam de AL Andalus, Agencia Espanola de Cooperacion Internacional , Instituto de Cooperacion Con el mundo Arabe , Madrid, 1992, p. 314 .

٦- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، المقدمة ، ط٦ ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص٢٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مهام صاحب الشرطة تعيين رئيس الحراس الليليين المعروفين بالدَّرَّابين؛ لأن المدن الأندلسية كان لها دروب تغلق أبوابها بعد العتمة، ويتولى حراستها مجموعة من الحراس الليليين يحمل كل منهم سلاحه وناره وبرفقته كلب حراسة[١].

وصاحب الشرطة كان مسؤولاً عن القضايا الجنائية التي يرفض القاضي البت فيها، «فالقاضي تتعلق اختصاصاته بما يخص الشرع أي عقوبات الحدود، وغير ذلك هو لصاحب الشرطة الذي يقوم بتنفيذ ما لا يدخل في عمل القاضي، وكان من صلاحيات صاحب الشرطة متابعة المجرمين ومعاقبتهم ، ممن يقومون بأعمال ضد الأفراد والممتلكات العامة، حسب أحكام قضائية معينة ،مع الأخذ بعين الاعتبار المنزلة الاجتماعية للمُدان »[٢].

وذلك أن الشرطة زمن بني أمية كانت قد « نُوّعت إلى شرطة كبرى وشرطة صغرى. وجعل حكم الكبرى على الخاصة والدهماء، وجعل له (أي لصاحب الشرطة) الحكم على أهل المراتب السلطانية والضرب على أيديهم في الظُّلامات وعلى أيدي أقاربهم ومن إليهم من أهل الجاه، وجعل صاحب الصغرى مخصوصاً بالعامة »[٣]

ثم أضيف إليها نوع ثالث وهو الشرطة الوسطى ، « ومن أجل تفسير هذه الأنواع الثلاثة من الشرطة في قرطبة في آن واحد زمن الخلافة، فإنه يجب النظر إلى الطبقات الاجتماعية التي كانت موجودة في العالم الإسلامي آنذاك، حيث أن كل جهاز من هذه الأجهزة القضائية كان يختص بمجموعة محددة من سكان قرطبة المقسمين إلى طبقات : فهناك الخاصة أو (الأرستقراطية)، ثم الأمة أو العوام أو الطبقة الدنيا من الشعب، ويأتي بينها طبقة متوسطة وهي الأعيان، تتكون من التجار وصغار الموظفين، وهذا الأمر دفع الناصر إلى إنشاء شرطة خاصة لكل منها »[٤]

وهذا التقسيم بالتالي يوضح أن كل طبقة اجتماعية كانت تتمتع بمعاملة مختلفة عن غيرها من قبل الشرطة ومن ضمن المعاملة : السجون، « فالسجون كانت تتمايز بطبقة المسجونين فيها ، فثمة سجون كانت في حالة سيئة من الفوضى ونقصان الماء والإنارة، حتى طعام المساجين كان يأتيهم من ذويهم خارج السجن، ولم يكن يتمتع بطعام السجن إلا اللقطاء والمُسخرون للأعمال الشاقة في الحقول،وإلى جانب هذه السجون القذرة ثمة سجون أو أماكن للإقامة الجبرية

١- المقري ، نفح الطيب ، ج١ ص٢١٨ .

٢- Pidal ,Ramon Menendez , Historia de Espana , Espana Musulmana , Quinta Edicion , Madrid, 1987 , P. 87 .

٣- ابن خلدون ، المقدمة ، ص٢٥١ .

٤- Pidal, Ramon , Ibid , P. 89

الناصر عبدالرحمن الثالث بن محمد،ولي الأمر بعد جده عبدالله سنة ٣٠٠ هـ وكانت الأندلس وقتها تمور بالاضطرابات، فزهد أمامه وأمام أبيه بالإمارة، وقد تصدى في عهده للثوار واستنزلهم الواحد تلو الآخر ، فاستطاع توحيد الأندلس تحت سيادته ، وتصدى للأخطار الخارجية من الفاطميين والمجوس (النورمان)، والممالك المسيحية، وكان الناصر أول من تقلب بلقب خليفة في الأندلس وذلك سنة ٣١٦هـ وتوفي سنة ٣٥٠هـ انظر أعمال :٢٨ والنفح ١:٣٥٣..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٦٩ هـ)في (المقتبس) تدل على أن بعض سجناء المُطْبَق أُطلق سراحهم مثل ابني علي الأندلسي[١] والشاعر ابن الإفليلي[٢].

ويعتقد الاستاذ ل. بروفنسال أن سجن الزهراء هو نفسه سجن الدويرة «وكان يقع تحت الأرض في حرم القصر نفسه، وكان مخصصاً للمحكوم عليهم بالسجن المؤبد. »[٣] ولكن قد يكون سجن الدويرة جزءاً من سجن الزهراء ، حيث ذكر ابن حيان في الخبر عن محنة جعفر ويحيى ابني علي الأندلسي، أن الخليفة أمر بإهانة جعفر ويحيى بما يسوؤهما، وحملهما راجلين من مكانهما إلى سجن الدويرة بمنية الزهراء[٤].

وثمة مسجونون سجنوا في بيت العمال على باب الجنان في قصر قرطبة، حيث «سخط الخليفة على الخازن أحمد بن محمد بن حاجب فعزله عن الخزانة، وأمر بحبسه في بيت العمال بفصيل باب الجنان من قصر قرطبة »[٥] .وقد يكون هذا الحبس مخصصا لحبس موظفي الدولة المقصّرين في أعمالهم، وتشير إلى ذلك أيضاً حادثة حبس محمد بن سعيد (ابن خال الخليفة الناصر) الذي قُيِّد «وسجن ببيت العمال على باب الجنان» .[٦]

موقع السجن

« والغالب في مواقع السجون أن تكون قريبة من قصور الحكام ومقر أعمالهم ؛ لارتباطها إدارياً بإشرافهم ولحياطتها من مهاجمة خارجية ... ولحاجة الحكام أحياناً إلى التكتم في عمليات الحبس والقتل عن أعين العامة »[٧]، فسجن المطبق هو سجن تحت الأرض، وكان إنشاؤه بهذا الشكل منتشراً في القصور الأندلسية لتكون قريبة من الحاكم، فهناك مطبق الزهراء في قرطبة ومطبق الزاهرة ومطبق الحمراء.

تكون بعض السجون أحياناً جزءاً من إدارة القاضي، لمعاقبة المخالفين أو توقيف المتهمين، كما تبين حادثة محمد فصّاد المنصور بن أبي عامر، الذي طلبه

١- ابن حيان ، أبو مروان بن خلف القرطبي ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، دار الثقافة ، بيروت ، ص١٧٣ . وهما يحيى وجعفر ابنا علي بن حمدون الأندلسي، من موالي بني أمية، ولهما رئاسة معروفة أيام العبيدية، ووالدهما علي هو الذي بنى المسيلة من بلاد الزاب الأكبر، فعظم شأنها. وقد هرب جعفر ويحيى إلى الأندلس بعد مقتل زيري بن مناد الصنهاجي، وأقاما مكرمين عند الحكم، حتى سخط عليهما، ثم عفا عنهما.
وحظي جعفر أيام هشام المؤيد عند المنصور بن أبي عامر، واستعان به المنصور في القضاء على غالب الناصري، ثم قتل جعفراً سنة ٣٧٤هـ ، وضيّق المنصور على أخيه يحيى حتى أخرجه إلى المغرب، انظر الحلة ١:٣٠٥ والبيان ٢:٢٨٠

٢- الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧ ، ص١٨٦ وابن سعيد ، المُغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ،ج١ ، ص٧٢ . وهو أبو القاسم إبراهيم بن محمد زكريا الزهري، انظر ملحق رقم (١)، رقم الشاعر ٤.

٣- هشام أبو رميلة ، نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية في الأندلس ، دار الطباعة العربية ، القدس ، ١٩٨٠ ، ص٢١٠ ، نقلاً من : L.provencal .L Espagne Musulmane, aux xeme sicele ,paris , 1951 .

٤- ابن حيان ، المقتبس ، ت حجي ، ص١٧٢ .

٥- المصدر ذاته ، ص٢٠٢ .

٦- المصدر ذاته ، ص١٥٦ .

٧- أحمد البرزة ، الأسر والسجن في شعر العرب ، ط١ ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ١٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنصور ذات يوم « فألفاه في سجن القاضي محمد بن زرب لحيف ظهر منه على امرأته »[١].

ويتم الحبس أحياناً في حصون المدينة المختلفة وأبراجها مثل حبس الشاعر عبد الملك بن إدريس الجَزَيري في أحد أبراج طُرطُوشة[٢]، وحبس القاسم بن حمود الحسني زمن الفتنة البربرية في أحد حصون مالقة من قبل ابن أخيه يحيى المعتلي بن حمود.[٣]، وحبس أبي جعفر أحمد بن جبير (والد الرحالة المعروف) في حصن مُطَرْنيش ،وهو من أمنع معاقل بَلَنْسِيَة، إلى أن فدى نفسه بثلاثة آلاف دينار.[٤].

ويكون السجن كذلك عن طريق الإقامة الجبرية في مكان معين ، وعلى الأغلب في بيت المحكوم عليه، كما كان مع فتح الحَجّام الخصي ، مولى الناصر ومزيِّنه، الذي كان مسخوطاً مسجوناً بداره ، حتى صفح عنه الخليفة المستنصر* في صدر شعبان سنة ٣٦١ هـ[٥] ، أو مع أحمد بن هاشم ورفيقيه ، الذين نسبوا إلى الغمص للسيرة والتخطي بفضول القول ، فوبَّخهم صاحب المدينة ، وحكم على ابن هاشم بالتزام داره لا يعدوها .[٦] أو مع ميسور الكاتب الصقلبي الجعفري الذي قصَّر في أمرٍ للخليفة الحَكَم المستنصر ، فضمه « إلى سجن الزهراء فبات فيه ليلة ، ثم أمر بحمله إلى داره من يومه مسخوطاً عليه »[٧] ، أو سجن أبي الحسن بن السيد البَطَليوسي من قبل حَريز بن حكم بن عُكّاشة، (والي قلعة رباح) ، حيث حبس أبا

١- ابن عذاري ، أبو عبدالله محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان وبروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨١، ج٢ ، ص٢٩٠ والمقري ، النفح ، ج١ ص ٤١٠-٤١١ .

المنصور محمد بن عامر تأدَّب في قرطبة، واقتعد دكاناً عند باب القصر، يكتب فيه، ثم طلبت صُبْح(زوجة الخليفة المستنصر) مَنْ يكتب عنها فعُرِفت به، واستحسنته، فولّاه الخليفه قضاء بعض المواضع، ثم ترقى إلى أن أصبح حاجب الخليفة هشام المؤيد، الذي استبد بدولته، وحكم فيها كيفما شاء، وكان كثير الغزوات، توفي في غزاته للإفرنج سنة ٣٩٢هـ انظر البيان ٣٨٤:٢ وأعمال الأعلام :٥٨، والنفح ٣٩٦/١-٤٢٣.

ومحمد بن يبقى بن زرب قاضي الجماعة بقرطبة، وقاضي المنصور بن أبي عامر، أحد صدور الفقهاء في زمانه بالأندلس ، له حظ كبير من علم الإعراب والفقه، وكان من أخطب الناس توفي سنة ٣٨١هـ انظر المرقبة ٧٧ - ٨٢.

٢- ابن خاقان، الفتح بن محمد الإشبيلي ، مطمح الأنفس ومسرح التأنس ، تحقيق محمد شوابكة ، ط١ ، دار عمار ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٣ ،ص١٧٨ . وانظر ملحق رقم (١)، رقم الشاعر (١٠).

٣- المقري ، النفح ،ج١ ص٤٨٨ . والقاسم بن حمود الملقب بالمأمون هو من الحموديين العلويين، الذين حكموا قرطبة في أثناء الفتنة البربرية بقرطبة، وهم من عقب إدريس ملك فاس، وكان القاسم أجاز إلى الأندلس مع أخيه علي والبربر، ودعوا لأنفسهم وملكوا قرطبة سنة ٤٠٧هـ ووليها القاسم بعد مقتل أخيه علي، حتى قام عليه ابن أخيه يحيى المعتلي وحبسه، إلى أن هلك في محبسه سنة ٤٢٧هـ

ويحيى المعتلي آخر من حكم قرطبة من الحموديين زمن الفتنة، إذ نازع الأمر عمّه المأمون بعد أربع سنوات من خلافته، وكان على سَبْتَة، فأجاز إلى الأندلس، واحتل بمالقة وزحف إلى قرطبة وملكها سنة ٤١٥هـ، ثم هلك سنة ٤٢٩هـ انظر الذخيرة ٤٨١:١/١ النفح ٤٣٠:١-٤٣٨

٤- ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي، الحلة السيراء في أشعار الأمراء ، تحقيق حسين مؤنس ، ط١ ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ج٢ ، ص٢٢٤ .

٥- ابن حيان ، المقتبس ، ت حجي ، ص٧٣ .

والمستنصر هو الحكم بن الناصر، تولى بعد وفاة والده: وكان محباً للعلوم مكرماً لأهلها، جمّاعاً للكتب بأنواعها ومكتبته مشهورة بين المكتبات، بيع أكثر كتبها في حصار البربر، ونُهب ما تبقى منها عند دخول البربر قرطبة وقت الفتنة، وتوفي المستنصر سنة٣٦٦هـ انظر النفح ٣٨٢:١ -٣٩٦.

٦- المصدر ذاته ، ص١٠٤ .

٧- المصدر ذاته ، ص١١٧ .

٤٧٩١٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحسن في بيت ضيق ، وكان يجري عليه رغيفاً لا شيء معه ، إلى أن ضعف وهلك .[١]

هيئة المسجون

والظاهر أنه كان للمسجون هيئة خاصة يتميز بها وتختلف عن هيئته في حياة الحرية ، حيث يذكر ابن حيان أن الشاعر يوسف بن هارون الرمادي عندما أُرسل طلبُ القبض عليه ، ضمن مجموعة العصبة البطراء المستخفة بالطاعة [٢] ، جاء إلى باب سجن الزهراء لتسليم نفسه وقد « أقبل مغيراً طلعته شاداً حيازيمه [٣] ، واضعاً لبَداً له فوق رأسه كيما يتوطأه في السجن »[٤] ويستنتج من هذا النص أن السجين لم يكن بحاجة إلى تأمين طعامه فقط في السجن ،وإنما يحتاج كذلك إلى تأمين ما ينام عليه أو يتغطى به في ذلك المكان ، موئل البرد والرطوبة والقذارة والجوع .

ومن ذلك ما يذكره ابن عبدون حول «سمات الحرس والعرفاء وما يجب عليهم في أثناء تأديتهم لمهام وظيفتهم من احترام للجاني حتى تثبت إدانته ، فمن يؤخذ بالليل في تهمة لا يُغَيِّر شكله ولا تكشط ثيابه حتى يوقف عند صاحب المدينة بالهيئة التي وجد عليها ، فإن الحرس يكشطون الثياب ويغيرون الأشكال ويروِّعون الأنفس، فإنه إن سجن لا يسجن إلا في فندق ويكون تحت ضمان الساكنين فيه إلى الصباح »[٥] ، وهكذا فالسجين يُغيّر شكله وهيئته عندما يتم سجنه ، فتُبدَّل ثيابه بثياب أخرى خاصة بالسجن.

وكان القيد من لوازم هيئة المسجون في كثيرمن الأحيان ؛ إما لعظم جريرته أو مبالغة في إهانته، أما الكبْل (وهو القيد العظيم) فهو أحياناً من لوازم المسجونين في سجن المُطبَق المُعد للسجناء مدى الحياة ، كما تدل عليه حوادث كثيرة : ففي رمضان سنة ٣٦٤ هـ « وصل إلى قرطبة أبو الأحوص معن بن عبد العزيز مكبولاً مع عشرة من أصحابه مكبولين أيضاً ... ونفذ العهد بسجنهم جميعاً في سجن المُطبَق »[٦] وكان أبو الأحوص هذا يظاهر المشركين ويدلهم على عورات المسلمين .

١- ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج٢ ص ١٧٨ . وأبو الحسن علي بن السيد البطليوسي هو أخو أبي محمد بن عبدالله النحوي الفقيه الفيلسوف المعروف، انظر النفح ٧٢/٤

وحريز بن حكم بن عكّاشة، كان أبوه والياً من قبل المأمون بن ذي النون، لبعض الحصون المجاورة لقرطبة حتى قتل، وولي ابنه حريز هذا قلعة رباح (من أعمال طليطلة) للقادر بن ذي النون، وقتل سنة ٤٨٠هـ انظر الحلة ١٧٦/٢.

٢- العصبة البُطَراء من أهل قرطبة المستخفين بالطاعة، يخوضون في سيرة الخليفة وإهانته، ويخوضون في أعراض الناس وينشرون مثالبهم، في أشعار يصوغونها، وكان منهم الرمادي هذا، والزبراكة، ومؤنس الكاتب، وأحمد بن الأسعد وجماعة إليهم، انظر المقتبس (ت حجي) ص ٧٣-٧٤.

٣- كناية عن التشمّر والاستعداد للأمر ، والحزيم هو موضع المزام من الصدر والظهر كله ما استدار .

٤- ابن حيان ، المقتبس ، ت حجي ، ص٧٤ .

٥- محمد خلاف ، تاريخ القضاء في الأندلس ، ص٤٤٤ .

٦- ابن حيان ، المقتبس ، ت حجي ص٢٢٥ . نقلاً عن ابن عبدون. وقد عفا الخليفة عن أبي الأحوص وأصحابه وأطلقهم من المطبق سنة ٣٦٥هـ والتحق أبو الأحوص فيما بعد بجيش ابن أبي عامر في معظم أهل الثغور، لقتال غالب. انظر المقتبس (ت حجي) ص ٢٢٤ والبيان ٢٧١/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثله أيضاً يحيى بن علي الأندلسي الذي أُخرج من سجن الدُّويرة في سجن الزهراء إلى حضرة صاحب المدينة بقرطبة والزهراء ، وصاحب الخيل في فصيل الدويرة سجن الزهراء، وعددوا عليه هفوات أخيه جعفر وزلاّته .. فاعترف بذلك وطلب العفو « فأمروا بحل الكبل عنه »[١] .

والقيد والكِبل كانا من وسائل تعذيب السجين في سجنه ، تزيده همّاً على مافيه من مصيبة السجن وسلب الحرية ، ويمكن أن نتصور مدى ألم السجين ومعاناته جراء القيود التي يتقلب فيها ، ففي حديث ابن الخطيب عن محنة الوزير أحمد بن عباس أنه ساءت حاله مع باديس أمير غرناطة فحبسه : وكان « أسيراً ذليلاً ، يرسف في وزن أربعين مثقالاً من قيده »[٢] ثم قتله بعد اثنين وخمسين يوماً من أسره ، وستوضح لنا أشعار السجناء في القيد أثرهُ في عذابهم الشديد في السجن .

وقد يكون التعذيب كذلك بإفراد السجين في مكان معين من السجن أو ما قد يمكن أن يسمى السجن الانفرادي ، فقد قيل إن جعفر بن عثمان المُصْحَفِيّ قُتل خنقاً بالمطبق بالبيت المعروف ببيت البراغيث .[٣] وهذا يعكس صورة مرعبة عن وحشة السجن وعذاب الواقع فيه .

امتيازات بعض السجناء

على أن بعض السجناء في بعض السجون كان يسمح لهم بالكتابة واستخدام أدواتها ، فقد كانت الرقاع تصل من قبل المسجونين إلى الحاكم تطلب الصفح و العفو،أوتصله الرقاع التي تتضمن قصائد الاستعطاف والمدح و توضيح الموقف من قبل السجين ، كما في أشعار الاستعطاف المختلفة التي ستعرض فيما بعد .

كما أنه كانت تصل الحاكم رسائل استعطاف كثيرة من أهالي المسجونين في سبيل إطلاق سراح أولادهم ، مثل رقعة الاستعطاف التي رفعتها أم رجل مسجون إلى المنصوربن أبي عامر، ولبى طلبها ، كما جاء في الحادثة التي تذكرقصتها[٤] ،و كان المعتمد مثلاً (يتمتع) في سجنه بالزيارات من أهله وأولاده وأصدقائه ، و قال أشعاراً كثيرة في هذه اللقاءات وما أثارت في نفسه من شجون . و كذلك كان له حق التراسل والتهادي بينه وبين أصدقائه مثلما فعل مع أبي بكر

١- ابن حيان ، المقتبس ، ت حجي ، ص١٧٣ .

٢- لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ط١ ، شركة طبع الكتب العربية ، مصر ، ١٣١٩ هـ ، ج١ص١٣١

٣- أحمد بن عباس أبو جعفر ، وزير زهير العامري الصقلبي ملك المرية ، وكان حسن الكتابة ، غزير الأدب ، جمّاعاً للكتب ، قتل على يد باديس ملك غرناطة. انظر الإحاطة ١: ١٢٩ ، النفح ٣:٥٣٥، وباديس بن حبُّوس الصنهاجي، صاحب غرناطة ، تولاها عندما كان المستعين (سليمان بن الحكم) ، يظن أن الأمر استحكم له في قرطبة ، فتوثّبت البرابرة على المدن العظيمة، ومنهم باديس . انظر النفح ١: ١٩٦

٣- ابن عذاري، البيان المغرب ، ج٢ ص٢٧٠ .

٤- انظر المالقي ، الشهب اللامعة ، ص٢٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن اللبانة الداني حيث بعث له «بعشرين مثقالاً وشقة رازي بغدادي »[١] عندما أراد مغادرته ، وكتب معها :

إليك النزر من كف الأسـيـر فـإن تقنع تكن عين الشكور[٢]

ولولا ميزة تمتع بعض طبقات السجناء بالكتابة واستخدام أدواتها في سجنهم- لضاعت أشعار الشعراء الذين تعرضوا للسجن ، وجادت قريحتهم هناك بالكثير ؛ لما عانوه بسبب هذه التجربة ، حتى إن بعضهم لم يكتف باستخدام أدوات الكتابة بل حظي بدخول الطلاب والمتعلمين عليه في سجنه ، مثل الشاعر محمد بن فرج الجَيَّاني الذي « كان أهل الطلب يدخلون إليه في السجن ويقرؤون عليه اللغة وغيرها »[٣].

وكان السجن لبعضهم مدرسة يتعلم فيها ، مثل الشاعر الشريف الطليق الذي سجن وهو فتى يافع مع « جماعة من رؤساء الأدباء ، فلم يزل الطليق يأخذ عنهم، ويستمد منهم ، حتى ثَرِيَ تُرْبُه ، وطلع عشبه، وسما ذِكرُه، وطار شعرُه »[٤] فكان السجن له «المدرسة التي علمته الأدب والشعر وعمقت في نفسه الرغبة في الإقبال على التعلم ، كما فتحت قريحته الشعرية ودربته على الصبر وتحمُّل الألم »[٥].

وفي المقابل كان هناك بعض الشعراءالسجناء الذين ألفوا كتباً في السجن ، فالشاعر الرمادي ألف كتاباً سمَّاه (كتاب الطير) في أجزاء ، وكله من شعره ووصف فيه كل طائر معروف وذكر خواصه ، وذيّل كل قطعة بمدح ولي العهد هشام ابن الحكم ليشفع فيه لدى أبيه[٦] ، ولم يصل إلينا منه إلاّ قصيدة لامية في البازي[٧].

ووضع الشاعر عبد الملك بن غصن الحِجاري رسالة في (صفة السجن والمسجون والحزن والمحزون) « دلت على مكانه من العلم والأدب والحفظ وأودعها ألف بيتٍ من

١- ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٩، ق٢ م١ ص٦٢ . والمعتمد بن عباد ، انظر ملحق (١)، رقم الشاعر (٤٢).

وأبو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة ، من مدينة دانية ، وأمه كانت تبيع اللبن فاشتهر باسمها، كان شاعراً في بلاط المعتمد بن عباد، وزار المعتمد في معتقله بأغمات، ورثاه لما توفي رثاء حاراً، ثم عاش ابن اللّبانة في رعاية ناصر الدولة مبشر بن سليمان بميورقة حتى وفاته سنة ٥٠٧هـ ، انظر الذخيرة ٢:٢:٦٦٦ القلائد : ٢٤٥.

٢- المعتمد ، أبو القاسم محمد بن عباد ، ديوان، تحقيق رضا الحبيب السويسي ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٥ ، ص١٦٧ .

٣- ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ،ج١ص٣٠ . انظر ملحق (١)، رقم الشاعر (١٢).

٤- ابن بسام ، الذخيرة ، ق١، م١ ص ٥٦٤ انظر ملحق (١) ، رقم الشاعر (٢٨).

٥- عباس ، إحسان ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، ط٧ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص٢٢٥ .

٦- الحميدي ، أبو عبدالله محمد بن فتوح ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، ط٢ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٣ ،ص٣٤٩ . انظر ملحق (١) رقم الشاعر (٢٣).

وهشام بن الحكم الملقب بالمؤيد، بويع بالخلافة بعد وفاة والده المستنصر سنة ٣٦٦هـ وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، وتولى حجابته المنصور بن أبي عامر ، واستولى على تدبير الأمور، وحجر على الخليفة ولم يُبقِ له من رسوم الخلافة، أكثر من الدعاء على المنابر. النفح ١:٣٩٦ -٣٩٩.

٧- انظر بروكلمان ، كارل ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، ط٤ ، دار المعارف ، مصر ، ج٥ ص١١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعره في الاستعطاف »[١] كانت سبباً في العفو عنه ، حيث يقول فيها[٢] :

« وألفِ بيتٍ من القريض إذا مات جميع الأنام لم تمتِ
لو أن شعرَ الورى ينظّم في عقد لكانت بموضع السِّمطِ
سائرة حيث لم يَسِرْ قمرٌ ولا سارت أنجم ولا جَرَتِ »

ولذلك فإن هذا الشيء، أي التأليف داخل السجن ، لم يكن ممكنا لولا توافر أدوات الكتابة وإتاحتها للسجناء الأدباء .

* * * * * *

و هكذا يتبين لنا أن السجون انتشرت في الأندلس كغيرها من البلدان وانتشرت في المدن الأندلسية ، وكانت عادة تقام قريبا من قصر الحاكم، كما نُظِّمت السجون في أوائل عهد الدولة الأموية هناك ، و عُهِد بالإشراف على السجون إلى الشرطة، وكانت قبل ذلك لصاحب السوق (المحتسب).

و كانت السجون تتمايز بطبقات السجناء فيها ، فقد وجدت سجون خاصة لكبار الشخصيات الاجتماعية ،وسجون أخرى للعامة دون مستوى تلك ، كما أتيحت لبعض السجناء امتيازات عدة منها استخدام الكتابة وأدواتها ، الأمر الذي أتاح وصول إنتاجهم الأدبي إلينا.

و كان للمسجونين هيئة مخصوصة من حيث المظهر والملابس الخاصة بهم داخل السجن، وتلازمهم القيود في سجنهم في أغلب الأحيان.

١- ابن الأبار ، إعتاب الكتّاب ، تحقيق صالح الأشتر ، ط١ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٦١ ، ص٢١٨ .
٢- ابن بسام ، الذخيرة ، ق٣ م١ ص٣٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: أسباب السجن

كانت الأسباب المؤدية للسجن في الأندلس متباينة ، وتأتي الجرائم والشرور في مقدمة الأسباب التي توقع عقوبة السجن على مرتكبيها ، والسجن في الأصل وجد لمعاقبة أمثال هؤلاء ، ممن يعكرون صفو المجتمع ، ويعيقون حياته المعتادة ، فيودعون السجن لتلقي عقوبة رادعة عن ارتكاب الجريمة ثانية .

ومن الجرائم أو المخالفات التي كانت ترتكب وكانت عقوبتها السجن : تشبُّه اليهودي أو النصراني في زيِّه بالمسلمين وليس عليه رقاع ولا زنّار [١] ، والغش أو النقصان في الوزن [٢] ، والعمل في دور الأذى والفجور [٣] ، وفيمن يقوم عليه شاهدٌ واحد بالقذف [٤] ، وفيما « يختص بجمع أهل الشر والفساد في مجالس الشراب ... وجب التأديب والحبس ، حتى يفيء المذنب من غيِّه وتظهر توبته ... وذكر المحتسب وجوب أخذ سلاح الشبان عند إقبالهم عند العرس قبل أن يشربوا ، وإذا ظفر بالمعربد يؤدبه صاحب المدينة ويسجنه » [٥]

فهذه بعض الجرائم التي كان أصحابها ينالون السجن جزاءً لما كسبت أيديهم ، ولكن لم تكن تلك الجرائم الطريق الوحيد إلى السجن ، بل تعددت الأسباب إليه تعدداً بيناً ، فهناك اتهامات متعلقة باختلاف الآراء والعقائد أودت بحرية أصحابها ، إذ كان الاعتقاد بالفلسفة والتنجيم مثلاً من الأسباب التي تؤدي بصاحبها إلى السجن الأكيد في الأندلس ، حيث كانت كل العلوم عند الأندلسيين ذات حظ واعتناء إلا هذين العلمين ، اللذين يلصقان بصاحبهما لقب زنديق فيلاحق ، وتحرق مصنفاته ، ويضيَّق عليه حتى السجن [٦] ، فقد تعرض الفيلسوف ابن رشد القرطبي للسجن من قبل المنصور بن عبد المؤمن الموحِّدي بسبب الفلسفة ، وكانت « علماً ممقوتاً بالأندلس ، لا يستطيع صاحبه إظهاره ، فكذلك تُحرق تصانيفه » [٧]

وكانت هذه التهم إذا لحقت بالمرء عرَّضت دينه للقدح ، وعندئذ لا يسلم من السجن والملاحقة ، كما حصل مع جملة من الأطباء الذين تتبَّعهم الخليفة هشام المؤيد بتهم لحقت دينهم مثل ابن عاصم والشَّبانسي والحمار وابن الإفليلي [٨] .

١- يحيى بن عمر الأندلسي ، النظر والأحكام في جميع أحوال السوق ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، الشركة التونسية للتوزيع ، ص٩٦-٩٧ .
٢- المصدر ذاته ص١٠٩ .
٣- المصدر ذاته ص١٣٣-١٣٤ .
٤- المصدر ذاته ص١٤٢
٥- محمد خلاف ، تاريخ القضاءفي الأندلس ، ص٤٠١ . نقلاً عن ابن عبدون.
٦- المقري ، النفح ، ج١ ص٢٢١ .
٧- المصدر ذاته ،ج٣ ص١٨٦ .
المنصور الموحدي يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن ، قام بأمر الأندلس بعد وفاة والده، وهو الذي أظهر أبهة ملك الموحدين ورفع راية الجهاد، وكثرت الفتوحات في أيامه. وكانت في عهده موقعة الأرك المشهورة التي انتصر فيها المسلمون، وتوفي المنصور سنة ٥٩٥ هـ ، انظر البيان ٣: ١٤٠ - ٢١١ ووفيات ٧: ٣.
٨- ياقوت الحموي ، أبو عبدالله شهاب الدين، معجم الأدباء ، تحقيق إحسان عباس ،ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٣، ج١ص١٢٤ . والشبانسي هو قاسم بن محمد المرواني ، انظر ملحق رقم ١، رقم الشامر ٢٧.
والحمار هو سعيد بن فتحون السرقسطي، انظر ملحق رقم ١ ، رقم الشامر ١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن الخليفة هشام المؤيد هو الحاكم الحقيقي في تلك الفترة (بعد وفاة الحكم المستنصر سنة ٣٦٦) ، فقد ولي هشام هذا الحُكْمَ ولّما يزل في الحادية عشرة من عمره ، وتولى حجابته المنصور بن أبي عامر ، الذي استبدَّ بالحكم وحجر على هشام بحيث لم يره أحد [١] ، « وكان المنصور أشدَّ الناس في التغير على من علم عنده شيء من الفلسفة والجدل في الاعتقاد والتكلم في شيء من قضايا النجوم وأدلتها ، والاستخفاف بشيء من أمور الشريعة ، وأحرق كلَّ ما كان في خزائن الحكم من كتب الدهرية والفلاسفة بمحضر كبار العلماء » [٢] ، وكانت هذه طريقة يتقرب بها من قلوب العامة ، التي لا تطيق هذه العلوم وتنفر من أصحابها ، مع أن الفلسفة كانت تلقى عناية عظيمة عند الخاصة ، ولكن لا يتظاهر بها خوف العامة . [٣]

ولذلك تعرض بعض الشعراء للسجن زمن المنصور لاتهامهم بتهم تمس دينهم ، وكان منهم محمد بن مسعود البَجّاني ، الذي « قُرف عند المنصور بن أبي عامر بالرَّهق في دينه ، وسُجن بالمُطْبَق » [٤] ، ومثله عبد العزيز بن الخطيب ، الذي كان « مقدماً في أصحاب المنصور ، حتى فسد ضميره عنده ، وبقي مدة يلتمس غِرَّة منه، حتى قال فيه بعض أبيات من شعره أفرط فيها :

ماشئتَ لا ما شاءت الأقدارُ ... فاحكم فأنت الواحد القَهّارُ

فكأنما أنت النبيُّ محمدٌ ... وكأنما أنصارك الأنصارُ

فأمر بضربه خمسمائة سوط ، ونودي عليه باستخفافه ثم حبسه ، ونفاه بعدُ عن الأندلس » [٥]

والفيلسوف الشاعر ابن الصائغ السُّرَقسْطي المعروف بابن باجة ،زجَّه ابراهيم ابن يوسف بن تاشفين في سجن شاطِبة ؛ لاشتغاله بالفلسفة ، وظهور آثار له يطعن فيها بأحكام الدين . [٦]

وهكذا فإن الاتهام بتعاطي الفلسفة وكل ما يمكن أن يؤثر على الدين ، يجعل مصير صاحبه السجن جزاء على ما قدمت يداه .

وكانت التهم السياسية من أهم الأسباب المؤدية بالشعراء إلى السجن ، فقد كان الشعراء من كبار رجال الدولة ، وكانت الكتابة والآداب تعتبر وسيلة يسيرة للوصول إلى المناصب الحكومية المتعددة ، وحتى الوصول إلى الوزارة ، ولذلك كان

١- المقري ، النفح. ج١ ص٥٩١، وانظر ابن عذاري ، البيان ، ج٢ ص٢٥٣ ،وما بعدها .
٢- ابن عذاري ، مصدر سابق ، ج٢ ص٢٩٢-٢٩٣ .
٣- المقري ، النفح ، ج١ص٢٢١ .
٤-ابن بسام ،الذخيرة ، ق١ م١ ص٥٦٣ . انظر ملحق (١) ، رقم الشاعر ٦.
٥- ابن عذاري، البيان ، ج٢ ص٢٩٤ . انظر ملحق (١) ، رقم الشاعر ٢٠، والبيتان للشاعر ابن هانيء الأندلسي. انظر ديوانه ص ١٠١ .
٦- المقري ، النفح ، ج٧ ص٢٢ . انظر ملحق (١)، رقم الشاعر ابن باجة ٥. وابراهيم بن يوسف بن تاشفين كان آخر أمراء المرابطين درس في قرطبةوفي أثناء ذلك قامت الحرب مع الموحدين عند تلمسان ، فاستدعاه أبوه وكان ولي عهده فتولى الحكم سنة ٥٣٩، ثم تقدمت جيوش الموحدين حتى سقطت مراكش ، وقتل ابراهيم سنة ٥٤١ هـ انظر النفح ٤: ٤٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عدد كبير من الشعراء الذين ندرس في هذا المبحث من رجال الدولة المقدمين ، وقد أدّوا دوراً كبيراً في الأحداث السياسية المحيطة بهم في عصورهم ، وكان لهذه الأحداث السياسية أحياناً أثر في زجهم في أتون الفتن والمؤامرات ، التي فعلت فعلها وأدّت بهم إلى ظلام السجن وذل القيود ، وأحياناً إلى الموت الأكيد .

ويأتي في مقدمة الأسباب السياسية المؤدية إلى السجن - المؤامرات ، خاصة في أوقات الاضطرابات السياسية التي شهدها تاريخ المسلمين في الأندلس ، منذ الفتح وحتى سقوط غرناطة ، فقد سجن الوزير الصُّمَيْل بن حاتم على يد عبد الرحمن الداخل ، وسُجن معه ابنا يوسف الفهري ، عندما نقض الأخير عهده مع عبد الرحمن الداخل سنة١٤١هـ ، إبان تأسيس الدولة الأموية من جديد في الأندلس ، وثار ضده في مدينة ماردَة ، ثم قبض عليه الداخل بعد أن قضى على ثورته وألقاه في السجن [١] .

ومن المؤامرات أن عبد الله بن المنصور بن أبي عامر تآمر مع عبد الرحمن بن مطرف على «الوثوب بالمنصور في أول فرصة، على أن يقسما مُلك الأندلس ... وساعدهما عليه جماعة من وجوه أهل قرطبة من الجند والخَدَمة وغيرهم ،فيهم الوزير عبد الله بن عبد العزيز المرواني صاحب طليطلة»[٢] وهو المُلقب بالحجر اليابس ، فقبض المنصور على ولده وألزم الحَجَرَ داره، لكنهما فرّا إلى ملك ليون، الذي اضطر لتسليم عبدالله إلى المنصور تحت ضغطه الشديد فقتله المنصور، أما الحجر فإنه لما هرب أيضاً ظفر به المنصور فيما بعد وسجنه بالمُطْبَق، ولم يُطْلق إلا بعد وفاة المنصور.[٣]

وكان الشاعر أبو الأصبغ عيسى بن الحسن ممن باطَنَ عبدالله بن المنصور، فسجنه المنصور للسبب ذاته.[٤]

وسُجن أبو الحجاج يوسف الثالث من قبل أخيه محمد ؛ لإبعاده عن اعتلاء عرش

١- مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، مكتبة المثنى ، بغداد عن طبعة مجريط ، مطبع ربدنير ، ١٨٦٧ ، ص٩٠-٩٢ .

والصميل بن حاتم الكلابي ، كبير القيسية ، من طوالع بلج، كان وزيراً لآخر ولاة الأندلس يوسف الفهري ، وتوفي سنة ١٤٢هـ، في سجن عبدالرحمن الداخل. انظر الحلة ١:٦٧ والنفح ١:٢٣٧

وعبدالرحمن الداخل بن معاوية (صقر قريش) هو الذي فر من الشام عندما استولى بنو العباس على دولة بني أمية هناك، ثم دخل عبدالرحمن الداخل الأندلس زمن يوسف الفهري، وتغلب عليه وأقام إمارته فيها إلى وفاته سنة ١٧٢ هـ. انظر البيان ٢:٤٠ والنفح ٣:٢٧-٥٤.

يوسف بن عبدالرحمن الفهري (ت ١٤٢هـ) جده عقبة بن نافع باني القيروان ، هرب من والده من إفريقية إلى الأندلس مغاضباً فهويها واستوطنها فساد فيها، وكان آخر عامل من عمال الأندلس الولاة، الذين تعاقبوا عليها من لدن الفتح حتى دخول عبدالرحمن الداخل الأندلس ، وهزيمته للفهري ، وتغلبه على قرطبة سنة ١٣٨ هـ ، وكان القائم بدولة الفهري المستولي عليها وزيره الصميل بن حاتم. انظر النفح ٣:٢٥ .

٢- ابن عذاري ، البيان، ج٢ ص ٢٨٣. انظر ملحق (١) رقم الشاعر الحجر اليابس ١٥. وعبدالرحمن بن مطرف صاحب سرقسطة ، عمل على إثارة عبدالله بن المنصور وهو مقيم عنده ، فتغير قلبه على أبيه ، لإحظائه عبد الملك أخاه وتوطأ على الوثوب بالمنصور في أول فرصة واقتسام ملك الأندلس ، قبض عليه المنصور ، وقتل بين يديه بالزاهرة سنة ٣٧٩هـ انظر البيان ٢: ٢٨٣.

٣- ابن الأبار ، الحلة، ج١ ص ٢١٩.

٤- ابن سعيد، المُغرب، ج١ ص٢١٢. أنظر ملحق (١)، رقم الشاعر ٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غرناطة بعد وفاة والدهما، وكان يوسف هو المرشح لخلافة أبيه، لكنَّ أخاه طمع في الملك وأبعده ، بأن سجنه في قلعة شلوبانية، التي بقي فيها أبو الحجاج سجيناً حتى وفاة أخيه سنة ٨١١ هـ ، وانطلق بعدها، وعاد إلى غرناطة ملكاً عليها من جديد[١].

وهناك كثير من الشعراء عانوا السجن بسبب مؤامرات وسعايات الحسَّاد عليهم، حيث عمل الحاسدون على الإيقاع بهم وتوغير صدر الحاكم عليهم، والإلقاء بهم في غيابات السجون.

فمن هؤلاء عمالقة الأدباء الأندلسيين: الشاعر ابن شُهَيْد، والعالم الجليل ابن حزم، والشاعر ابن زيدون ، وكان هؤلاء الثلاثة ممن عاشوا زمن الفتنة (٣٩٩-٤٢٢هـ) التي شهدتها قرطبة وعملت فيها خراباً وتدميراً، ورمتهم الفتنة بسهامها فأصابتهم، ونالهم السجن والأذى نتيجة المؤامرات .فكان ابن شُهَيْد ينعم بظلال الأمويين والعامريين، لكن الفتنة سلبته هذا العز والرفاه، فلحقته سعايات ووشايات، وأوقعه سوء حظه مع الحموديين، فسُعِيَ به إلى المعتلي يحيى بن حمود أثناء خلافته بقرطبة زمن الفتنة فنكبه واعتقله[٢].

وكذلك جرى على ابن حزم، وكان اشتهر بولائه للأمويين، فنُقل عنه لصاحب ألمريَّة خيران العامري أنه يسعى في القيام بدعوة الدولة الأموية، فاعتقله أشهراً ثم غرَّبه إلى حصن القصر[٣] ثم انتقل إلى بلنسية لنصرة أمير أموي جديد هو المرتضى عبد الرحمن (الرابع) بن محمد، لكن هذا الأمير فشل في العودة إلى حكم قرطبة، فقُبض على ابن حزم من جديد وسُجن من قبل الخليفة المستكفي[٤] .

أما ابن زيدون أشهر شعراء الأندلس ومن المقدمين عند أبي الحزم بن جهور، فإنه وقع فريسة المؤامرات التي حيكت حوله، وأوقعت عليه اتهامات بمحاولة القيام على دولة ابن جهور في قرطبة، وإعادة حكم الأمويين فيها «وأن غشيانه مجالس

١- أحمد العراقي، مقال بعنوان ابو الحجاج يوسف الثالث ملك غرناطة، مجلة دعوة الحق، عدد ٥و٦، ١٩٧٢، ص ١٥٤

٢-ابن الأبار، إعتاب الكُتَّاب، ص ٢٠٣. انظر ملحق (١) رقم الشاعر ٢٩.

٣-ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد ، طوق الحمامة في الإلفة والأُلاَّف، تحقيق فاروق سعد، دار مكتبة الحياة . بيروت ١٩٨٦، ص٢٦٢. انظر ملحق (١)، رقم الشاعر ١٦.

خيران العامري، مولى المنصور بن أبي عامر، وهو من أوائل الفتيان الذين أعلنوا استقلالهم بعد انهيار الدولة بالأندلس على أثر الفتنة البربرية سنة ٣٩٩هـ ، واتخذ ألمرية مركزاً له، ودبَّرها حتى وفاته سنة ٤١٩هـ ثم صار الأمر فيها إلى زهير العامري نحو عشرة أعوام، انظر البيان ٣: ٦٦ وأعمال : ٢١٠..

٤-ابن حزم، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه، تحقيق إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩، ص ١٩٩

المرتضى عبد الرحمن الرابع بن محمد ، نصب خليفة بشرقي الأندلس ، وزحف إلى قرطبة بمن معه من الموالي العامريين سنة ٤٠٩هـ ، وفي الطريق عرجوا على غرناطة لمقاتلة البربر فيها فانهزموا أمامهم، وصرع المرتضى في ذات السنة. انظر الذخيرة ١/١:٤٣٣ وأعمال : ١٣٥.

والمستكفي محمد بن عبدالرحمن ، هو الذي قام على المستظهر لشهرين من خلافته سنة ٤١٤هـ ، إبان الفتنة، وهو والد الأديبة المشهورة ولَّادة صاحبة ابن زيدون، وقد خلعه أهل قرطبة لستة عشر شهراً من خلافته ، ورجع الأمر إلى المعتلي بن حمود سنة ٤١٦ وقتل المستكفي فيها، انظر الذخيرة ١/١ : ٤٣٣ وأعمال :١٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولاّدة غشيانٌ مريب، قد يخفي خلفه مؤامرات سياسية مع أقاربها الأمويين المخلوعين »[١]، ثم دُبِّرت له تهمة استغلال إرث لبعض مواليه والاستيلاء عليه، فتولى محاكمته عبدالله بن أحمد المَكْويّ الذي أدّاه إلى السجن[٢]، وكانت هذه المحاكمة قد أُعِدّت خصيصاً ، لينال ابن زيدون عقاب السجن على أثرها.

وبهذا يتضح أن المؤامرات السياسية كانت وسيلة سهلة للإيقاع ببعض الشخصيات التي سُجنت، وكل هذا يبين أن الحاكم حريصٌ دائماً على مُلكه، ولو شعر للحظة بحركة صغرى قد تقضي على ملكه ، فإنه سرعان ما يلبث أن يستأصلها من جذورها، ولو كان القائمون عليها من المقربين إليه ، وأحياناً يتم التخلص منهم دون الفحص الدقيق لثبوت الجرم عليهم.

وكانت فترة الفتنة البربرية بالذات فترة فوضى سياسية كبيرة، ونظراً لتعاقب الحكّام والخُلفاء فيها ، دون أن يستقر أحدهم في الحكم مدة كافية للإنجاز الحضاري ، فإن الهمّ الوحيد الذي كان يشغلهم هو كيفية القضاء على الطرف الآخر المنافس، والإيقاع بأعوانه ومريديه، وعلى هذه الحال تعاقبت على قرطبة زمن الفتنة جموع الأمويين ، والبربر، والحموديين، إلى أن انتهى الأمر بهم جميعاً إلى قطع الدعوة للخلافة الأموية، والاتفاق على تولية أبي الحزم بن جهور زمام الحكم في قرطبة.

وغيرُ بعيد عن هؤلاء الشاعر الكبير لسان الدين بن الخطيب ذو الوزارتين[٣]، الذي وقع أيضاً فريسة المؤامرات السياسية التي دُبِّرت ضده، وكانت تتلخص في اتهامه بمحاولة إغراء سلطان المغرب عبد العزيز بن أبي الحسن بمُلْك الأندلس، ونُمي ذلك إلى سلطان غرناطة محمد بن الأحمر، فبعث في طلبه ولم يمكّنه منه، حتى ولي المغرب السلطان أبو العباس أحمد المريني، الذي آوى ابن الخطيب إلى حين، ثم أغراه عدو ابن الخطيب سليمان بن داود بالقبض عليه، فتّم ذلك وبُعث الخبر إلى ابن الأحمر، فأرسل كاتبه ووزيره (بعد ابن الخطيب) عبدالله بن زمرك، وعُقدت لابن الخطيب محاكمة عُرض عليه فيها بعض كلماتٍ له وقعت في كتبه،

١- ابن زيدون ، أبو الوليد أحمد بن عبدالله، ديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق علي عبد العظيم، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٧، ص٤٠. (مقدمة المحقق) انظر ملحق (١) رقم الشاعر ٢٦ .
وأبو الحزم جهور محمد بن جهور ، من بيت وزارة مشهور، كان وزيراً في الدولة العامرية، ولما اضطرمت نيران الفتنة بقرطبة وانتهت إلى انقضاء دولة بني أمية فيها، ضبط أبو الحزم قرطبة، ودبّرها حتى وفاته سنة ٤٣٥هـ انظر المغرب ٥٦/١ والنفح ٣٠٢/١.
وولاّدة ، هي ولّادة بنت الخليفة المستكفي، كانت واحدة زمانها ، حسنة المحاضرة مشكورة المذاكرة ، أديبة شاعرة، جزلة القول ، حسنة الشعر ، كان لها مجلس أدبي بقرطبة، يغشاه أدباؤها وظرفاؤها، أخبار ولادة مشهورة مع ابن زيدون عُمِّرت طويلاً ولم تتزوج. انظر الذخيرة ٢٤٨/١ والصلة ٦٥٧/٢.
٢- ابن الأبار ، إعتاب، ص٢٠٧.
عبد الله أحمد المكوي والده كبير المفتين بقرطبة أيام الجماعة ، وقد استقضاه أبو الحزم بن جهور ، ولم يكن من القضاء في ورد، لقلة علمه ومعرفته، ثم صرفه عنه ابنه أبو الوليد سنة ٤٣٥ هـ ، وكانت مدة عمله في القضاء ثلاث سنوات، وبقي خاملاً معطلاً حتى وفاته سنة ٤٤٨هـ انظر الصلة ٢٦٧/١ والمغرب ١٦٠/١ .
٣ - انظر ملحق (١) رقم الشاعر ٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَوبِّخ ونكِّل وامتُحن بالعذاب، وأعيد إلى محبسه.[١]

وكانت التهم الظاهرة التي ألحقها به أعداؤه أنهم «نسبوه إلى الزندقة، والانحلال من ربقة الإسلام، بتنقُّص النبي عليه الصلاة والسلام، والقول بالحلول والاتحاد، والانخراط في سلك أهل الإلحاد، وسلوك مذاهب الفلسفة في الاعتقاد، وغير ذلك مما أثاره الحقد والعداوة والانتقاد»[٢]

ويظهر أن المؤامرات السياسية التي كانت تجري كانت تُغطَّى أحياناً بتهم ضد الدين، وهي التهم التي كانت العامة معبَّأه ضدها، ولا ترحم صاحبها المتُّهم فيها.

وسجن عدد لا بأس به من الشعراء على خلفية الأسباب السياسية كالاتهام بالتورط في أمور تضايق الحاكم وتؤرقه.

فقد حُبس عبد الملك بن إدريس الجَزيريّ من قبل المظفر بن المنصور بن أبي عامر؛ لاتهامه عندما قُتل عيسى بن سعيد القطاع[٣]، وسُجن أبو الحسن بن نزار وهو من أعيان وادي آش عندما حسده أهل بلده وقصدوا تأخيره عن ملك بلدهم(لما انتشر سلك لمتونة)[٤] فخطبوا لملك شرق الأندلس ابن مردنيش، ونموا إليه أبياتاً لأبي الحسن تتضمن أطماعه في الملك، فقبض عليه.[٥]

١- انظر التفاصيل، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٩، المجلد ٧ ص ٧٠٨، والمقري، النفح، ج٥ ص ١٠٤- ١١٢

وعبد العزيز بن أبي الحسن أبو فارس هو سلطان المغرب الذي آوى ابن الخطيب، ورفض الانتقام منه لاتهامه بالزندقة من قبل أعدائه. انظر المعجب ٢٩٨ والنفح ٤: ٣٧٨.

وابن الأحمر هو الغني بالله محمد بن يوسف ولي سلطان غرناطة بعد وفاة أبيه سنة ٧٥٥ هـ، وكان قد أبقى لسان الدين بن الخطيب وزيراً كما كان زمن أبيه، ثار عليه أخوه اسماعيل وخلفه، فلجأ الغني بالله إلى سلطان المغرب ثم عاد ثانية إلى غرناطة سنة ٧٦٣هـ، ثم نكب ابن الخطيب وتوفي سنة ٧٩٣ هـ، انظر الإحاطة ٢:٢-٥٩.

وأحمد بن أبي سالم المريني أبو العباس هو سلطان المغرب الذي سلم لسان الدين بن الخطيب إلى سلطان غرناطة ابن الأحمر، بموجب الشروط التي اتفق عليها الأخير مع محمد بن عثمان (ابن عم السلطان أبي العباس) وحزبه، لمبايعة أبي العباس سلطاناً، انظر ابن خلدون ٣٣٧:٧ والنفح ١٠٥:٥.

وسليمان بن داوود بن إعراب، هو كبير بني عسكر، اتفق والوزير محمد بن عثمان على نكبة لسان الدين الخطيبل، وكان سليمان شديد العداوة له، وأسلمه إلى السلطان ابن الأحمر. انظر النفح ١١١/٥.

وابن زمرك هو محمد بن يوسف أبو عبدالله، أحد تلامذة ابن الخطيب، حلّ محله في الكتابة والوزارة للغني بالله، وهو شاعر مشهور، ولما قبض على ابن الخطيب في المغرب، كان ابن زمرك على رأس الوفد الذي قدم على السلطان أبي العباس، وتمّ استدعاء ابن الخطيب، وعدّدت هفواته عليه، وحكم عليه بالسجن، ثم قتل وكان مصير ابن زمرك مشابهاً لمصيره؛ حيث قتل بين أهله من قبل حرس السلطان محمد بن يوسف، بعد سنة ٧٩٥ هـ انظر الإحاطة ٢٢١:٢، وأزهار ٧:٢-٢٠٦.

٢- المقري، النفح، ج٥ ص١١٨.

٣- ابن سعيد، المغرب، ج٢ ص ١٢٣- ٢٢٣، والمظفر عبد الملك بن منصور بن أبي عامر أبو مروان قام بالأمر بعد وفاة والده سنة ٣٩٢هـ وجرى على سنن أبيه في السياسة والغزو، دامت أيامه سبع سنين، وبقي في أثنائها حاجباً ولم يتعدّ على حقوق الخليفة المحجور هشام المؤيد، توفي المظفر سنة ٣٩٩هـ، انظر أعمال :٨٣ والنفح١: ٤٢٣

وابن القطاع عيسى بن سعيد اليحصبي كان وزيراً للمنصور بن أبي عامر ثم لابنه المظفر، واتهم ابن القطاع وهشام بن عبد الجبار بالتآمر على المظفر ونقل الخلافة لهشام هذا، فقتله المظفر سنة ٣٩٨هـ انظر البيان ٣: ٢٧ -٣٥ والذخيرة ١/١ : ١٢٣ .

٤-أي عند انقضاء دولة المرابطين. انظر ملحق (١) رقم الشاعر٤٣.

٥- المقري، مصدر سابق، ج٣ ص ٤٩٢

وابن مردنيش محمد بن سعيد أبو عبدالله، كان قد ملك شرق الأندلس، لما اشتغل المرابطون بحرب الموحدين في المغرب، فاضطربت الأندلس وتفرقت، حتى خلصت فيما بعد للموحدين، وتوفي سنة ٥٦٧هـ انظر أعمال ٢٥٩ والنفح ٣: ٤٩٢ و ٥٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من التهم المتعلقة بالأسباب السياسية صدور أقوال في ذم الحكام والخلفاء، وكبار القوم، ورجال الدولة المتنفِّذين، والإساءة إليهم والتهكم عليهم ، فقد سُجن يوسف بن هارون الرمادي، وعيسى بن قرلمان المعروف بالزبراكة [١]، ضمن مجموعة «العصبة البُطَراء من أهل قرطبة، المستخفين بالطاعة الصائلين بذَرب الألسنة...رُموا بالاستخفاف والتعطيل والغَمْص للخليفة والرُّتوع في أعراض الناس ونشر مثالبهم، في أشعار يجتمعون على صوغها ويتبارون فيها» [٢]

وذكر عن الرمادي أنه «شاعت عنه أشعار في دولة الخلافة وأهلها» [٣]، فسجنه الخليفة الحكم المستنصر، كما سجن أحمد بن فرج الجياني الذي «لحقته محنة لكلمة عامية نطق بها نُقلت عنه» [٤] «ورُفع له أنه هجاه» [٥] فنقم عليه لسبعة أعوام قضاها في السجن، حتى مات فيه.

وكذلك سُجن الشاعر مؤمن بن سعيد، الذي «كان آفته التهكم بالناس، وتتبُّع زلاَّتهم وتمزيق أعراضهم» [٦]، وقد أوقعه لسانه الطويل في الحبس عندما هجا الوزير هاشم بن عبدالعزيز لَّما وقع في الأسر ، في غزوة له ضد ابن مروان الجليقي الثائر بِبَطَلْيوس [٧]، ووصل ذلك لهاشم، فلما تخلص من أسره «نصَبَ له حبائل السعاية عند الأمير محمد ، حتى أطال حبسه» [٨] وكان مؤمن في حبسه يكثر من النظم والنثر يستعطف هاشماً، ويكثر التشفع بجدِّه، وهاشم لا يعيره التفاتاً، فأقذع في هجائه ، لكنه ظل يتأمل العفو والفرج، ، حتى إن أهل السجن كسروه ذات يوم وفروا منه، «فرغب عن الفرار وظنَّ أنَّ ذاك يخلصه، فلما وقف هاشم بباب الحبس لمعاينة مَن فيه والنظر في أمره ، خرج إليه مؤمن واستعطفه فلم يلتفت إليه ، وأوصى السجَّان بإيصاده ، فقتله اليأس إلى ستة أيام» [٩].

فمثل هذا التطاول باللسان على كبار الشخصيات لا يرحم المذنب وتكون عاقبته السجن وسوء المصير ، حتى لو استعطف واسترحم واعتذر عما يدور، فإنه لا يلقى جواباً يثلج صدره ، ولا عفواً يفك قيده .

وكذلك كانت عبارة قصيرة سبباً في سجن قائلها عامر بن عامر [١٠]، الذي كان مختصاً بصحبة الوزير هاشم بن عبد العزيز ، وكان هاشم قد «سلَّطه على الوزير محمد بن جهور فكان يتتبع سقطاته ، فاتفق أن نادمه في مُتَصَيَّد للأمير محمد ،

١- انظر ملحق (١) رقم الشاعر ٢٤ .
٢-ابن حيان، المقتبس، ت حجي، ص٧٣-٧٤ والغَمْص : الاحتقار والتهاون بالحق.
٣- ابن خاقان، المطمح، ص٣١٧ .
٤- ابن بشكوال، الصلة، ج١ ص٣٠
٥-ابن سعيد، المغرب، ج٢ ص٥٦
٦- ابن بشكوال، مصدر سابق، ج١ ص ١٣٢ انظر ملحق (١) رقم الشاعر ٣٨
٧- حول هاشم بن عبد العزيز انظر ملحق (١) رقم الشاعر ١٨ .
وابن الجليقي هو عبد الرحمن بن مروان بن يونس ، ثار مع جماعة من المولدين في سنة ٢٥٤ هـ في ماردَة، في عهد الأمير محمد ، وقتل على يد أصحابه ، لخلاف وقع بينهم، زمن الناصر في سنة ٣١١هـ انظر أعمال: ٢١.
٨- ابن بشكوال ، مصدر سابق ، ج١ ص١٣٣
٩- المصدر ذاته، الصفحة نفسها.
١٠- انظر ملحق (١) رقم الشاعر ٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلما دارت الكاس قال ابن جهور لخادمه : هات التفاح المخروج ، فضحك عامر من لحنه ، وجعل يقول : يا ضيعة الوزارة حين تولاها الأبله اللّحانة ! فغضب وضربه بالسياط »[١]، وحاول هاشم إنقاذه من يد ابن جهور فلم يستطع ، مما حطَّ من قدره أمام الناس .[٢]

فابن عامر هنا لم يقصد التطاول والتهكم ، بل جاءت تعليقاته على لحن ابن جهور في ساعة أنس ووقت لعب، ومع ذلك لم يغفرها له الوزير وحقدها عليه، وجازاه بسببها جزاءً قاسياً : الإهانة والضرب والسجن .

وسُجن بمثل تلك الجريرة أيضاً عبد الملك بن غصن الحجاريّ من قبل المأمون بن ذي النون ، وكان قد نقم عليه بسبب صحبته لابن عبيدة رئيس بلده وبلغ المأمون أنه يقع فيه كثيراً، وأنه هجاه في بعض شعره، فنكبه شر نكبة وسجنه .[٣]

ونُكب مثله الوزير أحمد بن عطية القضاعي على يد عبد المؤمن بن علي الموحِّدي ، بسبب أبيات نقلها أعداؤه على لسانه أوغرت صدر الخليفة عليه، فسجن حتى هلك في سجنه .[٤]

وهكذا كان ذمُّ الحكام وكبار القوم من التهم القوية المودية بأصحابها إلى النكبة والاعتقال ، حتى لو لم تكن إلاّ مجرد كلام ينقل للحاكم، أو تعليقاً ساخراً في جلسة لهو ، فهذا لا يجوز بل يوجب العقوبة، التي قد لا يتبعها غفران أبداً .

ومن الأسباب السياسية أيضاً بطش أولي الأمر (من خلفاء ووزراء) وانتقامهم من بعض الذين تعرضوا لهم سابقاً ، ولم يكن باستطاعتهم وقتها الانتقام، فأجّلوا ذلك إلى حين الفرصة المناسبة ، ومنها نكبة الوزير هاشم بن عبد العزيز نفسه على يد الأمير المنذر بن محمد ، حيث كان هاشم «يُحسدُ لمكانه من الأمير محمد وخاصته به، فكانوا يسعون به عند المنذر ويكررون ذلك عليه حتى تنافرت القلوب »[٥] فحقد المنذر عليه حتى تولى الأمر بعد وفاة أبيه، وزاد حسّاد هاشم بأن تأوّلوا عليه أبياتاً قالها عند مواراة الأمير محمد في قبره بأنه يتمنى موت المنذر بدل أبيه.

وقد نال هاشم في نكبته عنَتاً وعذاباً شديداً ، حتى قتله المنذر في سجنه ، ولم يكن اكتفى بذلك بل «انتهب ماله وهدم داره وألقى أولاده في السجن، وألزمهم غرم مائتي ألف دينار »[٦] ولم يزالوا كذلك حتى وفاة المنذر . وهكذا لاقى هاشم بن عبد

١- ابن سعيد، مصدر سابق، ج١ ص٩٤

٢- ابن الأبار، الحلة، ج١ ص١٦١ هامش رقم (١)

٣-المقري، النفح، ج٣ ص ٣٦٣

والمأمون بن يحيى بن ذي النون من بني ذي النون وهم ملوك طليطلة زمن الطوائف والمأمون من أعظمهم سلطاناً، ملّك قرطبة من يد ابن عباد، وغلب على بلنسية وأخذها من يد بني ابن أبي عامر، وتوفي سنة ٤٦٧ هـ في قرطبة . انظر أعمال ١٧٧ والنفح ٤٤:١

٤-المصدر ذاته ، ج٥ ص ١٨٣ - ١٨٤ انظر عن الشاعر القضاعي ملحق (١) رقم الشاعر ٣٨.

٥- ابن عذاري، البيان، ج٢ ص ٥١١

والأمير المنذر بن محمد أبو الحكم تولى الإمارة واشتغل فيها وقبلها بمقاتلة عمر بن حفصون في رية بحزم وشدة، توفي سنة ٢٧٥ هـ . انظر البيان ١١٣:٢ - ١٤٠ وأعمال ٢٣ - ٢٥

٦- المصدر ذاته ، ج٢ ص١١٦، وانظر ابن الأبار، الحلة، ج١ ص ١٣٧-١٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العزيز المصير نفسه الذي أذاقه من قبل لمؤمن بن سعيد، فلم يرحمه ولم يعفُ عنه، لأجل كلماته التي قالها فيه، ولم يظهر أثر في شعر هاشم لهذا : بأنه تجرع الكأس نفسها التي سقاها لغيره قبل ذلك ، وكأنه نسي أو تناسى فعلته تلك .

ولم يكف الزمان هاشماً نصيبه من السجن والعذاب ، بل ألحق العذاب بأهل بيته، واستصفى أموالهم وحرمهم منها .

وليست هذه الحالة الوحيدة في انتقام أولي الأمر وبطشهم، إذ يأتي انتقام المنصور بن أبي عامر من خصومه زمن الحجابة العامرية مثلاً ساطعاً على ذلك، إذ عمل على تصفية المنافسين له في سبيل خلاء الجو إلا من سيادته وسيطرته ، وتمَّ له بالفعل ما أراد .[١]

وكان جعفر بن عثمان المُصحَفِيّ الوزير الحاجب زمن الحَكَم - من أوائل الذين نالهم بطش المنصور في سعيه للاستيلاء على السلطة، وإدارة أمور الدولة في عهد هشام المؤيد بن الحكم، فقد سخط الخليفة عليه وصرفه عن الحجابة ، وقُبض عليه وعلى ولده وأسبابه وصُرفوا عما كان بأيديهم من الأعمال ، « وتوصَّل ابن عامر بمحاسبتهم إلى استصفاء أموالهم وانتهاك حرمهم ، وترديد النكبات عليهم ، حتى مزقهم كل ممزَّق » .[٢]

أما جعفر فإن النكبة استمرت عليه سنين عدة يُحبس مرة ويُطلَق أخرى ، حتى اعتقله المنصور في ضيق المُطْبَق ، وكان يزيد في عذابه بأن ينقله معه ذليلاً في غزواته ، أو يَكِلَ أمره إلى غالب (صهره) ويضعِّف عذابه، إلى انتهى إلى قتله في محبسه .[٣]

«وكان جعفر في محنته يتذكر أنه سجن رجلاً منذ أربعين عاماً (زمن الناصر) ولم يطلقه إلا برؤيا قيل له فيها: أطلق فلاناً فقد أُجيبت فيك دعوته : فلما سأل قال: نعم دعوتُ على مَنْ شارك في أمري أن يميته الله في أضيق السجون »[٤]، وكأن استذكاره هذه الحادثة، لَما ودَّع أهله الوداع الأخير قبل أن يودَع المطبق - هو نوع من الاستسلام للقضاء الذي نزل به، ويعطينا مقدمة لما سيكون عليه المصحفي في سجنه من الذل والتخاذل أمام قسوة سجانه المنصور.

ويتبين لنا أيضاً أن الانتقام أحياناً لا ينال المذنب وحده، إذا كان الحاكم هو الآمر بسجنه ، بل كان الحاكم يلجأ إلى معاقبة أهل المذنب وعياله وحتى صحابته والمقربين إليه، في محاولة للقضاء المبرم عليه، وكان إلى جانب ذلك تُسلب أمواله

١- انظر ابن عذاري، البيان ، ج٢ ص٢٥٣ وما بعدها.
٢- ابن عذاري، المصدر ذاته ، ج٢ ، ص٢٦٨ انظر عن الشاعر المصحفي ملحق (١) رقم الشاعر ٤١.
٣- انظر التفاصيل في ابن بسام، الذخيرة، ق٤ م١ ص٤٦، وابن عذاري ، البيان، ج٢ ص ٢٦٥.
وغالب الناصري هو صهر المنصور بين أبي عامر، كان صاحب مدينة سالم، وتزوج المنصور من ابنته، واستعان لذلك في القضاء على جعفر المصحفي، ثم استعان بجعفر الأندلسي على غالب .
انظر أعمال ٦٢ - ٦٥ والنفح ٤٠٠/١
٤- ابن بسام، ق٤ م١ ص٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتُستصفى، حتى لا تقوم له قائمة فيما بعد.

وإذا نقم الحاكم على أحدهم، ولم يتعرض إلا إليه فقط دون عياله وأمواله، فإن ذلك يُذكَر له، فالحجر اليابس، عبدالله بن عبد العزيز المرواني، (الذي سجنه المنصور بن أبي عامر، لتآمره مع ولده على إسقاطه واقتسام ملك الأندلس) سجنه المنصور عندما تمكن من الظفر به، لكنه لم يعاقب أحداً من أهله بعروته، «ولم يتعرض لمنازله وضياعه وأطلقها لبنيه مدة اعتقاله».[١]

ولولا أن هذه مزية في سجن الحجر اليابس لما ذكرها صاحب الحُلّة أثناء كلامه عليه.

ومن بطش أولي الأمر وانتقامهم نكبة الوزير محمد بن عمار على يد المعتمد ملك إشبيلية، فقد كانا صديقين حميمين، وجعله المعتمد وزيراً له، وسيَّرَه إلى مُرْسيَة (تُدْمير) فاستخلصها من بني طاهر، لكن ابن عمار حدَّثته نفسهُ أن يستبدَّ بالأمر فيها وأن يضبط تلك البلاد لنفسه، فتمَّ له بعض مراده وتغلَّب على مُرْسية وأعمالها إلى حين، ثم انتقضت عليه العامة والجند، وهرب يحتمي ببني هود في سَرَقُسْطة حتى أخرجوه منها، فلم يزل يتقلب حتى وقع في حصن شقورة، فقبض عليه صاحب الحصن وقيَّده وجعله في سجنه، حتى بعث المعتمد رجاله لتسلُّمه.[٢]

وعندما وقع في يد المعتمد طيفَ به في قرطبة مقيداً حاسراً، في ثوب خَلَق على الملأ، ثم أُدخل على المعتمد، وجعل يعدد عليه أياديه ونعمه، ولم يستمع إلى توسلاته واستعطافه، وحمله إلى إشبيلية على حاله تلك، وسجنه في غرفة على باب قصره المبارك، وطال سجنه هناك[٣]، وكان قلب المعتمد يرقُّ عليه أحياناً، فقد كان يحضره مراراً بين يديه يعدِّد ذنوبَه عليه، وابن عمار مقرٌّ بها ومعترف.

وكان ابن عمار لا يتحرك إلا تحت سمع وعين، وهذا يعني أنه كان يخرج من غرفة سجنه التي هو فيها، وكانت تُلَبَّى طلباته بطلب الأقلام والأوراق للكتابة عليها، حتى كان المعتمد سيعفو عنه، لكنه عاد وقتله بطبرزين (فأس) بيديه، ولم يزل يضربه حتى برد[٤]، ووُري بقيوده.

ودار الزمان على المعتمد نفسه وكان من أعظم ملوك الطوائف، وحقق لمملكة إشبيلية عهداً زاهياً، لكن أحوال عصر الطوائف كانت مضطربة، فلما سقطت

١- ابن الأبار، الحلة، ج١ ص٢٢١.
وعمر بن حفصون ثائر من ثوار الأندلس من مسالمة الذمة، وهو أول من فتح باب الشقاق والخلاف واسعاً فيها، ثار في زمن الأمير محمد سنة ٢٧٠ هـ في حصن ببشتر من كورة رية، وبلغ من الشقاق مبلغاً لم يبلغه ثائر بالأندلس، وهلك على يد الناصر سنة ٣٠٥ هـ. انظر البيان ٢ : ١٠٦ وأعمال ٣٥.

٢- ابن بسام، الذخيرة، ق٢ م١ ص٣٦٨ وما بعدها، وانظر ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق ل.بروفنسال، ط٢، دار المكشوف، بيروت، ص ١٥٩ وما بعدها. انظر عن ابن عمار ملحق (١) رقم الشاعر ٣٣.

٣- انظر ابن بسام، الذخيرة، ق٢ م١ ص ٤٢٣، والمراكشي عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تصحيح محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط١، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٩، ص ١٢٥.

٤-ابن بسام، مصدر سابق، ق٢ م١ ص ٤٠٣، والمراكشي، مصدر سابق، ص١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طُليطلة سنة ٤٧٨هـ وكانت قاعدة الثغر الأدنى للمسلمين، ازداد الوضع سوءاً بتهديد الإسبان للممالك الأندلسية، واستنجد ملوك الطوائف بالمرابطين حكّام المغرب، فلبى أميرهم يوسف بن تاشفين النداء، وجمع الجيوش وعبر إلى الأندلس، والتقى مع الإسبان في موقعة الزَلاَّقة سنة ٤٧٩ هـ وحقق انتصاراً رائعاً للمسلمين. على أن الوضع لم يستقر إلا عندما عبر ابن تاشفين إلى الأندلس ثانية، وخلع ملوك الطوائف عن عروشهم الواحد تلو الآخر، واقتاد منهم المعتمد بن عباد أسيراً إلى أغمات في بلاد المغرب، وقبض ابن تاشفين أيضاً على عز الدولة بن المعتصم بن صمادح لما دخل غرناطة فيما دخل من الأندلس[١] .

وكانت هذه بطبيعة الحال خطوة لا بد منها من جانب ابن تاشفين الذي رأى صراع ملوك الطوائف مع بعضهم بعضاً، ومحاولاتهم مظاهرة الإسبان والاستعانة بهم ضد بعض، ولذلك فإن نكبة المعتمد إذا نُظر إليها ضمن الإطار التاريخي العام الواقعة فيه، كانت قضية ليست بذلك الحجم الذي تداوله المؤرخون، بما أضفوه على مأساته من تضخيم وألقوه عليها من إضاءات.

أما عن الأسباب الأخرى التي ألقت بالشعراء في السجن فكان منها قضايا اقتصادية ومالية ، فقد سجن الشاعر يحيى الغزال الذي تولّى قبض الأعشار زمن الأمير عبد الرحمن (الثاني) بن الحكم ، وحدث أن ارتفعت الأسعار فتصرَّف الغزال في الحاصلات دون إذن الأمير ، ورفض أن يدفع ثمن ما باع فقُيِّد وسجن بقرطبة [٢] ، وسجن الشاعر محمد بن رشيق القلعي بسبب أموال (بلغت اثني عشر ألفاً من الدنانير) من مال السلطان أفسدها في لذّات نفسه [٣] ، واعتقل ابن الوكيل اليابُري لما انكسر عليه مبلغ عشرة آلاف دينار زمن المرابطين ، وأُشخص منكوباً إلى مراكش. [٤]

و كان الأسر و الوقوع في أيدي الأعداء صورة من صور سجنِ العديد من الشعراء ، الذين قضوا في الأسر مدة قالوا فيها أشعاراً يتشوقون فيها الى أهليهم وديارهم، ويتأملون الخلاص من أيدي الكافرين .

فقد أُسر سعيد بن سليمان بن جودي على يد الثائر عمر بن حفصون [٥] ، الذي أقضَّ مضاجع الدولة الأموية الأندلسية سنوات طوالاً بثورة المولَّدين التي قادها

١- المقري، النفح، ج٧ ص ٤٠ انظر ابن صمادح ملحق (١) رقم الشاعر ٣١ .
ويوسف بن تاشفين اللمتوني، أمير المسلمين وملك الملثمين (المرابطين)، ملَكَ المغرب بسرعة واختط مدينة مراكش، ولما تمهدت له البلاد تاق الى الأندلس، وقد استنجد به ملوك الطوائف هناك.
وهو صاحب غزوة الزلاقة المشهورة، وقد قضى يوسف بن تاشفين على ملوك الطوائف حوالي سنة ٤٨٤ هـ. انظر وفيات ١١٢:٧ والنفح ٣٥٤:٤.

٢- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق الأبياري وزميليه، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٤ ، ص١٣٦ . انظر عن الغزال ملحق (١) رقم الشاعر ٣٧ .

٣- المقري، النفح، ج٣ ص ٥٣١ . انظر عن القلعي ملحق (١) رقم الشاعر ٣٩ .

٤- ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص ٢٢٤ ، والحميري، أبو عبدالله محمد بن عبد المنعم، صفة جزيرة الأندلس، تحقيق ل. بروفنسال، ط٢ دار الجليل، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٩٧.

٥- ابن الأبار ، الحلة، ج١ ص ١٥٩، وابن عذاري، البيان ، ج٢ ص ١٣٤ . انظر ملحق (١) رقم الشاعر ١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في بُبَشْتَرُ ، وأسر أبو محمد عبد الله بن عذرة بطُلَيطلَة في بعض حروب المسلمين والإفرنج [١] ، وكذلك وقع أبو الحسن بن زنون أسيراً بقيجاطة عند الإفرنج [٢] ، وأُخذ أبو عبد الله محمد بن الخشاب أسيراً في أُبْذَة [٣] .وأسر الشاعر عبد الكريم القيسي البسطي عند النصارى في الحروب التي كانت مستمرة في عصره (ق٩هـ) بين قشتالة و مملكة غرناطة، وحملوه إلى(اَبُرة) يابُرَة [٤] .

أما الشاعر الذي سجن بسبب جريمة قتل واضحةاقترفها، فكان مروان بن عبد الرحمن المعروف بالشريف الطليق ، فقد دخل السجن بسبب جارية كان يتعشقها ووجدها مع أبيه فقتله ، وسجن و هو بعدُ فتى يافع لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره [٥] ، وهي جريمة كبرى و قاسية ، قاده إليها طيش الشباب ، فدفع ثمنها من عمره ستة عشر عاماً أخرى .

وهناك بعض الشعراء الذين لم تبين المصادر أسباب سجنهم ، بل اكتفت بذكر خبر السجن دون الخوض في تفاصيله ، مثل الشاعرعبد الله بن الشِّمْر القرطبي الذي «بدر منه ما أوجب سجنه » [٦] فسجنه الأمير عبد الرحمن (الثاني) بن الحكم ، ومثل الشاعر الجزيري في حبسه الأول حيث « عتب عليه المنصور و سجنه في مطبق الزاهرة » [٧] و صرفه عن الكتابة.

* * * * *

و هكذا نخلص إلى أن أسباب السجن في الأندلس كانت متعلقة بـ:

* الجرائم والشرور و المخالفات التي يعاقب عليها بالسجن.
* الأسباب الساسية و منها المؤامرات و الفتن ، وذم السلطان وكبارالشخصيات ، و بطش أولي و انتقامهم من خصومهم.
* أسباب متفرقة منها قضايا مالية كالديون و التصرف بالمال العام دون إذن السلطان بغير حق.

١- ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص١٤٠، والمقري، النفح ج٣ ص ٢٠٥. انظر ملحق (١) رقم الشاعر ٤٢
٢- المقري، مصدر سابق، ج٤ ص١٥ . انظر ملحق (١) رقم الشاعر ٢٤ .
٣-ابن سعيد، مصدر سابق، ج٢ ص٧٥ . انظر ملحق (١) رقم الشاعر١٩ .
٤- البسطي ، عبد الكريم القيسي، ديوان، تحقيق جمعة شيخة ومحمد الطرابلسي، بيت الحكمة، قرطاج، ١٩٨٨، مقدمة الديوان. انظر ملحق (١) رقم الشاعر٧ .
٥- الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٩١، وابن الأبار، الحلة، ج١ ص٢٢٠-٢٢١.
٦- ابن سعيد ، المغرب، ج١ ص ١٢٦ انظر ملحق (١) رقم الشاعر٢٩ .
٧-ابن بسام، الذخيرة، ق٤ م١ ص٣١، وابن الأبار، إعتاب، ص١٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث : طبقات السجناء

ضمت السجون الأندلسية بين جدرانها كثيرين ،وكان هؤلاء ينتمون إلى بيئات اجتماعية واقتصادية متباينة ، فمنهم اللصوص و المجرمون وأصحاب الشرور الذين يستحقون عقوبة السجن على ما قدمت أيديهم ، إذ يذكرابن سعيد أن الأندلس كانت تمور باللصوص الذين لم يتورعوا عن السرقات و دخول البيوت حتي في ولايات أشد الولاة ضبطاً ، و لذلك كانت خطة الطواف بالليل من أهم الخطط في الأندلس «لشطارة عامتها و كثرة شرِّهم وإغيائهم في أمور التلصص إلى أن يظهروا على المباني المشيدة و يفتحوا الأغلاق الصعبة ، ويقتلوا صاحب الدار ؛خوف أن يقر عليهم أويطالبهم بعد ذلك . و لا تكاد تخلو في الأندلس من سماع «دار فلان دُخلت البارحة »و « فلان ذبحه اللصوص على فراشه » وهذا يرجع التكثير منه والتقليل إلى شدة الوالي و لينه ، و مع إفراطه في الشدة و كون سيفه يقطر دماً-فإن ذلك لايعدم» [١] .

و مهما يكن في قول ابن سعيد - الذي نقله المقري- من مبالغة ، فإن هذه الاعتداءات ضد الغير و أملاكهم كانت عقوبتها السجن في سجون خاصة بأصحاب الشرور و الجرائم ، وهذه الفئة أو الطبقة من طبقات السجناء هي التي تكون نزيلة السجن عادة ، ولا استغراب في ذلك ، فهذا هو جزاء أفعالها.

ومع أن السجون نُزُلُ أصحاب الجرائم إلا أنها ضمت فئات أُخرى من السجناء ، ذات مكانة اجتماعية أو سياسية مرموقة (تمَّ سجنها في سجون خاصة غير سجون المجرمين)؛ ذلك أنه بتعدد الأسباب المؤدية إلى السجن - كما سبق -تعددت طبقات السجناء ، فمنهم الوزراء و الشعراء و كبار رجال الدولة من حجاب وقضاة ، وأصحاب مناصب إدارية مختلفة ، و منهم الحكام أنفسهم في بعض الأحيان ، في أوقات الفتن والاضطرابات السياسية على وجه التحديد ، التي شهدها تاريخ المسلمين في الأندلس ، مثل حبس الخليفة هشام المؤيد و الخليفة المستكفي بالله زمن الفتنة البربرية التي شهدتها قرطبة[٢] ، و حبس القاسم بن حمود بمالقة من قبل ابن أخيه يحيى المعتلي [٣] ، و حبس المعتمد بن عباد [٤] (ملك إشبيلية زمن الطوائف) في أغمات ، بعد أن قضى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين على دول الطوائف في سبيل توحيد الأندلس وإعادة استقرارها تحت السيادة الإسلامية ، و حبس السلطان أبي الحجاج يوسف الثالث ابن الأحمر من قبل أخيه محمد ؛ لإبعاده عن اعتلاء عرش مملكة غرناطة(سنة ٧٩٧) إثر وفاة أبيه. [٥] .

١- المقري ، النفح ، ج١ ص ٢١٩

٢- المصدر ذاته ،ج١ ص٤٨٢ ، والمراكشي ، المعجب ، ص٥٦ .

٣- المقري ، مصدر سابق ، ج١ ص٤٣٢ .

٤-انظر ابن بسام ، الذخيرة ، ق٢ م١ ص٦٠ وما بعدها .

٥- أحمد العراقي ، مقال أبو الحجاج يوسف الثالث ، مجلة دعوة الحق، عدد ٥ و٦ ، ١٩٧٢ ،ص١٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما عن طبقة الوزراء و الحجاب من كبار رجال الدولة ، ففي الشرح السابق في مبحث أسباب السجن تبين أن معظم الشعراء السجناء كانوا من رجال الدولة ، البارزين الذين تقلدوا منصب الوزارة الرفيع ؛ ذلك أن الأدب والكتابة كانا من شروط الوصول الى مثل هذه المناصب ، و هذه الشروط كانت مجتمعة في الشعراء الذين جرت عليهم خطوب غيَّرت من أحوالهم ، و أوجبت الانتقام عليهم ، فنالهم السجن والأذى و الملاحقة والقتل في بعض الأحيان، فكان منهم الوزير هاشم بن عبد العزيز وزير الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني ، و الوزير عبد الملك بن إدريس الجزيري كاتب المنصور بن أبي عامر ، والوزير الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي وزير الحكم المستنصر و هشام المؤيد في أوليات عهده ، و الوزيرعبد الله بن عبد العزيز الحجر اليابس وزير المنصور و صاحب طُلَيْطِلة من قبله، ووزير ابنه المظفر ،و الوزير الكبير ابن زيدون وزير أبي الحزم بن جهور في قرطبة ، ووزير المعتمد بن عباد – فيما بعد – في إشبيلية ، و الوزيران ابن حزم وابن شُهَيْد وزيرا الخليفة المستظهر [1] ، زمن الفتنة البربرية ، الذي لم تستمر خلافته غير شهر ونصف، و محمد بن عمار وزير المعتمد في إشبيلية، و الوزير ابن غصن الحِجاري وزير ابن هود صاحب سرقسطة ، و أحمد بن عطية القُضاعي وزير عبد المؤمن بن علي الموحدي في مراكش ، و ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب وزير محمد الغني بالله سلطان غرناطة .

و كان كل وزير منهم يلقى معاملة مختلفة في سجنه، عن غيره من الوزراء المساجين ، و كان مصير بعضهم مأساوياً ذاقوا فيه المر و العذاب و العنت الشديد ، حتى انتهى بهم طريق الآلام هذا إلى القتل ، مثل هاشم بن عبد العزيز ،و المصحفي ، والجَزيري ، وابن عمار ، وابن عطية القضاعي ، ولسان الدين بن الخطيب.

ومَنَّ الله على بعضهم بالفرج بعد الشدة ، و نور الحرية بعد ظلام السجن كابن غصن وابن حز م وابن شُهَيْد ، ومنهم من لم ينتظر أن تجود السماء عليه ، ففر من سجنه ، و هو ابن زيدون.

و ليس الوزراء وحدهم الذين نالهم أذى السجن فقد كان من بين أصحاب المناصب الرفيعة في الدولة ممن تعرضوا للسجن أيضاً- طبقة الفقهاء و القضاة ، ففي عهد المنصور بن أبي عامر تعرض مجموعة من الفقهاء و القضاةللسجن ؛ لظروف سياسية أملتها طبيعة المنصور الذي تفرد بالسلطة وقضى على خصومه و منافسيه في سبيلها، فسُجِن من الفقهاء والقضاة أولئك الذين رفضوا اتخاذ مسجد الزاهرة مسجداً جامعاً إلى جانب مسجد قرطبة ، مثل ابن وافد يحيى بن عبد

١- المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبدالجبار، ولي قرطبة بعد الحموديين، أثناء الفتنة في دولة بني أمية الثانية، إذ كان أهل قرطبة هزموا القاسم بن حمود والبربر معه، واتفقوا على رد الأمر لبني أمية ، واختارو عبد الرحمن هذا وبايعوه سنة ٤١٤هـ وثار عليه المستكفي لشهرين من خلافته في السنة ذاتها. انظر الذخيرة ١/١ :٤٨ والنفح ١:٤٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرحمن اليحصبي [١] ، والفقيه عبد الله بن سعيد بن خيرون الذي توفي منكوباً في سجن المطبق .[٢]

وفي زمن الفتنة البربرية في قرطبة " كانت كل جماعة من الفقهاء تساند أحد الخلفاء فإن انتصروظفر ، عملت على التنكيل بمعارضيها بالقتل و السجن ، فزالت هيبة القضاة والفقهاء في تلك الفترة [٣] حيث تعرض قاضي الجماعة ابن وافد للسجن ؛ إذ كان أحد الأشداء على البربر و خليفتهم المستعين فلما استولوا على قرطبة وخلعوا أميرها ، خلعوا قاضيها وأهين ، وأمر المستعين بصلبه لولا شفاعات الفقهاء الصالحين فاكتفى بحبسه ، إلى أن مات في سجنه معتلاً سنة٤٠٤هـ [٤]

ولمّا حكم ابنُ عباد قرطبة بعد طرد بني ذي النون منها عزل قاضيها محمد بن مخلد واعتقله[٥] ، ولعل سبب عزله و سجنه تأييده لبني ذي النون في حكم قرطبة ، فلماانتصر ابن عباد نكل به و سجنه [٦] ، و سجن أيضاًسعيد بن يحـــــيى قاضي طُلَيْطِلة ، وامتحن وسجن بوَبْذِي ، فمكث فيه إلى أن توفي .[٧]

و سجن مروان بن عبد الله أبي عبد الملك ، قاضي بلنسية من قبل يوسف بن تاشفين ، على أيدي الجند .[٨]

و هكذا نال الفقهاء أذى السجن نتيجة وقوفهم في صفوف المعارضة السياسية لتيار الحكم السائد ، و قد كانت طبقة رجال الفقه و القضاء من الطبقات المميزة في المجتمع الأندلسي ، ولها كبير الاحترام وعظيم التقدير في نفوس العامة والخاصة

١- ابن سعيد ، المغرب ، ج١ ص١١٠ .

وابن وافد يحيى بن عبد الرحمن اليحصبي، كان فقيهاً عالماً من أعلام الشورى في قرطبة، والمبرزين في العلم والرئاسة، ولّاه هشام المؤيد الصلاة ، ثم صُرف عن الأمر سنة ٤٠٢ وسجنه المستعين ، فامتنع عن أكل طعامه حتى اشتدت به علّة ، فمات سنة ٤٠٤هـ و ولم يصلُ عليه أحد من المشاهير خوفاً من السلطان. انظر المرقبة: ٨٨ والمغرب ١:١٥٥.

٢- ابن بشكوال ، الصلة ، ج١ ، ص٢٥٢ . وهو من أهل قرطبة يعرف بابن المحتشم، مولده سنة ٣٤٥، رحل إلى المشرق، توفي بالمطبق منكوباً سنة ٤٠٣هـ ، وأسلم إلى أهله في قيوده، ودفن في مقبرة ابن عباس.

٣- ابن سعيد، المغرب، ج١ ص١٥٥ .

٤- النباهي المالقي ، أبو الحسن بن عبدالله ، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، ص٨٨-٨٩ ، وابن سعيد ، المغرب ، ج١ ص١٥٧ .

والمستعين هو أبو أيوب سليمان بن الحكم ، قدمته البرابرة عندما قتل عمه هشام بن سليمان بن الناصر زمن الفتنة، وبويع له بالخلافة سنة ٤٠٠هـ، وكان قد انتصر على المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بمعاونة البربر والنصارى، وأقام إلى أن ثار عليه علي بن حمود الإدريسي وقتله سنة ٤٠٧هـ انظر الذخيرة ١/١ :٣٥ الصلة ٢:٥.

٥- ابن بشكوال ، الصلة ،ج٢ ص٥٢١ .

ومحمد بن أحمد بن مخلد أبو عبدالله، من أهل قرطبة وقاضيها، تولى القضاء فيها مرتين، الأولى بتقديم محمد بن جهور والثانية بتقديم المأمون يحيى بن ذي النون، وامتحن وصُرف عن القضاء واعتقل، وتوفي بإشبيلية بعد انطلاقه سنة ٤٧٠هـ انظر الصلة ٢:٥٢١.

٦- محمد خلاف ، تاريخ القضاء في الأندلس ، ص١٤٠ .

٧- ابن بشكوال ، مصدر سابق ،ج١ ص٢١٨ .

وهو سعيد بن يحيى ، كان قاضي طليطلة بتقديم المأمون بن ذي النون ، ولم يزل يتولاها حتى وفاة المأمون، وامتحن أبو الطيب وسجن بسجن وبذي إلى وفاته سنة ٤٧٢ هـ

٨- ابن الأبار ، الحلة ، ج٢ ص٢١٨ وما بعدها . انظر ملحق (١) رقم الشاعر ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«وسِمَة الفقيه عندهم جليلة وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيهاً لأنها عندهم أرفع السمات. »[١].

* * *

وهكذا يتبين لنا تعدد طبقات السجناء في السجون الأندلسية ، نتيجة تعددالأسباب المؤدية إليها ، ونتيجة اختلاف طبقات المتهمين أو المتورطين في القضايا التي جعلت السجن مصيرهم .

ونتيجةً لهذا التباين في طبقات السجناء فإن السجون كانت مصممة و مقسمة لتناسبه ، فكان أصحاب الجرائم والشرور والعامة يوضعون في سجون خاصة بهم ، وللخاصة سجونهم الأخرى.

١- المقري ، النفح، ج١ ص٢٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الرابع : أكثر العصور والحكّام سجناً

كان تاريخ المسلمين في الأندلس حافلاً ، على مدى الثمانية القرون (٩٢-٨٩٧هـ) التي حكموا فيها، وقد قُسِّم هذا التاريخ من قبل المؤرخين إلى عصور، هي على التوالي:

* عصر الفتح سنة ٩٢هـ
* عصر الإمارة الأموية سنة ١٣٨هـ
* عصر الخلافة سنة ٣١٦هـ
* عصرالحجابة العامرية سنة ٣٦٦هـ
* عصر الفتنة البربرية سنة ٣٩٩ هـ
* عصر ملوك الطوائف سنة ٤٢٢هـ
* عصر المرابطين سنة ٤٨٤هـ
* عصر الموحدين سنة ٥٤١هـ
* عصر بني الأحمر سنة ٦٣٥هـ -٨٩٧هـ

وكانت هذه العصور التاريخية زاخرة بالأحداث، وكان لكل منها مميزاته الخاصة، وسماته العامة، ولم تكن هذه العصور لتُخْلق هكذا، إلا من طبيعة السكان وتركيبة المجتمع الجديد، الذي بدأ يتشكل منذ وطئت أقدام الفاتحين أرض الأندلس.

وكان الفاتحون لهذه البلاد هم نواة المجتمع الأندلسي في المراحل الأولى لاستقرار المسلمين فيها، وكان المسلمون الوافدون على أرض الأندلس قد جاءوا من:

- المشرق وهم العرب من يمنية وقيسية، قدموا على شكل طوالع.[1]
- المغرب وهم البربر وكانوا العنصر الأساسي في جيش طارق بن زياد الذي فتح الأندلس .

ولم يكن هؤلاء الوافدون قد نزلوا أرضاً خالية، بل إن سكان البلاد كانت لهم مواقف مختلفة، فمنهم من بقي على دينه وتعايش مع المسلمين في المجتمع الجديد، وسمي هؤلاء بالمستعربين، وقد تمتعوا بحرية كبيرة واستقلال في إدارة شؤونهم الخاصة، ثم أخذ عددهم يتناقص تدريجياً على حساب فئة جديدة هي المسالمة، وهم الإسبان الذين اعتنقوا الإسلام، بغض النظر عن دوافعهم؛ حيث أن اعتناقهم الإسلام

١- ابن القوطية القرطبي ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تقديم عبد الله الطباع ، دار النشر للجامعين، ١٩٦٣ ، ص٤١-٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان ينقلهم من المعاملة على أنهم من أهل الذمة إلى اعتبارهم مسلمين.

وإلى جانب هذه العناصر كان هناك عنصر مهم من عناصر المجتمع الأندلسي يكبر جيلاً فجيلاً، وهو جيل المولّدين، وهم نتاج تزاوج المسلمين والإسبان، وكان لهؤلاء دور كبير فيما بعد، عن طريق الثورات المتعددة التي قاموا بها للانفصال عن سيطرة العاصمة قرطبة، مثل عمر بن حفصون الثائر المشهور، ومروان بن الجلّيقي وغيرهما.

وكان هناك اليهود الذين لعبوا دوراً بارزاً في العلوم والترجمة، والصقالبة (وهم الأسرى المجلوبون من أوروبا)، الذين كانوا يُرَبَّوْنَ تربية عسكرية، فوصلوا إلى مناصب مهمة، وسطع نجمهم في عصر الحجابة العامرية.

وقد تمازجت هذه العناصر فيما بينها، وكانت هذه البنية الاجتماعية المتنوعة قد ساعدت على الاستيعاب السريع لمنجزات الشعوب الأخرى، وهذا ساعد على خلق تنوع حضاري وثقافي متميز في الأندلس، أثمر حضارة رائعة هناك ، لا نزال نقطف منها حتى اليوم.

وفي الجهة المقابلة فإن هذه البنية المتنوعة للمجتمع الأندلسي، كانت تمر في بعض الأحيان بشيء من الاضطرابات والفتن السياسية، التي كان الحكام يلجأون عادة في سبيل إخمادها إلى القمع ،بواسطة القتل والسجن والاعتقال، وغيرها من الوسائل التي تساعد في القضاء عليها.

وكان العصر الأول من عصور المسلمين في الأندلس -وهو عصر الفتح- قد شهد نزاعات عدة، أدت إلى اضطرابات وفوضى سياسية. وكان هذا يتطلب من الدولة أن تقوم بدورها تجاهها، وتجاه تثبيت النظام وأركان الأمن في البلاد، ولذلك كان السجن مؤسسة مهمة للدولة في بداياتها، وحتى لو كان السجن بشكله البسيط ودوره المحدود.

ثم استقرت الأمور التنظيمية والإدارية للسجون في عهد الإمارة، فتأسست الشرطة في زمن بني أمية ونُوِّعت إلى شرطة كبرى وصغرى[1] وجعل لكل منهما اختصاصات، وكانت السجون تابعة لخطة الشرطة؛ لتنفيذ العقوبات والتوقيف بحق المخالفين والخارجين على النظام العام للدولة، وبحق المعارضين السياسيين لنظام الحكم، على الرغم من أن عصر الإمارة والخلافة، لم يشهدا تعسُّفاً واضحاً في أحكام السجن التي صدرت فيهما.

وعندما نحاول أن نتبين أي العصور الأندلسية أو الحكام الأندلسيين كان أكثر تعاملاً مع السجن، تقفز إلى أذهاننا سريعاً صورة الحاجب المنصور محمد بن أبي

١- ابن خلدون ، المقدمة ، ص٢٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عامر، الذي استطاع أن يحكم قبضته الحديدية على مقاليد الحكم زمن الخليفة هشام المؤيد بن الحكم، فتولى حجابته وهو صغير، ثم حجر عليه، وتولى أمور الخلافة بنفسه.

وقد شهد عصر الحجابة العامرية استبداداً وسيطرة واسعين من قبل المنصور، الذي استطاع أن يجعل لنفسه مكاناً بارزاً ومميزاً في تاريخ المسلمين في الأندلس، وكان هذا العصر حافلاً بتصفية الخصوم، والقضاء على كل من تسوّل له نفسه القيام على المنصور أو الانقلاب ضده ،والضرب على أيديهم بحزم وشدة لا تعرف اللين، حتى إنه قتل ولده عبدالله؛ عندما حاول التآمر للوثوب على أبيه وملك الأندلس من بعده.[١]

وبالطريقة ذاتها تخلص المنصور من المزاحمين له على طريق التفرد بسلطان الدولة، فقضى على الحاجب المصحفي بواسطة التقرب إلى غالب الناصري قائد الجند، ثم قضى على غالب بالمصاهرة والمهادنة.

وهكذا خلا الجو للمنصور، وقبض على زمام الأمور، كما أنه بنى قصر الزاهرة وانتقل إليه بأهله ورجاله وسلاحه، ونقل إليه الدواوين والأعمال، وعطّل قصر الخلافة، وأشاع أن السلطان فوّض إليه النظر في أمر الملك ، وتخلّى لعبادة ربه[٢]، حتى إنه أمر أيضاً بالدعاء له على المنابر عقب الدعاء للخليفة.

ويُذكر للمنصور أنه كان مجاهداً غازياً، قام بغزوات كثيرة ضد الإسبان، وحقق عليهم انتصارات متوالية.

وفي المقابل كان المنصور مستبداً مسيطراً، ويدل على ذلك كثرة تجارب السجن التي مرّ بها الشعراء ،وغيرهم ممن لوحقوا بتهم مختلفة فنالهم الاعتقال، إذ كان المنصور سبباً في الإيقاع بحوالي عشرة شعراء (سنتناولهم في هذه الدراسة)، وسجنهم لانتقامه وبطشه بهم، أو ملاحقتهم بسبب تهم تمس الدين، وهي التي كان المنصور يتقصى أهلها ويتحراهم ويوقع عليهم العقوبات، ومنهم من سُجن أيضاً على خلفية مؤامرات سياسية، والطموح نحو الحكم.

وعلى الرغم مما وصل إليه المنصور وما حققه فإنه «احترم طوال حياته أبهة الخلافة وحافظ على امتيازاتها سليمة لا تُمس من أجل مولاه هشام الثاني، الذي كان يحكم البلاد بالاسم دون الفعل، وأورث هشام نفس سلطات الحاجب الابنَ الأثير للمنصور عبدَ الملك، الذي خلف أباه ، واتخذ لنفسه لقب التشريف المظفر»[٣]، وسار على سَنَن أبيه.

١- ابن عذاري ، البيان ، ج٢ ص٢٨٣ .
٢- المصدر ذاته ، ج٢ ص٤١٠-٤١١ .
٣- كولان ،ج س ، الأندلس ، لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ، ط١ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ودار الكتاب المصري القاهرة ، ١٩٨٠ ،ص١٢٤-١٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن الخروج على هذه السُّنة كان سبباً في بدء عصر الفتنة البربرية في قرطبة[١]، التي شهدت فوضى سياسية كبيرة وفتناً كثيرة، حيث قام بالأمر عبد الرحمن بن المنصور (الذي خلف المظفر)، وهوالمعروف في المصادر بسانشو الصغير أو شنجول، وأراد أن يسلب الخليفة ما بقي من سلطات فطلب ولاية عهده، ووافق الخليفة المؤيد على ذلك ، فزاد حنق الناس على العامريين ، ووجدوها فرصة للقيام ، فخلعوا المؤيد وبايعوا محمداً بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر[٢]، ثم قام عليه البربر.

واستمر الحال هكذا ،يبايَع لخليفة فيقوم عليه آخر، وكلٌ تسانده جماعته، وتقف خلفه وتشد أزره، واستمر هذا الحال عشرين عاماً تقريباً، إلى أن انتهت الفتنة، وانتهت معها رسوم الخلافة الأموية من الأرض.

وكانت هذه الفتنة قد نالت من قرطبة ،بالتخريب والتدمير الذي لحق معالمها الحضارية ، وكان مالكو الأمر أثناءها يعملون على القضاء على خصومهم بشتى الوسائل الممكنة كالسجن والاعتقال، والقتل والتنكيل في أحيان أخرى، حيث تورد المصادر التاريخية حوادث سجن واعتقال لعدد من شخصيات المجتمع القرطبي في ذلك العصر، وكان ضمنهم بطبيعة الحال الشعراء، الذين نالهم ما نال غيرهم في غمار الفتنة، «لا لأنهم كانوا دائماً في صفوف المعارضة ، وإنما لأن الشاعر كان في الوقت نفسه شخصية سياسية، يصيبه ما يصيب رجل السياسة عند تقلُّب الأوضاع واصطدام المطامع المتباينة، واضطراب حبال الأهواء من حال إلى حال في فترات متقاربة»[٣].

ويعد عصر الفتنة وما رافقه من فوضى سياسية وخراب عمراني حلَّ بقرطبة، من العصور التي نشطت فيها حركة الاعتقالات ؛ لأن كل طرف في خضم هذه الفتنة كان يود الفوز بحكم قرطبة، ولذلك نال السجنَ كثير من الشخصيات السياسية كالوزراء والحجاب والشعراء، ومن الحكام أنفسهم الذين توالوا على قرطبة في تلك الفترة، كما بينّا سابقاً عند الحديث على طبقات السجناء.

* * * * *

وبذلك نلاحظ أن المنصور يعد من أكثر الحكام الأندلسيين سجناً للمخالفين والمشبوهين ، وقد يرجع ذلك إلى طبيعته المستبدة المسيطرة .

١- انظر ابن عذاري ، البيان ، ج٣ ص٥٠-١٥١ ، وابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص١٠٤-١٤٣ .

٢- المقري ، النفح، ج١ ، ص٤٢٦ .

وشنجول هو عبد الرحمن بن المنصور تلقب بالناصر لدين الله وولي حجابة هشام المؤيد بعد أخيه عبد الملك ، ولقب بشنجول نسبة إلى جده لأمه الإسباني ، وكان له دور كبير في إشعال الفتنة بقرطبة عندما طلب ولاية العهد من المؤيد ، وأعطاه إياها، فثارت ثائرة الناس، وتوفي سنة ٣٩٩هـ، انظر البيان ٣:٣٨ أعمال ٨٩ -٩٨ .

ومحمد بن هشام بن عبد الجبار باعث الفتنة بالأندلس تلقب بالمهدي وهو الذي أخذ الخلافة من هشام المؤيد يوم أقبل على القصر ومعه اثني عشر فتىً من أصحابه وقتل صاحب المدينة ، فهابته العامة وتداعت له. انظر أعمال : ١٠٩.

٣- إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة، ص ١٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يعد عصر الفتنة البربرية من أبرز العصور الأندلسية التي شهدت نشاطاً ملحوظاً في حركة السجن والاعتقالات ؛ نتيجة الفوضى المستشرية والاضطراب اللذين رافقاها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

موضوعات أشعار السجناء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان الشعر للشعراء السجناء يمثل تعزية للنفس عن المصاب الذي حلّ بها. لذا تناول الشعراء في التعبير عن تجربة السجن موضوعات متعددة دارت حول تلك التجربة الرهيبة التي مروا بها، وما تركته في نفوسهم من آثار، كانت سلبية في الغالب.

وكانت معظم تلك الأشعار تدور في فلك الاستعطاف والعتاب، أو وصف المأساة التي يعانون، والحديث عن الذكريات بالمقارنة بين ماضيهم وحاضرهم، أو الشوق للأهل والأحبة، وتناولوا أيضاً موضوعات أخرى مثل وصف مكان السجن ووصف القيد، والحديث عن السجناء، وتهديد الخصوم، ومواقف الأمل واليأس التي تقلبوا فيها، وخلاصة تجربتهم أو الحكمة التي خرجوا بها من هذه التجربة.

وسنتناول هذه الموضوعات بالتفصيل فيما يلي:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول: الاستعطاف والعتاب

هو أحد فنون الشعر العربي الذي قيل لأسباب متعددة، وهو لدى الشعراء الذين تعرَّضوا لتجربة السجن من الموضوعات التي شغلت حيزاً كبيراً من أشعارهم، وهذا شيء طبيعي؛ لأن أغلب هذه الأشعار اتجهت إلى الحكام وذوي النفوذ الذين تسببوا بسجن أولئك الشعراء، وكان الغرض من التوجه إليهم بالأشعار نيل العفو والصفح، وهذا الطلب يلائمه الاستعطاف ويحقق مبتغاه؛ لأن تلك الفئة التي قامت بسجن الكثيرين أمكن في بعض الأحيان أن تلين قلوبها باستعطافٍ وتوسلٍ يؤديان في النهاية إلى الحرية، كما حصل مع بعض الشعراء الذين كانت قصائدهم الاستعطافية سبباً في إطلاق سراحهم، لا سيما إذا خالط هذا الاستعطافَ المدحُ والاعتذار، كما سنبين.

ويظهر أن الكثير من شعراء السجون طرقوا هذا الموضوع؛ لأنه كان يمثل لديهم أمل الخلاص من السجن، والانطلاق إلى عالم الحرية من جديد، فكانت جلُّ أشعارهم تدور حول الاستعطاف والعتاب والاعتذار، في سياق استرحام الحاكم بأمرهم حتى يعفو عنهم.

وكانت أشعار الاستعطاف أحياناً تغلّفها مسحة من التذلل والخضوع للحاكم مع الاعتراف بالذنب؛ لتكون أبلغ تأثيراً في سبيل غايته، أو قد يختلط هذا الاستعطاف بالمدح؛ ليأخذ مأخذه في نفس الحاكم فيعفو ويصفح، وقد يتوجه الشاعر أحياناً باستعطاف عن طريق شفيع يشفع له، ويتوسل به للوصول إلى ما يتمنى.

ومن الجدير بالذكر أن شيوع الاستعطاف في شعر السجن في غياب أشعار تعبر عن الصمود والثبات على الموقف، يؤكد أن أسباب السجن بما فيها السجن لأسباب سياسية - لم يكن ليعبر عن حركة سياسية أو اجتماعية منظمة قائمة على الاختلاف المبدئي، بل كانت عبارة عن نزاعات ومطامع ومصالح فردية، مما جعل الانكسار والاستسلام للسجّان أمراً شائعاً لدى أغلب السجناء من الشعراء، ولم نلاحظ تمرداً ظاهراً وخروجاً قوياً على الحاكم؛ لأن هذه التجربة تقضي في كثير من الأحيان على حديث النفس بالتمرد، وإن وجدنا أن هناك بعض من أخذتهم العزة بأنفسهم ولم يتذللوا للسّجان، لكنهم على الرغم من ذلك لم يثوروا في وجهه، على اعتبار أن السجن يكسر شوكة السجين، ويضعه في زاوية صعبة، ويكون نقطة ضعف في موقفه، بينما من الجهة المقابلة يكون سجنه نقطة لصالح سجّانه.

ومن أشهر الشعراء الذين دارت أشعارهم في السجن حول الاستعطاف والعتاب الشاعر الحاجب جعفر بن عثمان المُصحَفيّ، الذي نُكب على يدي الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، عندما استطاع أن يملك زمام الأمور في الدولة، بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر، وتسلُّم ابنه الصغير هشام المؤيد مقاليد الحكم، فتخلص المنصور من خصومه المنافسين له، في سبيل أن يخلو الجو له، وكان ضمن هؤلاء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنافسين الحاجب المصحفي، فنقم عليه المنصور، ونكبه هو وأهله واستصفى أموالهم وكان يسجنه تارة ويطلقه أخرى، ثم زَجَّه في سجن المطبق بالزهراء حتى مات هناك سنة ٣٧٢هـ «وأسلم ميتاً إلى أهله، وما ترك الناس بعدُ أن عدوه في قتلى ابن أبي عامر، وزعموا أنه دسَّ له شربة سم قضت عليه»[١] وقيل «قُتل خنقاً في البيت المعروف ببيت البراغيث في المُطَبق»[٢].

«وكان جعفر في محنته أخور الناس أرأمهم للذل وأحبهم في الحياة، انتهى به الاستخذاء لمحمد بن أبي عامر والطمع في الحياة أن كتب إليه يعرض نفسه عليه لتأديب ابنيه عبدالله وعبدالملك، فقال ابن أبي عامر: أراد أن يستجهلني ويسقطني عند الناس، وقد عهدوا مني ببابه مؤملاً، ثم يرونه اليوم بدهليزي معلماً»[٣].

وهذا يساعد على رسم صورة المصحفي في سجنه، وقد أبدى خضوعاً وتذللاً كبيرين لابن أبي عامر، الذي كان يزداد في إهانته له، والتجبر به، حتى قضى عليه.

ونلمح في أشعاره ما يعبر عن قمة انكساره واستسلامه لسجَّانه، بما يدل على أن نفسه قد وصلت في يأسها إلى الحضيض، ولا سيما عندما يطلب من المنصور أن يجعله خادماً لديه مقابل إطلاقه من سجنه. ولم يزل المصحفي يتذلل للمنصور ويستعطفه بأشعاره التي ظل يقولها ،حتى ينس في النهاية من العفو. ومن ذلك يقول المصحفي مستعطفاً:[٤]

«عفا الله عنك ألا رحمةً ... تجود بعفوك إن أبعدا

لئن جلَّ ذنبٌ ولم أعتمده ... فأنت أجلُّ وأعلى يدا

ألم تر عبداً عدا طوْرَهُ ... ومولىً عفا، ورشيداً هدى

أقِلني أقالكَ منْ لم يزل ... يقيكَ ويصرفُ عنك الردى»

فنحن نلمس من جانبه الخضوع إلى درجة الإقرار بالذنب حتى يمكن له الخلاص من سجنه .لكن تلك الأبيات لم تُلِنْ قلب المنصور، فتوجه إليه بأبيات أخرى لعلها تثير فيه الشفقة والعطف على شيخوخته، فقال:[٥]

«هبني أسأتُ فأين الفضلُ والكرمُ ... إذ قادني نحوك الإذعانُ والندمُ

يا خير منْ مُدَّت الأيدي إليه أما ... ترثي لشيخ رماه عندك القلمُ

بالغتَ في السخط، فاصفح صفح مقتدر ... إنَّ الملوك إذا ما استُرْحموا رحموا »

١- ابن بسام، الذخيرة، ق٤ م١ ص٤٨-٤٩.
٢- ابن عذاري، البيان، ج٢ ص٢٧٠.
٣- المصدر ذاته، ج٢ ص٢٦٨.
٤-محمد محمود يونس، ما تبقى من شعر الحاجب المصحفي، مجلة آداب المستنصرية، عدد ١٢، ١٩٨٥، ص١٨١.
٥-المرجع ذاته ، ص ١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الأبيات أيضاً لم ترحم المصحفي، بل زادت المنصور حنقاً وغضباً عليه، حتى قضى في سجنه، وهو في أقصى حالة من التذلل والخضوع، وكأننا به يقدم كل ما يمكنه في سبيل الحرية: يتذلل ويستعطف ويعتذر ويأسف ويعاتب، بل ويعلن تنازله عن طموحاته السياسية ويعلن ولاءه للحاكم الجديد.

وتجعلنا هذه الأبيات نشعر بأثر المحنة الشديد على نفسية المصحفي، الذي أُحبط إلى درجة أن أشعاره كانت كالبيان السياسي، الذي يعلن فيه استسلامه وتراجعه عن كل ما كان يتميز به في منصبه، ويعزز فيها موقف الحاكم الجديد بإعلان الولاء والخضوع، فشهدنا بذلك سقوط رجل دولة وسياسي كبير من رجالات الخلافة الأموية في الأندلس.

أما الشاعر عامر بن عامر بن كليب الذي كان مختصاً بالوزير هاشم بن عبدالعزيز ،وسلْطَهُ على الوزير محمد بن جهور، فكان يتتبَّع سقطاته إلى أن سجنه، فيقول مستعطفاً ومعاتباً:

«عظم الخطاءُ فهل تقيلُ ... يا سيدي أم ما تقولْ؟
أنت العزيز بهفوتي ... وأنا بها العبد الذليل
تالله لو أني استطعـ ... ـتُ لما بدا مني فضول
ولما رأى مني الصديـ ... ـق سوى قوام لا يميل
ولسان صدق لا يزو - ... ل من الصواب ولا يحول
فأبت عليَّ الكأس إلا ... أن يداخلني الذهول»[1]

فالشاعر هنا يتنازل ويتراجع عن موقفه تراجعاً حاداً ويعترف بذنبه معه .لذلك يستعطف ويعتذر، ويلقي باللوم على فعل الكأس في عقله وبأن ما صدر منه ما كان عن سابق إصرار، ونراه يلجأ إلى التدوير في أبياته ليلائم غرضه في الاستعطاف.

والشاعر عبدالملك بن غصن الحجاري يقول مستعطفاً ومعاتباً ومقرّاً بذنبه:[2]

«فديتك هل لي منك رحمى لعلّني ... أفارق قبراً في الحياة فأُنْشَرُ
وليس عقابُ المذنبين بمنكر ... ولكن دوامُ السخطِ والعتب منكر
ومن عجبٍ قولُ العُداةِ: مُثَقَّلٌ، ... ومثلي في إلحاحه الدهرَ يُعْذَرُ»

فهو يقر بذنبه وبالخطأ الذي ارتكبه في حق المأمون بن ذي النون لما بلغه أنه يقع فيه، لكنه يلح في طلب العفو تحت تأثير الضغط النفسي الشديد الواقع عليه في هذه المأساة.

١- الأبيات كلها عند ابن الأبار، الحلة، ج١ ص ١٦١-١٦٢، وعند ابن سعيد، المغرب ج١ ص ٩٤ ما عدا البيت الأخير
٢- المقري، النفح، ج٣ ص٤٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان الشاعر ابن غصن الحِجاري قد ألَّف في سجنه رسالة في صفة (السجن والمسجون والحزن والمحزون) أودعها ألف بيت من شعره في الاستعطاف، كانت سبباً في إطلاقه والعفو عنه.[١]

ومثله نجد ابن الأبار القضاعي يقر بذنبه ويعترف بخطئه وحِدَّتِه التي كانت سبباً في السخط عليه، فيقول معتذراً:

«لُبشِّري برضاك أن يتحكَّما ... لا المالَ أستثني عليه ولا الدما
أيَّ المعاذر أرتضي لجناية ... عظُمَت ، ولكن ظلُّ عفوك أعظما
ندمي على ما ندَّ مني دائمٌ ... وعلامةُ الأوَّاب أن يتندما
يا طول بؤسي مُبسَلاً بجريرتي ... إن لم تجزني بالتجاوز منعما
مولاي عبدك ما له من مَعْدِل ... عن دار عدلك منذ حلَّ وخيِّما
أهونْ بما لاقاه من هُونٍ إذا ... لاقاك مرتاحاً له متبسماً »[٢]

فهو مقرٌّ بذنبه وبخطئه، لكنه يعوِّل كثيراً على عفو مولاه وصفحه عنه، ولذلك يجد أن كل الأعذار التي قد يقدمها لتسويغ موقفه تُمحى بعفو مولاه، وتهون كل المصاعب وتزول إذا ما حلَّ عليه من مولاه الرضى والسرور، الذي أخذ عليه حِدَّته التي كان عليها ابن الأبار، فصرفه السلطان أبو زكريا الحفصي[٣] عن الكتابة ونفاه إلى بجَّاية.

وكذلك حال الوزير أحمد بن عطية القضاعي الذي سجنه عبدالمؤمن بن علي الموحدي، فخاطبه من سجنه برسالة بديعة يستعطفه ويسترحمه فيها لينقذه من مأساته، فقال خاضعاً متذللاً:[٤]

«عطفاً عليّ أميرَ المؤمنين فقد ... بانَ العزاءُ لفرط البث والحَزَنِ
قد أغرقَتْنا ذنوبٌ كلها لُجَجٌ ... وعطفةٌ منكم أنجى من السفن
وصادفَتْنا سهامٌ كلها غرض ... ورحمةٌ منكم أوقى من الجَنَن
هيهات للخَطْبِ أن تسطوَ حوادثه ... بمن أجارَتْه رحماكم من المِحَن
أنتمُ بذلتُم حياة الخلق كلِّهمُ ... من دون منٍّ عليه لا ولا ثمن
ونحن مِنْ بعض مَنْ أحييتْ مكارمُكم ... كلتا الحياتين من نفس ومن بدن »

١- ابن بسام، الذخيرة، ق٣ م١ ص٣٣٢، وابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص٢١٨.
٢- ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص٢٥٦ . انظر ملحق (١) رقم الشاعر (١).
٣- وأبو زكريا يحيى بن عبد الواحد الحفصي سلطان تونس، دعا له سلطان غرناطة لما بويع سنة ٦٢٩هـ، ولما مات أبو زكريا حدثت فتنة بموته ، ثم استقرت الدولة لابنه أبي المستنصر قاتل ابن الأبار، وكان السلطان أبو زكريا هو السلطان الذي كتب له ابن الأبار ، لكنه غضب عليه ونفاه، فاستعتبه ابن الأبار بتأليفه (إعتاب الكتاب) حتى غفر له وأعاده إلى الكتابة. انظر النفح ٢:٣٢٢ و ٥٩٠ .
٤- المقري، النفح ، ج٥ ص ١٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يطلب العفو من مولاه الذي بلغته سعايات الحاسدين، وأوغرت قلبه عليه، لكنه يثق بعطفه وعفوه وسماحه الذي سينقذه من هذه المأساة، وهو هنا يغلف طلبه بمدح وليِّه وصاحب أمره؛ مستفيداً من عقيدة الموحدين الشيعية في صفات الإمام ، الذي هو سبب حياة الناس.

ومع ما نجد عند بعض السجناء الشعراء من إقرار بالذنب واعتراف بالخطأ، إلا أن هناك من خالفهم في هذا، فمحمد بن مسعود البَجَّاني الذي اتهم عند المنصور برهق في دينه فسجنه في المطْبق قال يخاطبه من السجن ويستعطفه:[١]

«دعـــوتُ لما عـيل صـبـري فـهل ... يسـمع دعـواي المليك الحلـيم

مـولاي مـــولاي ألا عطـــفـة ... تذهب عني بالعـذاب الأليـم

إن كنتُ أضـمـرت الذي زخـرفـوا ... عني فـدعني للقـدير الرحيـم

فـعنـــده نزْاعـــة للشَّـوى ... وعنده الفردوس ذات النعيم»

منكراً تهمته وغير معترف بذنب لم يقترفه، ويبين أن سجنه نتيجة سعي الوشاة ليس غير، ويلح في طلب العفو حتى نفد صبره، ثم يطلب منه أن يترك حسابه لله فيعاقبه أو يثيبه.

ومثله في الإلحاح في الطلب الشاعر قاسم بن محمد المرواني المعروف بالشبانسي، سجنه المنصور لقول صدر عنه[٢] وفي رواية أخرى لأنه «قُرِف وشُهِد عليه عند القضاة بما يوجب القتل فسجن»[٣] .

وهو يستعطف المنصور بأشعار كانت سبباً في العفو عنه، ويلح كثيراً بطلب العفو، ويسأل المنصور قبل الحكم عليه أن يتثبت في أمره وينظر في صدق الاتهام الذي رُميَ به، فيقول:[٤]

«يا من برحمـاه أستـغـثتُ وحُقَّ لي ... من الغياث عُلاك، استر عليَّ دمي

لا أبتـغي فـيـه سوى سَـنَن الهدى ... غرضاً، وأقضية الكتـاب المُحكَم

ناشـدْتُـك الله العظيم وحـقَّـه ... في عبـــدك المتوسِّل المتـحـرِّم

بوسـائل المدح المعادِ نشـيـدُها ... في كل مـجـمـع موكب أو موسم

لا يُسْتَبَح منه حـمىً أرعـاكـه ... يا من يُرى في الله أحمى محـتم»

فتأمل قوله (استر عليَّ دمي) وما فيها من اللهفة والحرقة للعفو، وما تحمله كل لفظة في أبياته من إصرار واتجاه نحو الاستعطاف، ودلالة كلماته التي تحمل صدق

١- المقري، النفح، ج٣ ص ٣٨٩.
٢- المصدر ذاته، ج٣، ص٥٩٢.
٣- الحميدي، الجذوة، ص٥٢٥.
٤- الأبيات كلها عند الحميدي في الجذوة، ص ٥٢٦ ، والأبيات الثالث والرابع والخامس عند المقري في النفح، ج٣ ص٥٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مشاعره وتشعرنا ببراءته.

أما الشاعر أحمد بن عبدالملك بن شُهَيد فكان موالياً للأمويين لكنه لم يحظ مع الحموديين بعلاقة طيبة زمن الفتنة البربرية في قرطبة - فسجن، ووجَّه إلى المعتلي من سجنه قصيدة طويلة يشرح فيها حاله ومأساته في السجن، ويمدحه في سياق استعطافه واعتذاره إليه فيقول:[١]

«قريبٌ بمحتلِّ الهوان بعيدُ ... يجود ويشكو حزنه فيجيدُ
نعى ضرَّه عند الإمام فيا له ... عدُوٌّ لأبناء الكرام حسودُ»

وفي آخرها يقول:[٢]

«وراضت صعابي سطوةعلوية ... لها بارقٌ نحو الندى ورعودُ
تقول التي من بيتها خفَّ مركبي ... أقربك دانٍ، أم نَواكَ بعيدُ
فقلت لها: أمري إلى الذي سَمَتْ به ... إلى المجد آباءٌ له وجدودُ»

وكانت بعض مقطوعات الاستعطاف التي قالها الشعراء السجناء، قد خلطوا فيها الاستعطاف بالمديح، لتكون أبلغ في تأثيرها في نفس الحاكم، كما رأينا لدى ابن شهيد .

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر يحيى بن الحكم الغزال يمدح الأمير عبدالرحمن الثاني ويستعطفه:[٣]

«مَن مبلِغٌ عني إمامَ الهدى ... الوارثَ المجدَ أباً عن أب
أني إذا أطنب مُدَّاحه ... قصدتُ في القول فلم أطنبِ
لا فكَّ عني الله، إن لم تكن ... أذكرْتَنا من عُمَرَ الطيب
وأصبح المشرق من شوقه ... إليك، قد حنَّ إلى المغربِ
منبره يهتف من وجده ... إليك، بالسهلِ والمرحب
أطربه الوقت الذي قد دنا ... وكان من قبلك لم يطربِ»

وقد عفا الأمير عن الشاعر الغزال بعد قصيدته التي منها هذه الأبيات، التي ساق فيها مديحه للأمير في سياق استعطافه، فأعطت النتيجة المرجوَّة وانطلق من

١- ابن شُهَيْد، أبو عامر أحمد عبد الملك ، ديوان، جمع وتحقيق شارل بيلات، دار المكشوف، بيروت، ١٩٦٣، ص٩٩.
٢- المصدر ذاته، ص١٠١-١٠٢.
٣-الغزال ، يحيى بن الحكم، ديوان، تحقيق محمد رضوان الداية، ط١، دار قتيبة، ١٩٨٢، ص٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سجنه.

ومثله الشاعر عيسى بن الوكيل اليابُري، يستعطف ويمدح القاضي علي بن القاسم قاضي مدينة سلا بمراكش، لما أُشخص منكوباً إليها، فيقول:[١]

«حياءٌ يغضُّ الطَّرْف إلا عن العُلى ... وعرْضٌ كماء المُزن في الحَزْن بل أنقى
وفضلٌ نميرُ الماء قد خضَّر الرُّبا ... وعَدْلٌ منيرُ النجم قد نوَّر الأفقا
بلغنا بنعماك الأمانيَّ كلَّها ... فما بقيت أمنيةٌ غير أن تبقى»

وكذلك فعلت هذه القصيدة فعلها وخُلِّي سبيله، وعاد إلى الأندلس.

وقد يرسل السجين استعطافه عن طريق شفيع، يتوسط بينه وبين الحاكم بأمره مثلما فعل ابن الأبار، الذي توسَّل بالأمير أبي عبدالله ليشفع له لدى أبيه، الذي نفاه إلى بَجَّاية، لحِدَّة كانت تعتري ابن الأبار، فقال:[٢]

«مولاي دامت لك السعودُ ... أخطأتُ أخطأتُ لا أعودُ
ما لي براحٌ ولا انتزاحٌ ... موتي في أرضكم خلودُ
كن لي شفيعاً إلى إمامٍ ... ليس على فضله مزيد
عادتُهُ العفو، والموالي ... تعفو إذا أخطأ العبيد»

وكان ابن الأبار قد وضع أثناء نفيه في بجاية مؤلَّفه (إعتاب الكتاب) ضمَّنه قصصاً للمحن التي لحقت بمجموعة من الأدباء والكتاب، وضع فيه بعض أقوالهم الشعرية والنثرية التي قالوها في محنهم تلك، ثم ذيَّل كتابه بأشعار قالها يطلب العفو عن خطئه، أو يتوسل بشفاعة الشافعين لينال الرضا والسماح.

ومثله فعل عبدالله بن عبدالعزيز الملقب بالحجر اليابس، حيث كان سجنه المنصور بالمطبق حين ظفر به؛ لتآمره مع ابنه عبدالله في الوثوب على المنصور، فقال يستشفع بالمظفر عبدالملك إلى أبيه المنصور قائلاً:[٣]

«ألا أيها الحاجب المرتجى ... وأكرم مَنْ كان أو من يكون
دعوتُك دعوةَ مستصرخ ... أحاطَتْ به وأثْخَنَتْهُ المَنون
فإن لم تغثني فمن ذا الذي ... يلوذ به الخائف المستكين
وإن جلَّ ذنبي فأنت الجليل ... وهل لك فيمن عليها قرين»

فهو على الرغم من هذا الذنب العظيم الذي اقترفه (ذنب الخيانة) الذي كان يمكن

١- ابن الأبار، إعتاب، ص٢٢٤، والحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٧. وانظر ملحق (١) رقم الشاعر ٤٥.
٢- ابن الأبار، المصدر ذاته، ص٢٥٧.
٣- المصدر السابق، ج١ ص٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن يقضي عليه - على الرغم من هذا يطلب العفو ويتوسل بشفاعة ابن المنصور لعله ينال مراده؛ ونلمح في كلماته وأشعار غيره ممن استعطفوا صاحب أمرهم عن طريق شفيع أنَّ طلب العطف والتوسل بشفيع إنما يخالطه مدح هذا الشفيع، وأنه ما لجأ إليه إلا لتمتعه بصفات معينة تؤهله للأمل المرجو منه.

وكذلك يستشفع الوزير أبو بكر بن عمار بالراضي بن المعتمد، ليكون شفيعه لدى والده، الذي سجن ابن عمار عندما حاول الانفراد بملك تدمير (مرسية) فيقول: (١)

«يا أيها الراضي وإن لم يلْقَني ... من صفحة الراضي بما أدريه
سهلٌ على يده الكريمة أحرفٌ ... فيمن أسرت فتنثني تفديه»

هنا نشعر أن كلمات ابن عمار تحمل نوعاً من المعاتبة التي تكون بين المقربين، وهذا يفسره مكانة ابن عمار لدى المعتمد الذي كان وإياه على علاقة وثيقة وحميمة، قبل فعلته تلك التي ارتكبها بحق صديقه الحميم.

وكان ابن عمار يائساً في سجنه من عفو المعتمد، لذلك ما انفك يرسل أشعاره القصيدة تلو الأخرى، ويطلب الشفاعة من كل مَن يمكن أن يقوموا بها، فنراه يكتب أيضاً إلى الرشيد بن المعتمد مستشفعاً، ويقول:(٢)

«قل لبرق الغمام ظاهر بريدي ... قاصداً بالسلام دار الرشيدِ
فإذا ما اجتلاك أو قال ماذا؟ ... قلت إني رسول بعض العبيدِ»

إلى أن يقول:

«وإلى أين في الشفيع إذا ما ... لم ألُذْ فيك عنده بالرشيدِ
بفتى نازح المكان مُطِلٍّ ... غائب الشخص ذي اعتناء عتيدِ
مشفقٍ يستجيب لي من قريب ... وأنا أستغيثه من بعيدِ
لو أطلّتْ عليَّ رحمة عينيـ ... ـه، انجلتْ شدَّتي وذاب حديدي»

١-صلاح خالص، محمد بن عمار الأندلسي، مطبعة الهدى، بغداد، ١٩٧٥، ص٣٠٨.
والراضي أبو خالد يزيد بن المعتمد، ولّاه أبوه الجزيرة الخضراء، وكان بها عند إجازة ابن تاشفين البحر فنقله إلى رُنْدة. وكان الراضي من أهل العلم والأدب، وهو شاعر بني عباد بعد أبيه وقد استُنْزِل من رُنْدة عند خلع أبيه وقتل سنة ٤٨٤ هـ هناك. انظر الحلة ٢:٧٠ القلائد ١:١١٠-١١٩.
٢- المرجع ذاته، ص٣٠٩-٣١٢.
والرشيد هو أبو الحسين عبيد الله بن المعتمد أكبر أبناء المعتمد بعد أبي عمرو عباد. ولاه المعتمد عهده، وقدمه إلى خطة القضاء بإشبيلية، وكان له أدب وشعر. انظر الحلة ٢: ٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويستشفع بالمأمون بن المعتمد قائلاً:[١]

«هلا سألتَ شفاعة المأمون ... أو قلت ما في نفسه يكفيني

بيدي من المأمون أوثق عصمة ... لو أن أمري في يد المأمون

أمري إلى مولىً إليه أمره ... وكفاه من فوق كفاه ودونِ»

ويمدحه ابن عمار في هذه القصيدة في أثناء ذلك، لعله يستعيد بالشفاعة حريته المسلوبة.

وكتب ابن عمار من سجنه، وهو غرفة على باب قصر المبارك، إلى المعتمد قصيدته المشهورة، التي يقال إنها كانت آخر قصيدة أرسلها إليه، يستعطفه فيها ويرجوه عفوه:[٢]

«سجاياك إن عافيت أندى وأسمحُ ... وعذرُك إن عاقَبت أجلى وأوضحُ

وإن كان بين الخِطتيْن مزيّةٌ ... فأنت إلى الأدنى من الله أجنحُ

حنانيك في أخذي برأيك لا تطع ... عُداتي، وإن أثنوا عليَّ وأفصحوا

وماذا عسى الأعداء أن يتزيدوا ... سوى أنَّ ذنبي واضح متصحح

نعم لي ذنب غير أنَّ لحلمه ... صفاتٍ يزلُّ الذنب عنها فيسفح

وإنَّ رجائي أنّ عندك غير ما ... يخوض عدوي اليوم فيه ويمرح

ولم لا وقد أسلفت وداً وخدمة ... يكرُّان في ليل الخطايا فيصبح

وهبني وقد أعقبت أعمال مفسدٍ ... أما تفسدُ الأعمال ثمة تصلح

أقِلني بما بيني وبينك من رضىً ... له نسحو رَوْح الله بابٌ مفتّح

وعفٌ على آثار جرم جنيته ... بهبَّة رحمى منك تمحو وتُمصح »

إننا نجد ابن عمار في آخر قصيدة له تنهار مقاومته تماماً، يعترف بذنبه وجنايته التي اقترفها لكنه يأمل بالعفو، فيغرق في ذله وطلب الصفح عن جرمه الذي لا يستطيع أن يداريه، ويتوسل إلى المعتمد بالذكريات الحلوة التي كانت بينهما وأيام الهناء والصفاء، ويعده بأن يصلح ما أفسد... لكن كل هذا يذهب أدراج الرياح، حيث كانت نهايته مفجعة على يد المعتمد الذي قتله في سجنه سنة ٤٧٩هـ[٣].

وهناك مجموعةٌ في أشعار الاستعطاف لشعراء حافظوا على إبائهم وعزتهم، على الرغم من قسوة المصيبة والمعاناة بسبب السجن، فجاءت أشعارهم تستعطف

١-صلاح خالص، محمد بن عمار الأندلسي، ص٣١٣.
والمأمون أبو الفتح عباد أكبر أولاد المعتمد، ولاه أبوه قرطبة حينما استولى عليها ثانية سنة ٤٧١ هـ وقتله المرابطون فيها.

٢-المرجع ذاته، ص ٣١٩-٣٢٠. وتمصح: تزول.

٣-انظر المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١٢٧-١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن دون خضوع وانكسار...

فالشاعر المشهور ابن زيدون الذي ألقاه ابن جهور في السجن على خلفية مؤامرة سياسية، لا نجد في أشعاره ذلك التذلل والخضوع الذي وجدناه عند بعض الشعراء، بل هو في استعطافه يخاطب ابن جهور مخاطبة الند للند ويوازي نفسه به ولا يتذلل إليه.

ومن أشعاره التي مدح بها أبا الحزم بن جهور واستعطفه ليخلصه من محنة السجن، قوله: (١)

«بوّأ الله جهوراً شرف السؤدد ... في السرو واللُباب الصميم
واحدٌ سلّم الجميعُ له الأمر ... فكان الخصوص وفق العموم
قلّد الغُمرُ ذا التجارب فيه ... واكتفى جاهل بعلم العليم
أيها ذا الوزير! ها أنا أشكو ... والعصا بَدءُ قرعها للحليم
ما عنانا أن يأنف السابق المربَط ... في العتق منه والتطهيم
وبقاء الحسام في الجفن يثني ... منه بعد المضاء والتصميم
بأبي أنت إن تشأ تكُ برداً ... وسلاماً، كنار ابراهيم»

فهو يثني على شرف ابن جهور والمرتبة الرفيعة التي تبوأها، بعد انتهاء الفتنة البربرية في قرطبة، وسقوط دولة الخلافة، وإفضاء الأمور إليه ليكون الحاكم الجديد، الذي اتفق عليه الجميع.

ومع هذا كله فإن ابن زيدون لا ينتقص من مقدار نفسه، بل نلمح نبرة التهديد في قوله: والعصا بدء قرعها للحليم، وإن كانت نبرة خافتة.

ويقول أيضاً معاتباً مستعطفاً:(٢)

«عتباك بعد العَتْب أمنية ... مالي على الدهر سواها اقتراح
لم يثنني عن أملٍ ما جرى ... قد يُرقع الخَرْقُ وتُؤسى الجراح
واشفع فللشافع نعمى بما ... سنّاه من عقدٍ وثيق النسّواح
إن سحاب الأفق منها الحيا ... والحمدُ في تأليفها للرياح
وقاك ما تخشى من الدهر مَنْ ... تعِبْتَ في تأمينه واستراح»

١- ابن زيدون، أبو الوليد أحمد بن عبدالله ، ديوان، تحقيق كرم البستاني، دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٠، ص١٢٤-١٢٥ الغُمْر : من لم يجرب الأمور.
٢- ديوان ابن زيدون ، ص١٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فابن زيدون يعاتب سجّانه ويتأمل منه أن يعفو ويغفر، ويمدحه بطريقة ضمنية، فكأنه إذا عفا وغفر خطأه وزلته، يكون كالسحاب سبباً في حياته، كما السحاب سبب في حياة الأرض.

ويقول أيضاً:[١]

«هبني جهلتُ فكان الصُّنعُ سيئة ... لا عذرَ فيها سوى أني من البشرِ

إن السيادةَ بالإغضاء لابسةٌ ... بهاءها، وبهاءُ الحُسن في الخضرِ

فاشفع أكن مثل ممطور ببلدته ... جذلان بالوطن المألوف والوطر»

معترفاً بخطئه وجهله فيما بدر منه، راجياً الصفح متوسلاً بكريم خصاله.

* * * * *

وهكذا نجد أن موضوع الاستعطاف كان من أهم ما قاله الشعراء السجناء؛ لأنه كان يمثل لهم في كثير من الأحيان أمل الخلاص واستعادة الحرية من جديد.

ووجدنا أن مواقف الشعراء في استعطافهم تفاوتت بين متذلل للحاكم الذي أمر بسجنه، وبين معتزٍ بنفسه، وبين جماعة وسطى تقف بين الطرفين.

وتجدر الإشارة إلى أن الشعراء السجناء ، الذين وقعوا في الأسر لدى الأعداء، لم يكن الاستعطاف أحد موضوعات أشعارهم، فلم يستعطفوا العدو، على الرغم من ضيق الأسر وشدة وقعه في نفوسهم.

وكان بعض السجناء يخلطون استعطافهم بمدح الحاكم بغية التأثير في نفسه، وإعطاء نتيجة أسرع في الإفراج عنه، على الرغم من أن ذلك لم ينجح دائماً.

أو كان بعضهم يتوسل في استعطافه بشفيع، له منزلته عند الحاكم الذي سجنه، يجعله يعفو عن المذنب ويسامح المسيء.

١- ديوان ابن زيدون ، ص١٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني : وصف المأساة

إن تجربة السجن تجربة مغايرة تماماً لتجربة الحياة في عالم الحرية، فعالم السجن مختلف كلياً عن عالم الحياة الرحب الواسع، والحياة فيه لها طبيعة أيضاً مختلفة، تتلخص بكلمات البؤس والقهر والعذاب الدائم.

ولذلك فإن غالبية الشعراء وصفوا في أشعارهم هذه الحياة المريرة (إن جاز تسميتها حياة!) التي عاشوها خلف قضبان السجن، داخل جدرانه المنيعة، وبين قيودهم التي يتقلبون فيها.

ويمكن أن نتبيَّن بعض محاور تدور حولها الأشعار التي تحدثوا فيها عن مأساتهم في السجن، فمنها حديثهم المرير عن انقلاب الزمان، وتبدُّل أحوالهم من العز إلى الذل، ومنها الغربة الشديدة التي حلَّت بنفوسهم نتيجة هذه التجربة المؤلمة.

فالسجين في ذلك المكان الذي تتجسَّد فيه كل معاني الشقاء، والذل والمهانة، وغيرها من المعاني المأساوية - يعاني كثيراً ويتوجَّع للمصيبة التي حلَّت به.

يقول ابن غصن الحجاري واصفاً مأساته في السجن: [١]

«نحنُ في حالة لأيسر منها ... يتلظَّى الرَّدى وتبكي الخُطوب
ما لنا في وَطْءِ البسيطة حظٌّ ... لا ولا في نَشقِ الهواء نصيبُ»

فعلى الرغم من أهوال الموت وشدة المصائب على أهلها، إلا أنها تهون أمام مصيبة السجن. ذلك المكان الذي يسرق منه كل لحظة حلوة في حياته، ويوقعه في مصير جعله يفقد فيه حياة البشر العادية، التي يسيرون فيها فوق الأرض ويتنفسون هواءها، فهو محروم من الهواء. وكأن فضاء السجن لا مكان فيه للهواء النقي، الذي يتيح له الحياة كباقي الناس، وكأن السجن من شدة ضيقة ليس هو من الأرض في شيء.

ويقول محمد بن عاصم الغرناطي في سجنه واصفاً مأساته الكبرى: [٢]

« أودعوني تحت الثرى ونسوني ... فمقامي فيه مقامٌ طويلُ
أنا حيٌّ وحالتي حالُ ميتٍ ... ليت شعري هل للخروج سبيل؟ »

فكأن السجن المطبق يخطف منه نور الحياة ، ويتركه إنساناً لا فرق في حياته تلك بينه وبين الأموات.

١- ابن الأبار ، إعتاب ص ٢٢٠ .

٢- ابن عاصم ، محمد بن عاصم الغرناطي، جنة الرضى فيما قدر الله وقضى، تحقيق د.صلاح جرار، دار البشير، عمان، ١٩٨٩ ، م٢ ص٢٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكتب ابن غصن الحِجاري أيضاً إلى أخيه يصف مرارته في السجن قائلاً [١]:

« أأروى وبين ضلوعي حريق ... وأشجى وإنسان عيني غريق
وفي كلِّ يوم وفي كل حين ... يحمِّلني الدهرُ ما لا أطيق
تهيم الخُطوب بوصلي فما ... لهنَّ إلى غير قلبي طريق
أخوك أخو نكبات لها ... يرقُّ العدوُّ فكيف الصديق ؟ »

فمأساة السجن التي حلّت به أشعلت نيران قلبه وأبكت عيونه حزناً وتوجُّعاً، وكأن مصائب الدنيا كلها قد حلّت عليه مجتمعة في مصيبة كبرى هي السجن، ولم تجد هذه المصائب إلا إياه تنزل عليه وتحل، وهذا الوضع السيء المرير يثير شفقة العدو عليه، فكيف بالأخ والصديق؟!

ومثله يشكو الشاعر عبدالكريم القيسي، وهو من بَسْطَة، مأساته في سجنه عندما وقع أسيراً بيد النصارى الإسبان - قائلاً:[٢]

« لبَليَّتي يبكي الحمامُ هديلا ... ولمحنتي يرثي العدو طويلا
ولبعض ما ألقاه تنصدعُ الصَّفا ... والغيثُ يَهْمي بكرة وأصيلا
أسرٌ تصاحبه القيود وضيقها ... ومتاعبٌ تَذَرُ الفؤاد عليلا »

فليس في السجن إلا البلوى والهم والشكوى، وكأن السجن أكبر مصيبة تصيب الإنسان فتجعله موضع إشفاق الأعداء فضلاً عن المقربين والأصدقاء.

وكانت المأساة عند بعض السجناء نقلة هائلة بين حياة العز والرفاه، وحياة الذل والشقاء، ولذلك شكلت صدمة كبرى في حياة ذوي المناصب من الملوك وكبار رجال الدولة الذين حال حالُهم.

وتجربة المعتمد مثالٌ حيٌّ لمأساة كانت تتجدد يوماً بعد يوم[٣] على مدى سنوات سجنه، وكان ذلك بمثابة عاصفة مدمرة أطاحت بعرش البهاء والعز الذي تربَّع عليه، ويظهر هذا في قوله واصفاً الحال التي صار إليها:[٤]

« تبدَّلتُ من عزِّ ظلِّ البنود ... بذلِّ الحديد وثقل القيودِ
وكان حديدي سناناً ذليقاً ... وعضْباً رقيقاً صقيل الحديدِ
فقد صار ذاك وذا أدهماً ... يعضُّ بساقيَّ عضَّ الأسودِ »

ملخصاً مأساته بأبيات قليلة، شارحاً فيها كيف تغيَّر الزمان عليه، ونُكِّستْ

١- ابن بسام، الذخيرة، ق٣ م١ ص ٣٣٢-٣٣٣

٢- ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي، ص١٠٨.

٣- على الرغم من التحفظ الذي نلتزمه تجاه المعتمد، فقضيته هي قضية معاناة فردية، لكننا إذا لم نفصلها عن إطارها التاريخي وظروفها المحيطة ، كانت مجرد خطوة لا بد منها في سبيل أندلس مستقرة سياسياً اتخذها يوسف بن تاشفين، الذي خلع المعتمد وغيره من ملوك الطوائف، واعتقله في أغمات. انظر حول ذلك : الجراري، عباس، الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، ج١، ط١ ، مكتبة المعارف ، الرباط، ١٩٧٩.

٤- ديوان المعتمد ، ص ١٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

راياته الشجاعة التي كان يستظل بها، وهو يعاني الآن ثقل القيود وذل السجن.

والقيود الحديدية التي تحيط به وتثقل على جسده، لا تثقل بثقلها المعدني فقط، بل تثقل على نفسه وروحه بالذل الذي غَمسَتْهُ فيه.

فيقول في ذلّه وغربته في السجن[١]:

«وأبقى أُسامُ الذلَّ في أرض غربةٍ وما كنتُ لولا الغدرُ ذاك أُسامُ»

وهذا يعود بنا إلى بيان معاملة المعتمد في سجنه، فقد كان هذا الكلام في أشعاره يعكس شعوره وإحساسه تجاه ما وقع معه، مع أن الحوادث التاريخية المختلفة المحيطة بسجنه تدل على أن المعتمد كان من السجناء القلائل الذين تمتعوا بامتيازات وحقوق لم تتوافر لغيره، من حيث زيارات أهله وأصدقائه له، ووجود خادم خاص يعمل على خدمته، وتقديمه الهدايا لغيره من داخل السجن.

وعلى الرغم من ذلك لم ينس المعتمد أنه في مصيبة ما بعدها مصيبة، حيث دار الزمان عليه، وبدّله من حال إلى حال، فيقول:[٢]

"وأنا اليوم رهْنُ أسرٍ وفقر مستَباحُ الحِمى مهيضُ الجناحِ
لا أجيب الصريخَ إنْ حضر النا سُ، ولا المعتفين يوم السماحِ"

ملخصاً مأساته التي نزلت عليه من السماء ، فعصفت بعرش ملكه وأباحته للعابرين، وتركته ذليلاً منكسراً في آخر حياته، يتحسر على ماضيه الذي كان فيه سيد الموقف أينما حلّ. أما الآن فلا يستطيع أن يأتي أبسط ما كان يقوم به في ذلك الماضي، الذي حمله محمل الثناء والتقدير بين ملوك عصره.

ومثله يكتب عز الدولة بن المعتصم بن صمادح (ابن صاحب المرية) ، بعد دخول المرابطين الأندلس ، وسَجْنه من قبل ابن تاشفين في غرناطة[٣]، يكتب إلى أبيه في تبدُّل أيامه:

«أبعد السنا والمعالي خمولُ وبعد ركوب المذاكي كبولُ
ومن بعد ما كنتُ حراً عزيزاً أنا اليوم عبدٌ أسيرٌ ذليلُ»[٤]

١- المصدر ذاته ، ص١٧٧.
٢- ديوان المعتمد، ص ١٥٧.
٣-المقري: النفح، ج٧ ص٤٠.
٤-المصدر ذاته ، الصفحة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالمأساة شديدة الوقع على أمثاله وهو ابن ملك ألمرية، والزمان بدّله من عز الملوك إلى ذل القيود.

أما ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب الذي دارت دائرة الأيام عليه، وانقلبت أحواله رأساً على عقب، وانحطت منزلته ومقداره، وأصابته سهام المحن، ورماه القدر في أتون سعايات الحاسدين، حتى سقط في سجنه وعذابه، ونُكِّل به أمام الملأ، فإنه يقول يبكي نفسه ومصيرها[1]:

«بَعدْنا وإن جاورتْنا البيوت ... وجئنا بوعظ ونحن صموتْ
وأنفاسنُا سكنتْ دفعة ... كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنّا عِظاماً فصرنا عظاما ... وكنّا نقوتُ، فها نحن قوت
وكنّا شموسَ سماء العلا ... غربْنَ، فناحت عليها السموت»

لأن ظلام السجن الذي خيِّم عليه كان هزة قوية مرَّ بها هذا الوزير العظيم، الذي ملكَ لسانُه ألبابَ الناس وقلوبهم ، فالسجن لأمثاله من كبار الشخصيات يعدُّ صدمة قاسية يتلقاها من كف الحياة، فيعاني كثيراً بسببها، وهذا ما يظهر في شعره ، فهو يبكي نفسه متوقعاً مصيره المؤلم على يد أعدائه الذين أدخلوه السجن، فأهانوه أيما إهانة، وحطّوا من منزلته الشريفة إلى مكان وضيع، فأصبح عبرة للناس عبر الزمان.

وهكذا ركز هؤلاء الشعراء في عرض مأساتهم على قضية مسَّتْهُم مسّاً شديداً، وهي أن تجربة السجن التي آلوا إليها بدّلت أحوالهم من العزِّ إلى الذل، ومن العَظمة إلى المهانة، وهذه مصيبة كبرى؛ فالمأساة شديدة الوقع على أمثال هؤلاء الذين شغلوا مناصب مهمة في مجتمعاتهم؛ ثم أذاقهم الزمان الهوان بعد العزة.

والشاعر الحاجب المصحفي، الذي تجرَّع في سجنه كؤوس الذل والمهانة، وسقاه إياها المنصور بن أبي عامر، يقول في يأسه وذلّه الذي آل إليه:[2]

«صبرتُ على الأيام لما تولّتِ ... وألزمت نفسي صبرها فاستمرتِ
فواعجباً للقلب كيف اعترافُهُ ... وللنفس بعد العزِّ كيف استذلّتِ
وكانت على الأيام نفسي عزيزة ... فلما رأت صبري على الذل ذلّتِ»

١-لسان الدين بن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، تحقيق محمد الشريف، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، ١٩٧٢، ص ٨٦.
٢- محمد محمود يونس ،ما تبقى من شعر الحاجب المصحفي، ص١٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالشيء الذي أصابه ليس هيِّناً على الإطلاق، وهو على مرارة الحقيقة يعترف بها:يعترف بأنه قد ذُلَّ في السجن ذلاً واضحاً ، بعد العز والرفاه الذي تمتع به، ويعترف بأنه لم يعد يستطيع إلا أن يكون ذليلاً؛ لأن صبره على الذل المتواصل أذلَّ نفسه وأهانها. ونعود للتذكير بأن المصحفي كان النموذج الوحيد بين الشعراء السجناء الذي استعطف إلى درجة الذل ، و لم يُبْقِ على ماء وجهه. وربما يكون ذلك بسبب ما لاقاه في سجنه من عذاب وإذلال و إهانة ، حيث كان المنصور يعذبه و يزيد في عذابه فينقله معه في غزواته ، وإذا لم يجد وقتاً أوكل أمر تعذيبه إلى صهره غالب . و هكذا لم يعد يطيق المصحفي صبراً على العذاب مع كبر سنه فذل وهان ، و هو يمثل نموذج السقوط والانهزام لسياسي كبير في عصره.

أما ابن زيدون فإنه يصف أثر المأساة عليه ،التي من همها الكبير صبغت شعره بلون الشيب و هو بعدُ في شبابه ، فخلفت في صدره لوعة و حسرة ، يقول[١] :

« ومن يسأل الناس عن حالي فشاهدُها ... محض العيان الذي يُغني عن الخبر
لم تطوِ بُرْدَ شبابي كبرةٌ وأرى ... برق المشيب اعتلى في عارض الشعرِ
قبل الثلاثين إذ عهدُ الصبا كثبٌ ... و للشبيبة غصنٌ غير مهتصَرِ
ها إنها لوعة في الصدر قادحةٌ ... نارَ الأسى و مشيبي طائر الشَرَر »

فالشيب الذي اعتلى شعره و هو في بُرْد شبابه ، لم يأت إلا من سجنه و حاله فيه ، تلك الحال التي لاتخفى على أحد إذا أبصره ، وتأمل ما الذي فعله الدهر به.

ويقول مبيناً كيف تحول به الزمان ،و هوت به الأيام من بين النجوم إلى التراب :

« قد كنت أحسبُني والنجم في قرنٍ ... ففيم أصبحتُ منحطّاً إلى العفرِ »[٢]

وأبو الحجاج يوسف بن الأحمر ملك غرناطة يشكو في سجنه في شلوبانية من هذه المأساة ، التي ألمت به سنوات طوالاً ، ولم يطلق إلا بعد وفاة سجّانه أخيه الأمير محمد ، الذي كان أبعده عن الحكم و سجنه ، فيقول مبيناً أثر المأساة :[٣]

« وما شِبْتُ من سنٍ و لكن أشابني ... صروف زمان سوف يلغى به الجبر
وإن زماناً قد أحال شيبتي ... لأجدر أن يعزى إلى فعله الغَدْرُ »

١-ديوان ابن زيدون ، ص١٤٨ . وكثب : قريب
٢-ديوان ابن زيدون ص.١٥.
٣- ابن الأحمر ، أبو الحجاج يوسف بن يوسف ، ديوان ملك غرناطة (يوسف الثالث)، تحقيق عبدالله كنون ، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، ١٩٦٥، ص٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالمأساة بهمها الكبير تتجلى في الشيب الذي غزا مفارق شعره ولما يجاوز سن الشباب ، و بما أن الشيب علامة على مرور الزمن و سنوات العمر ، فكأن هم سجنه يأكل من حياته السنوات إثر السنوات دون أن يشعر أو يدري .

وهذا الشريف الطليق أيضاً يصور تسرب الشيب إلى رأسه في صور جميلة قائلاً:[١]

«وشَّت يدُ الدهرِ رأسي بالمشيب أسى في غيهبٍ بسناء الصُّبحِ مَوْشيِّ
فدبَّ فيه دبيبَ النار في فحمٍ ينفي دُجاه بلونٍ غير منفيِّ
كأنه بمشيبي حين كتَّبها صحيفةً كتبتها كف أميِّ »

وهذه الصور الجميلة التي رسمها للشيب في أثر المأساة عليه ، لاتعني أنه مسرور بحاله،بل إنه يقول في سجنه بأن الزمان ترك الناس أجمعين و تفرغ له ،و لم يجد غيره يشتغل به و يهدي إليه مصائبه ، يقول [٢] :

« تفرَّغ لي دهري فصيرَّني شغلاً و عوَّضني من خِصْبِ روضتي المحلا
يطالب بالثأر النبيل كأنما يرى النُّبْل منه بين أحشائه نَبلاً »

ويقول أيضاً[٣]:

«أصبحتُ في الدهر كالمعقول مختفياً عن العيون وما تخفى مفاهمُهْ
كأنما السجنُ صدري في تضمُّنِه شخصي ، وشخصيَ سِرّي فهو كاتمُه
كأنما الدهر يخشى منه لي فرجاً فمن قيودي على البلوى تمائمه»

وكان الطليق قد قضى في سجنه حوالي ستةعشر عاماً ، ولعله يئس من الخلاص ، فكانت المأساة تتجدد عليه كل يوم ؛لأنه لايرقب لها نهاية قريبة ، فكأن الزمان لايريد أن يمن عليه بالفرج ،فرماه في ثقل القيود وضيق المكان .

و يمكن أن تتضح لنا صورة المعاناة التي عاناها في مأساته من قوله في عيد مرَّ عليه هناك [٤]:

«لقد هيَّج الأضحى لنفسي جوى أسىً كريهُ المنايا منه للنفس أروحُ
كأن بعينيَّ حَلْقَ كلِّ ذبيحةٍ به، و بصدري قلبها حين تُذْبَحُ»

فهو في السجن لا يُسَرُّ بقدوم عيدٍ ولابغيره من الأيام ، و هو يحمل في صدره

١-الكتاني، أبو عبدالله محمد بن الكتاني ، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، ط٢، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ١٩٨١، ص٢٥٦.
٢- المصدر ذاته، ص٢٥٤.
٣-المصدر ذاته ، ٢٦٧
٤- ابن الأبار، الحلة، ج١ ص.٢٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عذاب كائنات الأرض جميعها ، حتى حين تُذبح الأضاحي ابتهاجاً بيوم العيد كأن قلبها الجريح النازف يسكن قلبه دائماً ، كناية عن استمرار الألم وتجدده الدائم في ظلال القيود خلف القضبان .

ويعد الشعور بالغربة من أهم المشاعر التي تعتري السجين ، فهذا السجن الموحش يولّد في النفس شعوراً عميقاً بالغربة و الأسى و الوحدة و الوحشة ، وهذا جزء من الأثر النفسي الذي يخلقه هذا المكان في نفس السجين ، فالسجن بوصفه مكاناً يخطف نور الحرية ، فإنه موحش وغريب على تلك النفس التواقة للحرية دائماً ، وحتى لو أُتيحت في السجن كل وسائل الراحة و الامتيازات التي تمتع بها بعض السجناء ، فلن تتغير نظرة السجين تجاهه .

كذلك ساهم سجن بعض الشعراء في أماكن بعيدة عن أوطانهم في إذكاء شعور الغربة النفسية والمكانية في السجن ، و زاد بالتالي من الهم والذل والعذاب الذي وقعوا فيه .

يقول ابن شُهَيْد [١] :

« فراقٌ و سجنٌ واشتياق وذلةٌ وجبّارٌ حُفاظٍ عليَّ عتيدُ

ولستُ بذي قيدٍ يرنُّ وإنما عليَّ من سخط الإمام قيودُ »

ولا يرى من مصيره في السجن إلا أنه يحمل معاني الفراق والاشتياق ، والذل والرقابة الدائمة ،مع ما تحمله كلمة فراق من دلالات الغربة والبعد .

ومع أنه يقول إنه لم يقيد ، وهذا نوع من الامتيازات للسجين أونوع من تخفيف وطأة السجن على كاهله ؛لأن القيد كان غالباً من لوازم هيئة المسجون، إلا أن هذا الامتياز لم يكن ليعني شيئاً له وهو داخل السجن مسلوب الحرية .

وابن الوكيل اليابري يحس بالغربة والفراق والشوق الشديد إلى وطنه ، حتى قبل أن تطأ قدماه أرض السجن ، حيث قُبِض عليه لانكسار مبلغ عشر ة آلاف دينار عليه ،وكان عاملاً بغرناطة فأشخص منكوباً إلى مراكش بمدينة سَلا ، وهناك مدح قاضيها أبا الحسن من بني القاسم بقصيدته هذه فأعفي من سجنه[٢] :

« غريب بأرض الغرب فُرِّق قلبُهُ فآوت سلا فرقاً ويابُرَة فرقا

إذا ما بكى أو ناحَ لم يلق مُسْعِداً على شجْوِهِ إلا الحمائم والوُرْقا »[٣]

١- ديوان ابن شهيد، ص١٠٠-١٠١.

٢- انظر ابن الأبار، إعتاب، ص٢٢٤، والحميري، صفة جزيرة الأندلس ص١٩٧-١٩٨.

٣- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو قد أحسَّ بالغربة قبل أن يودع سجنه في هذه البلاد ، وكأنه قد قُسِم إلى قسمين من هلعه وألمه لمصيره المشؤوم : قسم عاد يحوم حول الوطن ، وقسم هنا يعاني المرارة والبكاء والحزن الشديد ، وحيداً بعيداً عن دياره ولا أنيس إلا الغمام والحمام .

ويقول الرمادي في سجنه واصفاً مأساته لحبيبته التي يتغزل بها بنوع من تعزية النفس [١]:

« نسائلُها هلا كفاك نحولُهُ ... ونَصْبَتُهُ أو دمعه وهُمولُه
تكنَّفه همَّان : شجوٌ وصبوةٌ ... فبلِّغ واشيه المنى وعذولهُ
فإن يستبن في وجهه همُّ سجنه ... فقد غاب في الاحشاء عنك دخيلهُ
لقد راعني سجنٌ فشطَّ ولو دنا ... من السجن لم يسهل عليَّ دخولهُ »

فهويرسم صورة حقيقية لأثر مأساة السجن على جسمه ونفسه ، فهو نحيل باك دائما ، يظهر في وجهه الشاحب هم سجنه وآلامه ، وهذا ليس كافيا لبيان حقيقة معاناته ، فهو سجين عاشق ، وهذان الهمَّان يأخذان منه كلَّ مأخذ ، فلا يعود فيه رمق ولا رونق من الحياة .

وابن حزم يصف مأساته بما فيها من غربة وذل بقيده قائلاً[٢] :

« مُسَهَّدُ القلبِ في خدَّيه أدمُعُهُ ... قد طالما شَرِقَتْ بالوجد أضلُعُهُ
داني الهموم بعيدُ الدارنازحها ... رجع الأنين سكيبُ الدمع مُفزَعُه
يأوي إلى زفرات لو يباشرها ... قاسي الحديد فُواقاً ذاب أجمعه
تجول حلّتُهُ في ذاته فترى ... آثار ما الدهر بالأحرار يصنعه
جسم تخوّنت الأيام جثته ... فعاد كالشَّنِّ مرآه ومسمعه ».

مصوراً نفسه : باكي العينين حتى جفت مآقيه، كثير الهموم، يتوجع لفراق أهله وديارة، زفراته الحرّى الخارجة من صدره الملتهب تذيب قاسي الحديد، جسمه يضعف وتعبث به يد الدهر. (٣)

وعلى النقيض من هؤلاء الشعراء نجد الشاعر عبدالعزيز بن الخطيب أبا الأصبغ، لا يرى في سجنه إلا عائقاً ومانعاً له من المشاركة في نشاط آخر، فهو يعتذر ليوم مهرجان مرّ عليه وهو في السجن، لا يستطيع المشاركة فيه، يمنعه من ذلك قيوده التي يتقلب فيها، ولو حانت له المشاركة لكان له قصب السبق على الجميع.

١- ماهر جرار ، شعر الرمادي يوسف هارون، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠، ص١٠٣.

٢- إحسان عباس(محقق)، قطعة من شعر ابن حزم ضمن كتاب تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ط٧ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٥ ،ص٣٨٥-٣٨٦.

٣- وهذه الصورة التي يرسمها ابن حزم لنفسه نجدها قريبة مما جاء في كتابه (طوق الحمامة) الذي تحدّث فيه عن موضوع الحب، وضمنه اعترافات ذاتية كثيرة، كشفت عن جوانب شخصية فيه، تتعلق بعواطفه ومشاعره. وهذا يجعلنا نتصوره ذلك الإنسان الرقيق المشاعر المرهف الحس، الذي يلعب الزمان والقدر به، فتفيض عيناه بالدمع الغزير ويشتعل في قلبه البركان وتتأجج في صدره النيران.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول ابن الخطيب في ذلك [١]:

«رويدك أيها الشوق المذكّي بنار صَبابتي بالمهرجانِ
لقد أذكرْتَ مني غيرَ ناسٍ وهِجْتَ لي الصبابة غير وانِ
أيوم المهرجان اعذر فحالي تراها في البلاء كما تراني
ولو لم يثنني طبقٌ وقيد لرحتُ، وقِيدَ لي قصب الرهانِ»

* * * * * * * * *

وبهذا يتبين أن حديث السجناء عن وصف المأساة كان متعلقاً بموضوع الكلام على تغير الزمان وتبدّل الأحوال، من الغنى إلى الفقر، ومن العز إلى الذل. وهذا يعكس لنا وقع هذه المصيبة الكبرى عليهم وكيف تعاملوا معها؛ فبعضهم استمر في صبره على نوائب الدهر، ومنهم مَنْ لم يرجُ أملاً بالخلاص فرثى نفسه وبكاها في أشعاره في أثناء السجن.

وكان هناك حديث عن المأساة وأثرها على جسم السجين ونفسه، وكيف بذاك الجسم ،وقد عبثت به يد الأيام، ولوّنت سواد شعره بالمشيب، وكيف بالنفس وقد احترقت، وبالقلب اشتعل كمداً وهمّاً. كما بيّن هذا الحديث أيضاً شعور الغربة المكانية والنفسية الذي اكتنف السجناء، حتى أولئك الذين تمتعوا منهم بامتيازات مادية ومعنوية في السجن.

١- الحميدي، الجذوة، ص٤٥٦، وابن عذاري، البيان ، ج٢ ص٤٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث: وصف مكان السجن

تناول الشعراء في تجربة السجن التي تعرضوا لها، وصف المكان الذي سجنوا فيه، ذلك المكان المظلم الرطب، الذي يناقض تماماً العالم الرحب المضيء الذي كانوا يعيشون فيه، وكان الانتقال من هذا العالم إلى عالم السجن المظلم الرهيب صدمة قوية تأخذ من الشاعر كل مأخذ، ، وتهزه هزة قوية تضعه على أرض واقع مؤلم مرير، تتجسد فيه كل صور القهر والعذاب والبؤس.

وفي الأبيات الشعرية القليلة التي وصفت مكان السجن، يمكن لنا أن نرسم صورة له، فهو المكان المظلم الضيق، الواقع تحت الأرض كأنه القبر،أو المنتصب في أعالي السماء، تلفه الوحدة وتكتنفه القسوة والمنعة.

ونجد الشاعر الشريف الطليق مروان بن عبد الرحمن يصف ظلام السجن المخيم عليه بمقارنته بقصر الزهراء المضاء ليلاً، حتى كأن السجنَ بظلامه الحبرُ الأسود في دواة بيضاء من العاج، إذ يقول:(١)

«في منزل كالليل أسود فاحم داجي النواحي مظلم الأثباجِ
يسودُّ والزهراء تشرق حوله كالحبر أودع في دواة العاج»

فهذه الصورة التي تحمل النقيضين تعطينا فكرة عن المعاناة التي كان يعيشها وكأن ذلك المكان بظلامه وانحداره تحت الأرض ،قبر يسكنه الأحياء كما يقول ابن حزم:(٢)

« أم كيف حالة حيٍّ ساكنٍ جَدَثاً يرنو بعين أسير عزٍّ مطمعه
قد طال في هاويات السجن محبسه وانشَتَّ من شمله ما كان يجمعه»

أو كما يقول البَجّاني(٣):

« في منزل مثل ضيق القبر أوسعه دخلته فحسبْت الأرض تهوي بي»

ومثل قول محمد بن محمد بن عاصم في سجنه:(٤)

« أودعوني تحت الثرى ونسوني فمقامي فيه مقامٌ طويلُ
أنا حيٌّ وحالتي حال ميتٍ ليت شعري هل للخروج سبيلُ»

١- ابن الأبار، الحلة، ج١ ص٢٢١، والكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ،ص٢٧٤ . والثبّج : وسط الشيء، والأثبج : العريض.
٢-إحسان عباس(محقق)، مرجع سابق ،ص٣٨٦.
٣- ابن بسام، الذخيرة، ق١ م١ ص، ٥٦٤
٤- ابن عاصم ، جنة الرضى ، م٢ ص ٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالسجن في ظلامه وكونه تحت الأرض هو قبر يسكنه الأحياء. ويمكن لنا أن نتخيل ما يلحق مثل هذا المكان من انعدام التهوية والإضاءة الجيدة،وما يترتب على ذلك من رطوبة، ووجود كائنات حية مختلفة تجد في مواصفاته بيئة مناسبة لها، فتزيد في رهبة السجن وقسوته وكأنها تصير لازمة من لوازمه، وتجعل السجناء يعيشون حالة مستمرة من الرعب والخوف. فالمعتمد يحدثنا عن غربان السجن وعقاربه، ويمكن لك أن تتخيل ما يمكن أن يكون هناك أيضاً من هذه المخلوقات المخيفة!

وهو يدعو لغربان أغمات (مكان سجنه) التي نعبت فسمع بعدها خبر قدوم بعض نسائه عليه فأسرّه ذلك ، ولكنه يدعو على عقاربها التي ما زالت تخيفه وترهبه فيقول:(١)

« غربان أغمات لا تَعْدَمْنَ طيِّبةً ... من الليالي وأفناناً من الشجر
كما نعبتنَّ لي بالفأل يعجبني ... مخبِّرات به عن أطيب الخبر
ويا عقاربها لا تعدمي أبداً ... شجاً وعقراً ولا نوعاً من الضرر
كما ملأتن قلبي مذ حللتُ بها ... مخافةً أسلمتْ عيني إلى السهر »

وصوَّر الشعراء في وصفهم للسجن وحشة المكان ووحدة الإنسان فيه، فابن شُهَيْد يحدثنا بقوله:(٢)

« فمن مُبلِغُ الفتيان أني بعدهم ... مقيم بدار الظالمين وحيدُ
مقيمٌ بدار ساكنوها من الأذى ... قيام على جمر الحمام قعود
ويُسمَع للحيات في جنباتها ... بسيط كترجيع الصدى ونشيد
وما اهتز باب السجن إلاتفطَّرت ... قلوبٌ لنا خوفَ الردى وكبود »

ففي أبياته نجد إحساسه الغارق في الوحشة، التي يلفها به سجنه في ذلك المكان ، الذي فيه من صنوف التعذيب والخوف والأذى الشيء الكثير ، وبخاصة الخوف من باب السجن إذا اهتز أو انفتح .

ومثل ذلك نجده لدى المعتمد في سجنه بأغمات، حيث يقول عند حديثه لسرب القطا اللواتي مررن بجانب سجنه:(٣)

١- ديوان المعتمد بن عباد ، ص١٨٩ .
٢- ديوان ابن شُهيد ،ص١٠٠ .
٣- ديوان المعتمد ، ص١٨٧-١٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«هنيئاً لها أنْ لم يُفَـرِّق جميعهـا ولا ذاق فيهـا البُعدَ من أهلها أهلُ
وأنْ لم تبت ليـلاً تطيـر قلوبهـا إذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل
ومـا ذاك مما يعـتـريني وإنمـا وصفتُ الذي في جبلة الخلق من قبـل»

فهو يحسد الطير على حريته وراحته واطمئنانه، ويقارنه بنفسه التي تعيش في جو قاس موحش يزرع الرهبة والفزع في قلبه، وعلى الرغم من أن المعتمد ذلك الملك المخلوع الذي تحمل ألم السجن ومعاناته بصبر وأنفة جعلته لا يتذلل ولا يستجدي حريته، فإنه لا يخفي مشاعره الإنسانية ولا يخفي ما يعتمل في صدره؛ خوفاً من الصمت الرهيب الذي يلف المكان، ويجعل لكل حركة صدىً قوياً وأثراً عميقاً في النفس.

والسكون بالغ الرهبة في السجن الضيق ،والصمت أحياناً يكون قاتلاً، يقول ابن غصن الحجاري:[١]

«في مـحلٍّ كـأنه ظِلْفُ شـاةٍ ليس فـيـه لذي دبيب دبيبٌ»

وهذا السكون الرهيب كما هو في السجن الضيق، قد يكون أيضاً في السجن العالي المنقطع عن العالم، الذي يزيد وحشة السجين وحشةً فوق وحشته التي هو فيها، فكأنه ملاذ الجن والنسور.

يقول ابن عمار في وصف سجنه:[٢]

"عـالٍ كـأن الجن إذا مردت جعلـته مرقـاة إلى النسرِ
وحـش تنـاكرت الوجوه به حتى استـربت بصفحة البدرِ
قصـر تمهدَّ بـين خافقَتَيْ نسـريْن، مـن فلك ومن وكرِ
متجبر سال الـوقار عـلى عطفـيْه مـن كِبَرٍ ومن كِبْرِ
ملكت عنان الريح راحـته فجـيادها مـن تحته تجري"

وهذا الوصف الموحش لمكان السجن العالي نجد ما يشبهه لدى الشاعر عبد الملك ابن إدريس الجزيري، الذي يصف معتقله العالي في أحد أبراج طُرْطُوشَة بقوله:[٣]

«في رأس أجردَ شاهقٍ عالي الذُرى مـا بعده لموحِّد من معمرِ
يأوي إليـه كلُّ أعـور ناعق وتهـب فيـه كلُّ ريح صرصرِ
ويكاد من يـرقى إليـه مرة في عمـره، يشكو انقطاع الأبهـر»

١- ابن الأبار ، إعتاب ، ص٢٢٠ .
٢- صلاح خالص ، محمد بن عمار ، ص٣٠٢ .
٣- ابن الأبار ، إعتاب ص١٩٥، والحميري ، صفة جزيرة الأندلس ،ص١٢٥ ، والمقري ، النفح ، ج٢ ص١٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذا السجن العالي المنقطع عن العالم ليس إلا مكان الغربان الناعبة، وكأنه لا يعقل لبشر أن يصله ، فضلاً عن أن يُحبس فيه.

ونجد بعض الشعراء يصفون مناعة السجن، كقول هاشم بن عبد العزيز في مناجاته لجاريته عاج:[١]

«وإني عـــداني أن أزورك مُطْبَقٌ وباب منيع بالحديد مُـضَـبَّبُ»

والباب المضبب بالحديد: الملّبس به، أو عليه حديدة عريضة. وهذا يعكس لنا معاناة السجين من قسوة السجن ومنعته ، التي يتفق عليها كل السُجناء. فالأبواب موصدة بالأقفال، والحديد بقوته وصلابته يزيد في منعة السجن وقسوته.

وهكذا نستطيع أن نرسم من هذه الأشعار صورة للسجن كما عاشها السجناء وأحسُّوا بها، فالسجن مكان موحش ضيق يؤذي النفس ويجعل للحياة لوناً قاتماً يناقض لون الحرية، أما مكانه فتحتَ الأرض أو الأبراج العالية المنقطعة؛ رغبة في قطع السجين عن العالم ، وأما شكله فمنيع ووثيق الإغلاق على نزلائه، زيادة في انقطاع السجناء عن العالم وراء القضبان، وخارج جدران السجون.

١-ابن الأبار ، الحلة ،ج١ ص١٤٠، وابن عذاري ، البيان ،ج٢ ص١١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الرابع: الحديث عن الذكريات

في غياهب السجن المظلم يرى السجين أمله وبارقة الضوء في أيامه الماضية الجميلة، أيام الحرية والذكريات الحلوة، فتراه يسكن إلى تلك الذكريات يقبس منها جذوةً تنير له حاضره، وقوةً تعينه على تحمل ما وصل إليه في مأساته.

وقد كان الشاعر السجين في لجوئه إلى ذكرياته يقارن بين ماضٍ جميل أسعده، وحاضر قاسٍ يتعسه، فتُطبع صور الماضي التي تظهر في أشعاره - بطابع الحسرة والتألم على ما فات من السعادة والهناء، والإلحاح في التمني بأن تعود هذه الأيام السعيدة من جديد.

والشاعر في خضم مأساته التي يعيشها يفتقد وطنه وأهله وأحبّته، ولذلك نراه يبثهم أشواقه وحنينه المتأجج؛ لأنهم أيضاً جزء لا يتجزأ من ذلك الماضي الذي يتحسر عليه ويتمنى عودته.

ولهذا فإننا في دراسة هذا الموضوع من موضوعات شعر السجن فضّلنا أن نقسم الحديث فيه إلى قسمين:

- المقارنة بين الحاضر والماضي.
- الحنين للأهل والأحبة.

١- المقارنة بين الحاضر والماضي

في هذا الجزء من حديث الذكريات لدى شعراء السجون، نجدهم يقفون موقفاً واحداً؛ ذلك أنهم يتحدثون عن حاضرهم التعس المؤلم ومصيرهم غير المحمود، وفي ظل وصف المعاناة والمأساة التي حلّت بهم، نجدهم يلتفتون إلى الماضي، فتتداعى صوره أمامهم زاهية مشرقة، صور اللهو واللعب، وصور الراحة والسرور.

يبدأ الشاعر في حديث الذكريات المقارنة بين الحاضر المؤلم وبين الماضي السعيد ويتمنى عودته، ويتشبث بكل بارقة أمل تعيده إليه، فالمصحفي اليائس من خلاصه، المعذّب في سجنه يذكر تلك الأيام اللاهية العابثة التي غفلت عنها عين الزمان ويقول:[١]

«فلله أيامٌ مضتْ لسبيلها ... فإني لا أنسى لها أبداً ذكرا

تجافت بها عنا الحوادثُ برهة ... وأبدت لنا منها الطلاقة والبِشْرا

ليالي لم يدر الزمان مكاننا ... ولا نظرت مِنّا حوادثه شزرا»

فهو يتحسر على تلك الأيام التي مضت في غفلة من الزمان، فعاشها بالسعادة التي ظنها لا تنتهي، حتى قَلَبَ له الزمان ظهر مجنّه، فألفى نفسه في محنة لا

١- محمد محمود يونس ،ما تبقى من شعر الحاجب المصحفي، ص١٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحسده عليها حاسد.

ومثله عبدالله بن عذرة الذي أسر في طليطلة، فكتب من موضع أسره لبعض أصحابه:[١]

«لو كنت حيث تجيبني ... لأذاب قلبك ما أقول
يكفيك مني أنني ... لا أستقل من الكبول
وإذا أردت رسالة ... لكم فيما ألقى رسول
هذا وكم بتنا وفي ... أيماننا كاس الشمول
والعود يخفق والدخان ... العنبري به يجول
حال الزمان ولم أزل مـ ... ـذ كنت أعهده يحول»

فيشرح معاناته ومأساته لأصدقائه وكيف حال الزمان به وأوقعه في أسر العدو، وألزمه القيد عن الحركة. هذا الوضع جعله يلتفت إلى ماضي أيامه، أيام اللهو والعبث وليالي الشرب والطرب يتذكرها بحسرة وحرقة، لعلها تواسيه في أسره، وتعود إليه ثانية.

أما المعتمد في سجنه فإنه يتحسر بألم شديد على ماضيه العزيز، الذي سلبه الزمان إياه، وأودعه حياة ذليلة منكسرة في سجنه بأغمات، المعتمد ذلك الملك الذي عاش حياةً ملؤها الشجاعة والفروسية والرخاء والنعمة، انقلب أمامه كل شيءٍ، واستحال العز ذلاً، والغنى فقراً، والسعادة تعاسة وحسرةً لا تفارقانه.

ونجد في تجربة المعتمد أن أشعاره جميعاً قد غلفها الأسى والانكسار. لكن ذلك لم يزده إلا عزةً وأنفةً أمام سجّانه، حيث حافظ في سجنه على إبائه على الرغم من كل شيءٍ قاساه.

وقد احتلت الذكريات حيزاً لا بأس به من أشعار المعتمد في السجن؛ لأن حياته السابقة الحافلة المليئة، قد توارت خلف قضبان سجنه، فلم يبق معه منها غير ذكرى جميلة تعاوده بين الفينة والفينة، تثير في نفسه الشجون والأحزان.

ففي جواب له على قصيدة من ابنه الرشيد، يصف فيها حاضره ويقارنه بماضيه السعيد قائلاً:[٢]

«كنتُ حِلْفَ الندى وربّ السماحِ ... وحبيبَ النفوس والأرواحِ
إذ يميني للبذل يوم العطايا ... ولقبض الأرواح يوم الكفاحِ
وأنا اليوم رهنُ أسرٍ وفقر ... مستباحُ الحِمى مهيضُ الجناح
عاد بِشري الذي عهدتَ عبوساً ... شغلتني الأشجان عن أفراحي»

١- ابن سعيد، المغرب، ج٢ ص١٤٨، والمقري، النفح، ج١ ص٥٠٧.
٢- ديوان المعتمد، ص١٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فماضيه يُختصر بحياةٍ مفعمةٍ بالكرم والبذل والشجاعة والفروسية يوم الكفاح. أما حاضره فتلخصه كلمات الفقر وذل الأسر، إذ عبس الزمان بوجهه بعد أن كان طلقاً بشوشاً.

فأي انكسار وذل عانى ذلك الملك العزيز لما دالت دولته، وأي إهانة لحقته جرّاء سجنه؟ إنها لتجربة مريرة تلك التي عاناها المعتمد، وقد كان الملك الآمر الناهي، فاستحال عبداً ذليلاً في أسره.

وهو يتذكر في سجنه أيامه الهانئة في قصوره الفخمة، التي يبكيها في محنته:[١]

«بكى المبارك في إثر ابن عباد ... بكى على أثر غزلان وآساد
بكت ثرياه لا غُمّت كواكبها ... بمثل نَوْء الثريا الرائح الغادي
بكى الوحيد بكى الزاهي وقُبّتُهُ ... والنهرُ والتاجُ كلٌّ ذُله بادِ»

فأبياته تلك التي تقطر دموعاً ولوعةً يتضح فيها الحزن والذل والانكسار الذي لحق كل شيء يتعلق بالمعتمد ويرتبط به، فبكت قصوره على فارسها المقدام ورثت له في محنته.

والقصور وأبّهة الملك ليست وحدها مما يتعلق به ، فأهله وأبناؤه أكثر لصوقاً به، وفي سجنه يقارن بين حياة بناته في كنف عزّهِ ومُلكِهِ، وحياتهن في ذلّه وسجنه، ويقول وقد دخلت عليه بناته في يوم عيد لزيارته:[٢]

«فيما مضى كنتَ بالأعياد مسروراً ... فساءك العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعة ... يغْزِلْنَ للناس ما يملكن قطميرا
برزْن حولك للتسليم خاشعة ... أبصارهن، حسيراتٍ مكاسيرا
يطأن في الطين والأقدام حافية ... كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا»[٣]

فقد حال شأنُ بناته من الرفاهية والعز إلى ذل الحاجة، الذي كسر قلبه وساءه في سجنه فوق الذي يعانيه في مأساته تلك.

أما ابن زيدون فقد كتب في سجنه قصيدة رائعة تعبق بالحنين إلى الماضي، وذكر أيامه اللاهية، وليالي قرطبة السعيدة، يفوح منها شوقه إلى وطنه وطن الحرية خارج جدران سجنه، ذلك الوطن الذي لم يستطع السجن أن يمحو معالمه من ذاكرة أشواقه. يقول فيها:[٤]

١- ديوان المعتمد ،ص١٦١ .
٢- المصدر ذاته ، ص١٦٨- ١٦٩ .
٣- يشير المعتمد فيه إلى حادثة : أن جاريته اعتماد اشتهت أن تطأ الطين ، فعجن لها المسك والكافور وماء الورد ، ووطئته مع بناتها وصاحباتها ، انظر المقري ، النفح ،ج١ص٤٤٠ .
٤- انظر القصيدة كاملة في ديوان ابن زيدون ، ص٣٧- ٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«تنشّق من عَرْف الصَّبا ما تنشّقا وعاوده ذكرُ الصِّبا فتشوّقا
وما زال لمعُ البرق لما تألقا يهبُّ بدمع العين حتى تدفقا

وهل يملك الدمعَ المشوقُ المُصَبَّأُ ؟

أقرطبة الغرّاء هل فيك مطمعٌ وهل كبدٌ حرّى لبينك تُنْقع
وهل لياليك الحميدة مرجع إذ الحسن مرأى فيك واللهو مطمع

وإذ كنف الدنيا لديك موطّأُ

أأنسى زماناً بالعقاب مرفّلاً وعيشاً بأكناف الرصافة دغفلا
ومَغْنىً إزاءَ الجعفرية أقبلا لَنِعمَ مرادُ النفس روضاً

ونِعْمَ محلُّ الصبوةِ المتبوّأُ»

٢- الحنين للأهل والأحبّة

الأهل والأحباب جزء من معالم الماضي الجميل، وفي حديث الذكريات في أشعار السجناء نصيب لهم؛ لأن فيهم أملاً يتجدد، وتعزية تؤاسي القلب المجروح.

تناول الشعراء في ذكرهم للأهل: الأم والزوجة والأبناء...

وكانت المرأة أمّاً أو زوجة أو حبيبة حاضرة في أشعار السجناء، فهي بمثابة الشاطئ الذي يلقي عليه بهمومه ليرتاح، ومناجاتها والحديث إليها في أشعارهم كان يبعث في نفوسهم الراحة والأمل.

يقول أبو الحسن بن نزار ملتاعاً متشوقاً إلى محبوبته:[١]

«لقد بلغ الشوق فوق الذي حسبتُ، فهل للتلاقي سبيل
فلو أنني متُّ من شوقكم غراماً لما كان إلا قليل
تعللني بالتداني المنى وينشدني الدهر: صبر جميل
فقل لبثينة إذ أصبحتْ بعيداً، فلم يسْلُ عنها جميل
أغضُّ جفوني عن غيرها وسمعي عن اللوم فيها يميل»

فالشوق كبير للحبيبة، ويقترب الشاعر من اليأس في لقائها، ثم يصبِّر نفسه على هذه المصيبة، ويؤكد لها إخلاصه وحبه على الرغم من هذه العقبة.

١- المقري، النفح، ج٣ ص٤٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول هاشم بن عبدالعزيز مخاطباً جاريته عاج يتوجع إليها من مناعة سجنه:[١]

«وإني عداني أن أزورك مطبَقٌ ... وباب منيع بالحديد مضبَّبُ
فإن تعجبي يا عاجُ مما أصابني ... ففي رَيبْ هذا الدهر ما يُتَعَجَّبُ»

ففي قوله يسوِّغ امتناعه عن لقائها ويبلغها ذلك السبب الرهيب في الانقطاع، ألا وهو السجن ومنعة أبوابه.

ولهذا فمناجاة المرأة وبث الشكوى إليها يخفف من عبء المصيبة الواقعة عليه، ولطالما كان الحديث إلى المرأة نوعاً من تفريغ الشحنات العاطفية والانفعالات المتضاربة التي أحس بها الشاعر السجين.

أما ابن زيدون فإنه يحاول أن يخفف عن أمه مصابها به، فيخاطبها ممثلاً حالتها بحالة أم موسى عليه السلام ؛إذ رمت بطفلها إلى اليم ... ويوكل أمرها بابنها إلى الله أحكم الحاكمين، وأنه لا بد لهذه المحنة من نهاية... فيخاطبها من سجنه:[٢]

«أمقتولةَ الأجفان مالكِ والهاً ... ألم تُرِكِ الأيامُ نجماً هوى قبلي
أقِلّي بكاءً، لستِ أول حُرةٍ ... طوتْ بالأسى كشحاً على مضض الثكل
وفي أمّ موسى عبرةٌ إذ رمت به ... إلى اليمِّ في التابوت، فاعتبري واسْلي
ولله فينا علمُ غيب، وحسبُنا ... به عند جَوْر الدهر من حكَم ومن عَدْلَ»

والشوق شديد جداً في نفس السجين لأهله وأصحابه؛ لأنه انتُزِع انتزاعاً، وأُلقي به في حياة الوحدة الموحشة، ويمثل هذا قول ابن حزم يتشوق لأهله:[٣]

«يا راحلاً عند حيٍّ عنده رمقي ... اقْرَ السلام على من لم أودعُهُ
وسَلْهُ بالله عن عهدي أيحفظه ... فعهده بمكان لا أضيّعه
وكيف عني وعن أُنسي تصبُّره ... أم كيف بعد بعادي عنه أربُعُهُ
واطول شوقاه ما جَدَّ البعادُ بهم ... إليهمُ مذ سعَوْا للبْين أفظعه
لئن تباعد جثماني فلم أرهم ... فعندهم وأبيك الشوقُ أجمعه»

ويبلغهم شوقه الشديد فهو قد ترك قلبه وروحه وسبب حياته عند أهله، وهو يسأل عنهم وعن عهودهم معه، وكأنه على الرغم من بعاد جسده عنهم لا يزال قلبه المليء بالأشواق لديهم.

١-ابن الأبار ، الحلة ، ج١ ص١٤٠ .
٢- ديوان ابن زيدون ، ص١٦٠ .
٣- د. إحسان عباس (محقق) ، قطعة من شعر ابن حزم ضمن كتاب تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ص٣٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشاعر عبدالكريم القيسي، الذي سقط بيد الإسبان أسيراً، يكتب إلى أهله متشوقا، مؤكداً الفكرة التي دار حولها ابن حزم، بأنه قد ترك قلبه عند أهله وفي دياره على الرغم من البعاد:[١]

«إني فَضَضْتُ عن الدموع ختاماً ... فغدت تسيلُ بوجنتيَّ غماما
شوقاً إلى عيشٍ مضى بأحبَّةٍ ... كانوا وعيشُهُم عليَّ كراما
يا ساكنين ببَسطَةٍ دوني، ولي ... قلبٌ بهم ما يستفيق غراما
وإنني إن كنت عنكم نازحاً ... فالقلب في تلك الديار أقاما»

فهو يبكي في أسره شوقاً إلى لقيا أحبّته وأهله، وشوقاً إلى دياره ووطنه في بَسْطة، التي نزح عنها دون إرادة، فخلّف قلبه وروحه فيها لا تفارقها.

والأبناء بالنسبة للسجين الأب هم كل ما يفكر فيه في العالم الآخر المنقطع عنهم، يحمل هموم صغارهم وكبارهم، ويأسف على اللوعة والأسى التي خلّفهم بها بعد الفراق.

ها هو ابن حزم يتذكر أطفاله الذين تركهم خلفه، فتثير الذكرى في نفسه الشجون على البعاد عنهم وطول السهر بعدهم:[٢]

«ذكرى أُفَيْراخٍ من كل ناحية ... توحي إلى القلب أسراراً تقطعه
كم قد تحمل من أعباء نأيهمُ ... نِضْواً نبا بلذيذ النوم مَضْجَعُهُ»

إن انقطاع الشاعر عن أبنائه يشعره بعظم المصيبة الواقعة عليهم والنتائج المترتبة على هذا البعد، فهو يعي أهمية دور الأب ومكانته بين أبنائه وعلى رأس أسرته.

ومثلما لقي ابن حزم في سجنه همَّ فراق الأبناء، لقي عبدالملك بن إدريس الجَزيري، الذي لا يذكر في قصيدته الرائية المشهورة التي قالها في سجنه - إلا مأساته التي تضاعفت ببعده عن أولاده، خاصة ولده الأصغر، فيوجّه إليه في قصيدته بعد التشوق والحنين نصائح وحكماً لعله ينتفع فيها بتجارب أبيه الذي سبقه في معترك الحياة، فيقول:[٣]

«ألوى بعزم تجلُّدي وتصبُّري ... نأيُ الأحبة، واعتياد تذكُّري
وإذا الفتى فقد الشباب سما له ... حبُّ البنين، ولا كحبِّ الأصغر
ما خلتُني أبقى خلافك ساعة ... لولا السكون إلى أخيك الأكبر
فإذا شكوتُ إليه شكوى راحة ... ذكَّرتْهُ فشكا إليَّ بأكثر»

١- ديوان عبد الكريم القيسي، ص١٠١-١٠٢.
٢- إحسان عباس، مرجع سابق، ص٣٨٦.
٣- الثعالبي، أبو منصور عبدالله النيسابوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محمد مفيد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية ١٩٨٣، ج٢ ص١١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد انهار صبره وتجلُّده في هذه المصيبة ، والذي قضى عليه هو ابتعاده عن أبنائه الأحبة إلى جانب مصيبته في السجن، وهو يشعر الآن كم هو شديدٌ حبُّ الأبناء لا سيما الأصغر، الذي لا يفارق خياله، ويبقى همّه حتى يكبر ويشتدَّ عودُهُ.

أما مصيبة المعتمد فقد فاقت سابقيه، لأنه لم يفجع بفراق أبناء وحسب ، بل فُجع في سجنه بنبأ مقتل ابنيه الراضي والمأمون، فرثاهما بأشعار تدمي الفؤاد وما زال يشكو إليهما في رثائه مأساته ومحنَتَه:[١]

«يقولون صبراً، لا سبيل إلى الصبر ... سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري
مدى الدهر فليبكِ الغمامُ مصابه ... بصِنْوَيْهِ، يُعْذَر في البكاء مدى الدهر
هوى الكوكبان الفتحُ ثم شقيقه ... يزيد، فهل بعد الكواكب من صبر
تولَّيتما والسنُّ بعدُ صغيرةٌ ... ولم تلبث الأيام أن صَغَّرت قَدْري
فلو عدتما لاخترتما العودَ في الثرى ... إذا أنتما أبصرتماني في الأسر
يعيد على سمعي الحديدُ نشيدَه ... ثقيلاً، فتبكي العينُ بالجسّ والنقر»

ففقدانه ابنيه وهو أسير السجن مقيد، زاد في الفجيعة التي ألمت به، وجعلته يصل إلى حد لا يمكن أن يحتمل الصبر وهو يرسف في ذلّه وقيوده، حتى إنه يجد مأساة فقد ابنيه أهون من مأساة أن يرياه في أسره ذليلاً كسيراً ؛ لأن مصيبة الخلع عن العرش والسجن كانت كالصاعقة في وقعها على المعتمد وأسرته، وقضت على كل ما وصل إليه من العز والرفاه، ففقد في مصيبته كل شيء حتى أبنائه.

وقال أيضاً في رثائهما أبياتاً تقطر لوعة وحرقة، وتشتعل حروفها وكلماتها بنار قلبه التي لا تهدأ، وبحرارة دموعه التي لا تجف:[٢]

«يا غَيْمُ، عَيْنيَ أقوى منك تهتانا ... أبكي لحزني، وما حُمِّلْتَ أحزانا
بكيت فتحاً، فإذ رمتُ سَلوَتَهُ ... ثوى يزيدُ، فزاد القلبَ نيرانا
يا فلذتَيّ كبدي يأبى تقطُّعها ... من وجْدها بكما، ما عشت سلوانا
مني السلام ومن أم مفجَّعةٍ ... عليكما أبداً مثنى ووحدانا
أبكي وتبكي ونُبكي غيرنا أسفاً ... لدى التذكر نسواناً وولدانا»

فهذه الأبيات تغرق في دموع قائلها، ذلك الأب المفجوع في خضمِّ مصيبته ومأساته بمقتل ولديه، زهرتان في بستان حياته ذبلتا وانتهى عمرهما... وكم يحاول النسيان والسلوى لكنه كلما أطفأ ناراً اشتعلت في قلبه أخرى، كالبركان لا يهدأ ولا يخمد إلا ليشتعل ثانية.

أما الوطن والديار فهي حاضرة في وجدان الشعراء في سجنهم، ويأخذ الوطن

١-ديوان المعتمد ،ص١٦٢-١٦٣ .
٢- المصدر ذاته ، ص١٦٦ -١٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورة زاهية مفعمة بالحرية والأمل، على نقيض الواقع الذي يعيشون، فيشتد الشوق إلى الوطن والديار، وهو في حقيقته شوق إلى الحرية والانطلاق خارج جدران السجن الضيق.

يقول التعاليمي يحيى بن هذيل:[١]

«تباعد عني منزلٌ وحبيبُ ... وهاج اشتياقي والمزار قريبُ
لقد بعدت عني ديار قريبة ... عجبت لجار الجنب وهو غريبُ
تذكرني الأسحار داراً ألفتها ... فيشتد حزني والحمام طَروبُ»

فالشوق إلى الدار ليس شوقا إليها وحسب بل شوق إليها وإلى ساكنيها الأحبة، الذين يذكرهم دوماً فيزداد حزناً على حزنه لفراقه عنها.

وابن غصن الحجاري لا تفارقه دياره في سجنه فيقول:[٢]

«وخلٌّ يسليني على بُعد داره ... ويكشف من قرب الحبيب المتيم
ودارِيَ موقوفٌ عليه وخُلَّتي ... وفكريَ مشغول به وتوهُّمي»

فالعلاقة القوية التي تربطه بأهله وأصدقائه تسلّيه وتسرّي عنه في محنته، ولا تغيب عن ذهنه ولا تفارق مخيّلته، على الرغم من المسافة الفاصلة بينه وبينهم، وهذا الإحساس الذي يغمر الشاعر في تطّلعه وتلهُّفه إليهم خارج السجن، يعكس تلهفه إلى عالم الحرية.

* * * * * * * *

وهكذا ففي حديث الذكريات عند الشعراء السجناء، نجد الكلام يدور حول محور المقارنة بين حياة الماضي وحياة الحاضر على ما فيها من تناقض، والشاعر في سجنه يرسم صورة الماضي المشرق بكل دقائقه وتفاصيله السعيدة، وهي صورة يرسمها مشرقة بنور الحرية، هذا النور الذي انطفأ في الحاضر فبات مظلماً لا هناء فيه ولا سرور.

وفي مقارنة الماضي والحاضر يلحُّ الشاعر السجين في أمنياته وأشواقه أن يعود ذلك الماضي الحر ويزيل همَّ اللحظة الحاضرة المقيدة بقيود السجن والعذاب.

وفي حديث الذكريات نجد الأهل والأحباب جزءاً لا يتجزأ من صور الماضي المشرقة بالحرية، ولذلك فالشوق إليهم كبير على بُعد الدار.

العودة إلى الذكريات والتطلُّع للأهل والأحباب والتشوق إليهم جزء من اتجاه السجين لما وراء القضبان، وخلف القيود والأغلال، وهي تعكس صراعه بين الداخل والخارج، بما يمثله الداخل من ضيق المكان وسلْب الحرية، وما يمثله الخارج من اتساع لا حدود له وحرية لا ينالها قيد.

١-المقري، النفح، ج٥ ص٤٩٣.
٢- ابن الأبار، إعتاب، ص٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الخامس: الحديث عن السجناء

لم يشغل الحديث عن السجناء حيزاً كبيرا في أشعار مَنْ سُجنوا، وربما يرجع ذلك إلى أن كُلاً منهم مكتفٍ بنصيبه من المأساة، ويكفيه ما يعانيه منها، لكن بعض الشعراء التفتوا إلى السجناء الآخرين، وتحدثوا عنهم في بعض الأبيات فكان الحديث عنهم مختلفاً من شاعر لآخر كما سنبين.

فيحيى بن هذيل التعاليمي في قصيدته التي قالها أيام اعتقاله، يتحدث عن السجناء الذين هم معه، وما يعانيه هؤلاء من الضيق والهَمِّ والشكوى الدائمة، ويقول:[١]

«أعاشر أقواماً تقرُّ نفوسُهم ... فللهَمِّ فيها عند ذاك ضروبُ
إذا شعروا من جارهم بتأوُّهٍ ... أجابته منهم زفرة ونحيبُ
فلا ذاك يشكوهمَّ هذا تأسفاً ... لكلِّ امرئ مما دهاه نصيب»

فهو يصف مأساة جماعية لنزلاء السجن، وزَّعت على كل سجين منهم نصيبه من الهموم، وكلُّ واحد منهم مكتفٍ بنصيبه من الهم والمأساة.

أما الشاعر الرمادي، فيصف لحظات اقتياده إلى سجن الزهراء مع أصحابه المقيدين - بأنها الجنازة فيقول:[٢]

«فوافوا بنا الزهراء في حال خالع الـ ... أئمة، لاستيغالهم في التوثُّقِ
وحولي من أهل الـتأدب مأتمٌ ... ولا جُؤذُرٌ إلا بثوب مشقَّقِ»

وعلى النقيض من هذه المشاعر نجد الشاعر محمد بن مسعود البجَّاني يعدُّ سجنه غاية مراده؛ لأنه جمعه وغلاماً وسيماً هو الشريف الطليق الشاعر الذي سجن وعمره ستة عشر عاما، «وكان ابن مسعود به كلفاً، فقال فيه من قصيدة أولها:

«غدوت في الجبِّ خِدْناً لابن يعقوب ... وكنت أحسب هذا في التكاذيبِ
رأت عداتي تعذيبي وما شعرتْ ... أنَّ الذي فعلته ضد تعذيبي
راموا بعادي عن الدنيا وزخرفها ... فكان ذلك إدنائي وتقريبي
يا ابن الخلائف من مروان واحزني ... على ضياعك يا ابن الصِبْيَة الشُّيبِ
وفيك ما يتسلى العاشقون به ... من حسن خلق ومن ظرفٍ ومن طيبِ»[٣]

فهذه الأبيات تطلعنا على علائق الصفو والود بين الشاعر وبين إلفه الذي يميل إليه، مما خفَّف من حدة السجن على نفسه، كما يحاول أن يتظاهر به أمامنا وأمام أعدائه، لكن ذلك لم يكن حقيقة إلا نوعاً من الهروب من واقعه المؤلم في سجنه؛ ففي

١- المقري، النفح، ج٥ ص٤٩٣. انظر ملحق (١) رقم الشاعر ٨

٢- ابن خاقان، المطمح، ص٣١٨.

٣- ابن بسام، الذخيرة، ق١م١ ص٥٦٣، وابن سعيد، المغرب، ج٢ ص١٩١-١٩٢ الأبيات الأول والثاني والرابع، وانظر الأبيات الأربعة الأولى عند المقري، النفح، ج٣ ص٣٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قصيدته نفسها يقول:[١]

«سجنٌ وقيدٌ وأعداءٌ منيتُ بهم لا يسأمون مع الأيام تشريبي»

وهذا يكشف عن حقيقة شعوره وإحساسه بالسجن الذي يعاني، ولا يمكن له أن يخفيه حتى لو تستر خلف إعجابه وكلفه بأحد نزلاء السجن معه؛ إذ تغيرت تلك العلاقة الصافية بينه وبين الطليق وسرعان ما انقلبت إلى ضدها، حيث نجد البجاني وقد تغيرت علاقاته مع السجناء، يهجو أحد السجناء الذين معه بعد أن «انطلق الطليق من معتقله وبقي ابن مسعود مدة محبوساً، إلى أن انطلق سنة تسع وسبعين وثلاثمائة بعد مديدة» وهو القائل في سجنه:

«لي جليس قربه مني بُعْدُ الأماني كلها عني
قد قَذِيتْ من لحظِهِ مقلتي وقُرِّحت من لفظه أذني
لو أن خلقاً كان ضداً له زاد على يوسف في الحسن
إذا اشتهى قطعي في حُجَّة سلَّط إبطيه على ذهني
كأنه يجلس من ذا وذا بين كنيفين من النتن»[٢]

فهذا الهجاء المقذع لأحد نزلاء السجن بعد أن تبدلّت أحواله بعد إطلاق الشريف الطليق، يدل على أن السجن لا يجد الإنسان فيه متعة حتى لو أظهر أنه مستمتع أمام الشامتين به.

مع الأخذ بعين الاعتبار أن مجتمع السجن - الذي يمنع اختلاط الجنسين - يتيح المجال أحياناً أمام الاتجاهات الشاذة بين السجناء، ومنهم على وجه التحديد الذين يحملون في نفوسهم ميلاً شاذاً وقلوباً مريضة، فتنشأ مثل هذه العلاقات بين السجناء، وتكون نوعاً من رد الفعل لهذه الصدمة التي تلقّاها السجين، فيحاول الهروب والتخفيف منها بأي وسيلة، حتى لو كانت الشذوذ.

* * * * * * * *

وهكذا نجد أن الحديث عن السجناء في جو السجن كان حديثاً قصيراً؛ نظراً لاكتفاء كل سجين بنصيبه من الأسى في سجنه، والأبيات التي تحدث فيها بعض الشعراء عن السجناء زملائهم كانت انعكاساً لعلاقة فردية بين الشاعر وغيره، أو كانت أحياناً وصفاً عاماً ينطبق عليهم جميعاً، وهم الذين تجمعهم على تفرُّقهم مصيبةُ السجن ومأساة الأسر.

١- ابن بسام ، الذخيرة ، ق١ م١ ص٥٦٤ .
٢- المصدر السابق ،ق١ م١ ص٥٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث السادس: وصف القيد

كان القيد من لوازم المسجون إمعاناً في إهانته وتعذيبه في سجنه، وهو بمثابة أثقال حديدية يحملها السجين كيفما تحرك؛ مبالغة من السجّان في تعذيبه إلى جانب ما يقاسيه من عذاب السجن، وقد عانى السجناء من القيد كثيراً ووصفوه في أشعارهم بأوصاف متعددة تتفق على أنه رمز للعذاب والذل الذي يقاسيه المسجون.

فالقيد يعيق الحركة ويثقل بحمله على جسد السجين، يقول ابن غصن الحجاري في ثقل القيد، الذي يشبه في صوته صوت الخطيب:[١]

«وكأن الكبلَ الثقيلَ إذا ما رنَّ في الساق للخطوب خطيبُ»

ويقول ابن عمار في استعطافه المعتمد واصفاً ثقل الحديد:[٢]

«لو أطلّت عليَّ رحمة عينيـ ـه، انجلت شدتي وذاب حديدي»

ويقول أيضاً في قيوده الحديدية وصوتها عند الحركة الذي يشبه الرعد[٣]:

«وانْتحِبْ في صلاصل الرعد ضجتي في سلاسلي وقيودي»

ويقول المعتمد في وصف أثر القيد عليه وثقله:[٤]

«تبدلتُ من عز ظلَّ البنود بذلَّ الحديد وثقل القيودِ
وكان حديدي سناناً ذليقاً وعَضْباً دقيقاً صقيل الحديدِ
فقد صار ذاك وذا أدهماً يَعَضُّ بساقيَّ عضَّ الأسود»

فالقيد الحديدي رمز الذل والمهانة في حالة المعتمد هذه، بينما كان الحديد له رمز شجاعة وعزة أيام مُلكه، وصولاته وجولاته في ميادين القتال.

ويقول عبدالله بن عُذرة في وصف مأساته:

«يعضُّ برجليَّ الحديدُ وليس لي حراك لما أبغي ولا أتنقل»[٥]

فالقيد يؤذيه، وثقله يمنعه من الحراك والتنقل بيسر، وهو دائماً يسبب الأذى الجسمي والنفسي للسجين، كأنه حيوان مفترس يعض ساقيه، كما في قول المعتمد السابق، وقوله أيضاً مخاطباً قيده:[٦]

«تعطَّفَ في ساقي تعطُّفَ أرقمٍ يساورها عضاً بأنياب ضيغمِ»

١-إبن الأبار ، إعتاب ،ص ٢٢٠ .
٢- صلاح خالص ، محمد بن عمار ،ص٣١٢ .
٣ - المرجع ذاته ، ص٣٠٩ .
٤- ديوان المعتمد ، ص١٧٠ .
٥- ابن سعيد ، المغرب ،ج٢ ص١٤٩ .
٦- ديوان المعتمد ، ص١٨٢ . والأرقم أخبث الحيّات، والضيغم : الذي يعض ومنه الأسد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذا القيد كالثعبان لما بينهما من وجه الشبه في التسبب بالأذى والخوف، ويقول المعتمد يبكي نفسه ويرثي لها في ذل قيودها، وثقلها على بدنه وروحه:[١]

«غنتكَ أغماتية الألحان ... ثَقُلَتْ على الأرواح والأبدانِ
قد كان كالثعبان رمحك في الوغى ... فغدا عليك القيدُ كالثعبان
متمدداً يحميك كل تمدد ... متعطفاً لا رحمة للعاني»

ويقول الشريف الطليق في كبله وقيوده، التي تشبه حيواناً ينقضُّ ويفترسه:[٢]

«كأن زماني فوق ساقيَّ قابضٌ ... ليَقْصُرَ باعي عن عُلا كلِّ مطلبِ
فمن زُبَرِ الأقياد مَدٌّ بساعدٍ ... ومن حلقات الكبل شدٌّ بمخلبِ»

وقد كان المعتمد من أكثر السجناء الذين تحدثوا عن القيد في أشعارهم؛ لعظم تأثير هذه الإهانة في نفسه وقد كان في الماضي ملكاً عزيزاً مُهاب الجانب، فدارت كأس الدهر وأسقته الذل بعد العز.

وهو يتوجع من قيده ويعرف أثر القيد على من يراه فيه، ولذلك نجده وقد «دخل عليه ابنه أبو هاشم وهو يرسف في قيوده ويتقلب في حديده، فخنقت الطفل العبرة، وكان أحبهم عليه وأحظاهم على صغره لديه... وعند بكائه قال:

قيدي أما تعلمُني مسلماً ... أبيتَ أن تشفقَ أو ترحما
دمي شرابٌ لك واللحم قد ... أكلْتَه، لا تهشم الأعظما
يبصرني فيك أبو هاشم ... فينثني، والقلبُ قد هُشِّما
ارحم طفيلاً طائشاً لبُّهُ ... لم يخشَ أن يأتيك مسترحما
وارحم أُخَيَّاتٍ له مثله ... جرَّعْتَهُنَّ السمَّ والعلقما
منهن من يفهم شيئاً فقد ... خفنا عليه للبكاء العمى
والغيرُ لا يفهم شيئاً فما ... يفتح إلا للرضاع فما»[٣]

فهذا التشخيص الرائع للقيد والشكوى إليه، كأنه أصبح الرفيق الوحيد له، يجعلنا نشعر بمرارة الشاعر وفجيعته الكبرى بهذا القيد المؤلم الذي يأكل من لحمه ودمه دون رحمة أو شفقه، ويبصره في هذا المشهد المولم المؤذي ابنه الصغير الذي يبكي حتى لو لم يفهم ما الوضع وما المصير الذي آل إليه والده.

ويقول ابن حزم كذلك ويشكو مصيبته إلى القيد:[٤]

---

١ - ديوان المعتمد ،ص١٨٥ .
٢ - الكتاني ، التشبيهات ،ص٢٦٦ .
٣- ابن بسام ، الذخيرة ،ق٢ م١ ص٧٣-٧٤ ، والأبيات في ديوانه، ص١٨١ .
٤-إحسان عباس ، مصدر سابق ، ص٣٨٥- ٣٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«تناهبت ثُوَبُ الدنيا محاسنه فالضَّيْمُ ملبسه والسجنُ موضعه
يشكو إلى القيد ما يلقاه من ألم فبالأنين لدى شكواه يرجعه
يا هاجعاً والرزايا لا تؤرقه قل كيف يهجع من في الكِبْلِ مهجعه
فكم زفير يَقُدُّ الصخرَ أيسرُهُ وكم أنين بنار الوجد يشفعه»

فالشاعر سُلب محاسن الدنيا بسجنه هذا، وكأن التلازم بينه وبين القيد أنشأ بينهما صداقة من نوع معين، جعلته يشكو إليه هم القيد فكان القيدُ الخصمَ والحكم.

* * * * * *

وهكذا فموضوع وصف القيد شغل حيزاً لا بأس به في شعر السجناء؛ لأن للقيد تأثيراً كبيراً في زيادة عذاب السجين في سجنه، ويتفق كلُّ السجناء على أن القيد مؤلم يأكل الجسد ويدمي الفؤاد ويقتل الكرامة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث السابع: تحذير الشامتين وإنذارهم

كان من أسباب السجن أن بعض الشعراء تعرضوا له بسبب السعايات والوشايات من الحساد والخصوم، ولذلك تناول الشعراء السجناء في أشعارهم الحديث عن هؤلاء، لكن الحديث عنهم كان يأخذ في أغلب الأحيان شكل التحذير والتلويح لهم بأن المصير الذي لاقوه سوف يلاقونه هم أيضاً، وأن للأيام يداً طولى تنال الجميع.

يقول هاشم بن عبدالعزيز مخاطباً الشامتين به والمسرورين لحاله:[١]

«فمن يكُ مسروراً بحالي فإنه سينهل في كاسي وشيكاً ويشربُ»

ويقول ابن الصائغ السَّرقُسطيّ في المعنى ذاته:[٢]

«يقول الشامتون شقاءَ بختٍ لعَمْرُ الشامتين لقد شقيتُ
أعندهم الأمانُ من الليالي وسالَمَهُمْ بها الزمن المقيت
وما يدرون أنهم سيُسْقَوْا على كره بكأس قد سُقيت»

فهو يعترف بمصيره المشؤوم الذي انتهى بسجنه، لكنه يقرر أن الزمان يتقلب على الناس وليس عليه أمان، ولهذا فمصيره السيء الذي يشمتون به لأجله سيلاقونه حتماً يوماً ما.

ويقول لسان الدين بن الخطيب يعزّي نفسه على المصير المؤلم الذي آل إليه في سجنه، مؤكداً المعنى السابق الذي ورد عند ابن الصائغ :[٣]

«فقل للعدا ذهب ابن الخطيب وفات، ومن ذا الذي لا يفوت
ومن كان يفرحُ منهمْ له فقل يفرح اليوم من لا يموت»

فابن الخطيب لا ينكر ما انتهى إليه لكنه لا يجعل أعداءه هانئين، ويقطع عليهم فرحتهم بأنهم لا بد ميتون فلا يفرحوا كثيراً شماتة بمصيره.

ويقول ابن غصن الحجاري الذي يسوق تحذيره للشامتين في شكل حكمة:[٤]

«أزاح الدهرُ حلو الماء عني على ظمأ وأسقاني زُعاقَه
وربتما استحالَ السعدُ نحساً فذاق المعتدي مما أذاقه
إذا صار الهلالُ إلى كمالٍ وتم بهاؤه فارقب مُحاقَه
وإنَّ عبوسَ هذا الدهر يأتي على أثر البشاشة والطلاقة»

١- ابن الأبار ، الحلة ، ج١ ص١٤١ ، وابن عذاري ، البيان ،ج٢ ص١١٦ والشطر الأول فيه « فمن يكُ أمسى شامتاً فإنه » .
٢- المقري ، النفح ، ج٧ ص٢٣ .
٣- ابن الخطيب ، ديوان الصيب والجهام ،ص٨٦ .
٤- ابن الأبار ، إعتاب ، ص٢١٨ -٢١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذ يعترف ابن غصن بمصيره وبتقلب الزمان الذي أصابه، ويؤكد لخصومه أن السعد ينقلب نحساً وأن حال البشاشة لا بد له من نهاية عابسة دائماً.

ويقول عبدالكريم القيسي وهو يدور حول الفكرة ذاتها:[١]

«يا شامتاً بي وهو يُظهِرُ رحمة ... اصبر - فديتُكَ - للزمان قليلا
فالدهرُ لا يبقى على حالٍ بدتْ ... إلا ويُعْقِبُ بعده تحويلا
كم من أسير موثق بقيوده ... أمسى وأصبح مطلقاً محلولا
ولكم طليقٍ لم يقدر أسره ... أمسى وأصبح مُوثقاً مغلولا»

فيسوق تحذيراً ملتوياً للشامتين بحاله ووقوعه في الأسر، بأن الزمان متقلب ولا يثبت على حال، فهو أسير وقد يُطْلَق، وغيره طليق وقد يُحْبَس!

ويقول أبو الحجاج يوسف الثالث في أحداث الزمان وتنبيه المغترِّ منها بالأمان:[٢]

«يا غافلاً غرَّه ما جره الزمن ... هُديتَ إن الليالي كلُّها مِحَن
لا تغترِرْ بسرورٍ زائل فله ... بعد السرور إذا دبرته حَزَنُ
كم قد أهان عزيزاً بعد عزَّتِهِ ... وكم أعزَّ ذليلاً وهو مُمتَهَنُ»

فابن الأحمر هنا لا يعدو قوله هذا تأكيداً للفكرة نفسها التي دار حولها السجناء في إنذارهم لخصومهم والشامتين بحالهم.

وهكذا نجد أن الشعراء المساجين في حديثهم عن خصومهم المسرورين بمصيبتهم تلك يتفقون في توجيه رسالة إليهم مفادها أن لا يفرحوا كثيراً؛ لأن الزمان يدور عليهم جميعاً ويجرِّعهم كأس الهناء حيناً وكأس البلاء حيناً آخر.

أما الشاعر الحاجب المصحفي فعلى الرغم من توسلاته واستعطافه المنصور، إلا أنه لم يلق رداً إيجابيا يخفف مصيبته، فما كان منه إلا أن انبرى ينذر بعد اليأس الذي أصابه:

«لي مدة لا بد أبلغها ... فإذا انقضت أيامها متُّ
لو قابلتني الأُسدُ ضاريةً ... والموت لم يدن لما خفتُ
فانظر إليَّ وكن على حذر ... فبمثل حالك أمس قد كنتُ»[٣]

فهو يوجه رسالة لأعدائه الشامتين بمصيره ويحذرهم من انقلاب أحوالهم، كما انقلبت أحواله ودارت الدائرة عليه.

١- ديوان عبد الكريم القيسي، ص١٠٨ .
٢- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، ص١٩٥ .
٣ - محمد محمود يونس، ما تبقى من شعر الحاجب المصحفي، ص١٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه اللهجة المتحدية عند المصحفي مغايرة للهجته الخاضعة المستكينة التي رأيناها في استعطافه المنصور، حتى إنها انقلبت إلى هجاء، عندما عبر المصحفي عن نقمته على المنصور، لما يئس من الخلاص، فقال:[١]

«غرستُ قضيباً، خلْتُهُ عودَ كرمة ... كنت عليه في الحوادث قيِّما
أكرِّمه دهري فيزداد خِسَّة ... ولو كان من عود كريم تكرَّما»

والذي نستنتجه في حالة المصحفي بعد هذين البيتين أن أشعاره في الاستعطاف قد لا تكون صادقة، وبالتالي هذا يعطينا فكرة عن الدور الوظيفي للشعر في أذهان الشعراء السجناء، وأنهم اتخذوه وسيلة للاستعطاف لتحقيق الهدف الذي ينشدون ليس أكثر، في أغلب الأحيان.

وقد يتحدث السجين عن خصومه في سياق استعطافه مالكَ أمره، ليسوِّغ موقفه ويدعوه إلى ترك أقوال الوشاة والحاسدين الذين يزيدون في سوء مصيره، فابن عمار يستعطف المعتمد في قصيدته الحائية المشهورة فيقول معرِّضاً بالوشاة:[٢]

«ولا تلتفتْ رأي الوشاة وقولهم ... فكل إناء بالذي فيه يرشحُ
سيأتيك في أمري حديثٌ وقد أتى ... بزور بني عبدالعزيز موشحُ
وما ذاك إلا ما علمتَ فإنني ... إذا تبتُ لا أنفك آسو وأجرحُ
تخيَّلتهم لا درَّ للهِ درُّهُمُ ... أشاروا تجاهي بالشمات وصرَّحوا
وقالوا: سيجزيه فلان بفعله ... فقلتُ: وقد يعفو فلانٌ ويصفح
ألا إن بطشاً للمؤيد يرتجى ... ولكن حلماً للمؤيد يرجح
وماذا عسى الواشون أن يتزيَّدوا ... سوى أن ذنبيَ ثابتٌ متصحح
نعم ليَ ذنب غير أن لحلمه ... صفاة يزلُّ الذنب عنها فيسفح»

فابن عمار هنا خاضع في استعطافه، وهو يوضح مواقف خصومه الذين يزيدون النار اشتعالاً، وهو يحاول بكل ما أوتي أن يقنعهم بأن مساعيهم ستبوء بالفشل مقابل رجائه وأمله بحلم المعتمد وصفحه عنه.

ومثله الشاعر عبدالملك بن إدريس الجزيري الذي يتهم خصومه، الذين فرحوا بمصيره، بالظلم والجهل في حكمهم عليه، ويضرب لهم الأمثلة ويبيِّن أن ما وقع له مجرد اختبار كما يفعل الصَّيْقَل لاختبار سيفه بالنار قبل صقله... فيقول في استعطافه المنصور:[٣]

١- محمد محمود يونس ، مرجع سابق ، ص١٩٥ .
٢- صلاح خالص ، محمد بن عمار ، ص٣٢٠-٣٢١ .
٣- ابن الأبار ، إعتاب ، ص١٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«قالوا جفاه ثلاثاً ثم غرَّبه ... فليس يرجو لديه حظوة أبدا
جاروا وما عدلوا في القول بل حكموا ... على المقادير جهلاً لا هُدوا رشدا
أليس يوقد نصلَ السيف ضاربُهُ ... قبل الصِّقال مراراً جمةً عددا
حتى إذا ما سقى حدَّيْه ريَّهما ... واهتز لدنا دعاه الصارم الفردا»

أما بعض السجناء ممن أخذتهم في أنفسهم العزة والكبرياء، فإن حديثهم في تحذير الشامتين وإنذارهم لم يكن حديثاً خاضعاً متذللاً، وإنما معاند قوي، مواجه إياهم بالشجاعة والنفس التي تأبى الخضوع.

فأبو عبدالله محمد بن الخشاب يخاطب في شعره بني عبدالمؤمن، ويقول ملقياً اللوم على حاسديه الذين لم ينتصروا في مسعاهم، وعلى الرغم من محنته فهو سيد الموقف:

«مولاي قد أفسد ما بيننا ... إمالةُ السمع لقول الحسود
ماذا تراه قائلاً بعدما ... أبصرني بالرغم منه أسود»[١]

أما ابن زيدون فإننا نلحظ في أشعاره كلها أنه بقي محافظاً على إبائه وعزة نفسه حتى في الاستعطاف، وفي مجال تهديد الخصوم فإنه يتوجه إلى سجَّانه أبي الحزم بن جهور ويخاطبه في شأن الوشاة الذين ألحقوا به هذا المصير، وبأن ما كان منهم هو ادعاء ليس غير وأنه بريءٌ مما يفترون:[٢]

«أنَن زعم الواشون ما ليس مزعما ... تعذِّر في نصري وتُعذِرُ في خَذْلي؟!»

وهو يتجلد أمام الشامتين بمصيره ليخفف عن نفسه مصيره المؤلم؛ حتى لا يتم عليهم فرحتهم بسجنه، ويلجأ إلى الافتخار بنفسه كثيراً في نوع من التخفيف من مصابه فيقول:[٣]

«ولا يغبط الأعداءَ كوني في السجْن ... فإني رأيت الشمس تحْصَن بالدَّجْنِ
وما كنت إلا الصارمَ العَضْبَ في جَفْنِ ... أو الليث في غابٍ أو الصقر في وكْنِ
أو العِلق يُخفى في الصِّوار ويُخْبَأُ»

ويقول أيضاً:[٤]

«إن قسا الدهر فللماء ... من الصخر انبجاسُ
ولئن أمسيت محبوساً ... فللغيث احتباسُ

١- ابن سعيد ، المغرب ، ج٢ ص٧٥ .
٢- ديوان ابن زيدون ، ص١٦١ .
٣- المصدر ذاته ، ص٤٣ . والسِّبَنْتَى : الجريء
٤- المصدر ذاته ، ص٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يلبُـد الوَرد السَّـبَنْـتَـى ... وله بعـد افـتـراسُ
فـتـأمَّلْ كـيف يفـشـى ... مـقلـةَ المجـد النعـاسُ
ويفَتُّ المسكُ في التـرب ... فـيـوطا ويـداسُ»

فالسجن بإهانته وأذاه لم ينل من عزته ولم يذهب بها، وكانت أبياته تلك التي يفتخر فيها بنفسه رسالة لأعدائه أن لا يفرحوا كثيراً، فهذه المحنة يتحملها ويصبر عليها؛ لأنه موقن بنهايتها وعودة الأيام الحرة، يقول:[١]

«لا يهنيء الشامتَ المرتاحَ خاطـرُهُ ... أني مُـعَنـًّى الأماني ضائعُ الخطرِ
هل الرياحُ بنجم الأرض عاصـفةٌ؟ ... أم الكسوف لغير الشمس والقمر؟!
إن طال في السجن إيداعي فلا عجبٌ ... قد يودَع الجَفْـنَ حدُّ الصارم الذكر
وإن يُثبِّط أبا الحـزم الرضى قـدَرٌ ... عن كشف ضُرِّي فلا عـتب على القدَرِ!»

فهو يعتبر تجربة السجن تجربة متميزة لا تصيب إلا المتميزين، ومع ذلك لا تنالهم بأذى وانكسار، إلا أن يخرجوا منها أقوى جلداً كالسيف الصارم يودع جَفْنَه مدة، ثم يخرج بتَّاراً عند النزال.

ويقترب من هذا المعنى الشريف الطليق فيقول:[٢]

«فـلا تُشْمِتُ الحسادَ شدةُ حالتي ... فـإني جـوادٌ لا يُشَـدُّ عـنانه
ومـا ألصـقتُ بالأرض خـدِّي إذلالةً ... ولكنـني كـالرمح سنَّ سنانه»

لكننا نجد ابن زيدون لما يئس من الخلاص انقلب استعطافه ومديحه لسّجانه، وتراجع عن كل ما قاله فيه - مثلما كان المصحفي - فهجا أبا الحزم قائلاً:[٣]

«قل للوزير وقـد قطعتُ بمدحـه ... زمني، فكان السـجنُ منه ثوابي
لا تخشَ في حقي بما أمضيـتَـهُ ... من ذاك فيٌّ ولا تـوَقَّ عـتابي
لم تُخْطِ في أمري الصواب موفقاً ... هذا جـزاء الشـاعـر الكذاب!»

* * * * * *

وبهذا نرى أن الشعراء في السجن تعرضوا لخصومهم والشامتين بهم خارج السجن بالتحذير مما سيلحقهم، وبيَّنوا للشامتين بمصيرهم أنْ لا يفرحوا كثيراً لأنهم سيلاقون المصير نفسه، وأكدوا فكرة أن الأيام دول وأن الزمان يتقلب بأهله، وكأس المرِّ دائر عليهم وسيأتي حينهم في السقيا.

١- ديوان ابن زيدون، ص١٤٨- ١٤٩.
٢ - الكتاني، التشبيهات، ص ٢٧٧.
٣ - ديوان ابن زيدون، ص٢٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثامن: الأمل واليأس

تفاوتت مواقف الشعراء في سجنهم بين الأمل والتفاؤل في حياة الحرية من جديد، وبين اليأس والاستسلام للواقع المرير الذي آلوا إليه، وكان للمتأملين بالحرية متنفَّس في أشعار الاستعطاف والعتاب والاعتذار، التي أودعوها ما أمكنهم في سبيل الخلاص، مع النظر بعين الاعتبار إلى التفاوت بين الشعراء في أشعارهم في التذلل والخضوع، أو المحافظة على العزة والكبرياء.

ثم وجدنا بعضهم ينقلب أمله وتفاؤله إلى يأس شديد؛ بعد أن استنفد طاقاته في الاستعطاف، وانقطع الرجاء، ليرتد إلى واقعه مواجهاً مصيره المحتوم الذي ينتظره.

ومن الشعراء من وقف موقف الأمل والرجاء، والتعلُّق بفرج سيتلو الشدة التي حلَّت بهم، ورأيناهم يخففون من مصابهم، ويعزون أنفسهم بالأمل الذي يتشبثون به بكل ما أوتوا من قوة.

فمنهم محمد بن رشيق القَلْعي الذي يمثل تحدياً ساخراً لظروفه؛ لفرط أمله وتفاؤله فهو يقول:[١]

«ليس عندي من الهموم حديثُ ... كلما ساءني الزمان سُرِرْتُ
أتراني أكون للدهر عوناً ... فإذا مسَّني بضرٍّ ضجرتُ
غمرةٌ ثم تنجلي فكأني ... عند إقلاع همِّها ما ضررتُ»

فهو متفائل جداً بأن محنته مجرد سحابة صيف تزول، فتعود شمس الحرية تشرق ثانية، ولن يكون عوناً للدهر في مضاعفة المصيبة فيؤمل نفسه بأن مأساة السجن آيلة إلى الزوال قريباً.

ومثله في تفاؤله بانفراج الأزمة رشيد الدولة أبو يحيى بن صمادح الذي يقول:[٢]

«صبرتُ على مقارعة الدواهي ... وطبع الحر صبر وائتجار
وقلت: لعلها ظُلَم ألمَّتْ ... وحالُ الليل آخرها النهار
فإن يكن الردى يكن اصطبار ... وإن تكن المنى يكن اغتفار»

فالأمل والرجاء بالفرج القريب وتجميل النفس بالصبر على الشدائد، هي زاده للتخلص من محنته.

والصبر نقطة يؤكدها كل من يتشبث بأمل الحرية فالشاعر نفسه يؤكدها بقوله:[٣]

١- المقري، النفح، ج٣ ص٥٣٢.
٢- ابن الأبار، الحلة، ج٢، ص١٩١. انظر ملحق (١) رقم الشاعر ٣٢
٣- المصدر ذاته، الصفحة ذاتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«وقلما صبر الإنسان محتسباً إلا وأصبح في فضفاضة النعَمِ»

والتعاليمي يحيى بن هذيل يتكل على الله ويصبِّر نفسه لعله ينال الخلاص والفرج القريب:

«دعوتك ربي والدعاء ضراعةٌ وأنت تناجَى بالدعا فتجيبُ
لئن كان عقبى الصبر فوزاً وغبطة فإني على الصبر الجميل دؤوبُ»[١]

فالصبر برأيه مفتاح الفرج وطريق الخلاص.

ومثل التعاليمي يتأمل عبدالكريم القيسي بالله أن يخلصه من الأسر، ولا يرى غيره يجيب هذه الدعوة، ويقول:[٢]

«يا مَنْ عليه في السّرَاح أعوّلُ وإليه في تعجيله أتوسلُ
أنتَ المؤمّلُ للشدائد كلّها وعليك في تخفيفها أتوكلُ
ولقد قضيتَ عليَّ بالأسر الذي ما مثلُه خطْبٌ عظيمٌ مُعْضلُ
يا ربِّ امنُنْ بالسراح معجلاً فأنا سراحي من جلالكَ أسألُ»

وابن زيدون كذلك يؤمل نفسه ويصبرها ويقول:[٣]

«ما على ظني باسُ يجرح الدهر وياسوء
ربما أشرف بالمر عسلى الآمال ياسُ
ولقد ينجيك إغفا لٌ ويرديك احتراسُ
والمحاذير سهامٌ والمقادير قياس»

محاولا التخفيف عن نفسه بأن الزمان يجرح ويداوي، وإذا وصل الإنسان مرحلة اليأس فليرضَ بالقضاء والمكتوب.

وهو أيضاً يتفاءل ويتأمل بالزمان أن تنجلي شدته فيقول:

«خليليَّ إن أجزع فقد وَضَحَ العذرُ
وإن أستطعْ صبراً فمن شيمتي الصبرُ
وإن يك رزءاً ما أصاب به الدهرُ
ففي يومنا خمرٌ وفي غده أمرُ
ولا عجب إن الكريم مُرَزَّأ»[٤]

١- المقري ، النفح ،ج٥ ص٤٨٧ .
٢- ديوان عبد الكريم القيسي ، ص١٩٢ .
٣- ديوان ابن زيدون ،ص٨١ .
٤- المصدر ذاته ، ص٣٧ والمُرَزَّأ: الكريم السخي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالصبر شيمته، وهي التي ستكون مفتاح فرجه وحريته، وهو يصبر على هذه المصيبة لأنها نوع من الهدنة مع الزمان، وسيعود إلى سابق عهده بعد انجلائها.

والشاعر عبدالكريم القيسي البسطي يتأمل كثيراً بانقضاء سجنه وانتهائه ويصبِّر نفسه في هذه المصيبة قائلاً:(١)

«لا بد أن يضحك الدهرُ الذي عَبَسا ... وينعمَ البالُ ممَّنْ ظلَّ قد ينسا
ويكتسي الغصنُ في روض المنى زهراً ... من بعد ما قد ذوى فيه وقد يبسا
ومَنْ غدا وهمومُ الدهر تثقله ... يروح منها خفيف الحمل ما نُكِسا
فيا فؤادي كن للأسر مصطبراً ... وارج السَّراح عساه أن يكون عسى
فكم أسيرٍ حبيسٍ في القيود غدا ... كأنه ما رأى أسراً وما حُبسا»

مقرراً حقيقة كونية بسيطة: وهي أن الزمان لا بد أن يضحك بعد العبوس، تماماً كالأغصان تكتسي بالأوراق بعد الذبول واليباس، ومثلها الإنسان يحمل همومه دهراً ثم لا تلبث أن تتساقط الهمُّ تلو الآخر، فيعود خفيفاً سعيداً.

ولأجل هذا يصبِّر نفسه ويؤمِّلها بأن هناك كثيراً من الأسرى غادروا سجونهم وعادوا إلى حياتهم الطبيعية، يعيشونها بحيوية وكأنهم ما رأوا سجناً قط.

ومن الشعراء من كان أمله بالله كبيراً أن يفرج كربته وييسِّر شدته، فالمعتمد الذي ما عهدنا في أشعاره في السجن خضوعاً لأحد لا يشكو إلا لله الرحمن الرحيم:(٢)

«قلبي إلى الرحمن يشكو بثه ... ما خاب من يشكو إلى الرحمنِ»

فالله معقد أمله ورجائه بانفراج هذه الأزمة.

وابن حزم مثله يرى في الله مفرج الكروب وجامع القلوب فيقول:(٣)

«أقول والدهرُ قد غالت غوائله ... وحطَّ مني مكاناً كان يرفعه
عسى لطائف مَنْ لا شيء يُعْجِزُهُ ... تحنو على شملنا يوماً فتجمعه»

ومثله القيسي يتأمل بالله ولا يدعو سواه ليخلصه من أسره:(٤)

«سبحانه سبحانه ... عددَ الحصى دأباً وقطْرِ الماءِ
ما في الوجود سواه أرجو فضلَهُ ... في أن يبدِّل شدتي برخاءِ

١- ديوان عبد الكريم القيسي، ص٤٠.
٢- ديوان المعتمد، ص٨٣.
٣- إحسان عباس، مرجع سابق، ص٣٨٦-٣٨٧.
٤- ديوان القيسي ص٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحلُّ قيدَ الأسر عني عـــاجلاً مع مَنْ بـــآبُرَة من الأسَـــراءِ
فهوالمفرِّجُ للكروبِ إذا دهـــتْ وبه انجـــلاءُ نوائبِ الأســـواءِ»

وهو كذلك يتأمل برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعوِّض صبره خيراً، ويناله الفرج والخلاص من يد الأعداء، فيقول:(١)

«اصبر لحكم الله وارضَ بما قضى تُكْتَب لديه من الأنام خيارا لترى
وسَلِ السَّراحَ بجاهِ أفضل مرسَل لـه عـن عـاجلٍ أســـــرارا
فـبـجـاهِهِ رفع الإلهُ شـدائدا عن خَلْقـه كـانت تهـولُ ونارا»

ويتشفع بالرسول الكريم أن يمنَّ الله عليه بالحرية عاجلاً، ويذكر بعض حوادث كان الرسول فيها سبب النجاة والفوز.

أما ابن غصن الحجاري فإنه في تأمله بانفراج أزمته يعزي نفسه بمصائب غيره التي انتهت بنهاية سعيدة، ويستعطف المأمون بن ذي النون في أشعاره ويتأمل بالعفو عن طريق بعث قصص الأنبياء السابقين في حيلة ذكية لطيفة:(٢)

«إن رَمـــتنا يدُ الخطوب بقوسٍ طالما كـان سهـمها لا يصيـبُ
أو يكـــن عثْر الزمان فمرجوٌّ لإنعـاشنا القـريـــبُ المجيـبُ
قد أجـاب الإلـــه دعوة نـوحٍ حين نـــــادى بأنه مـــغلوبُ
وشـفى ذو الجـــلال عـلَّة أيو بَ وقـد شـــارف الردى أيوبُ
وانقضى سجن يوسف وقد استيـ ـأس، وارتـــدَّ مبصراً يعقوب»

فهذا التوظيف الجميل لقصص الأنبياء السابقين يتيح لنا أن نرى قسمات الأمل والبِشْر تعلو وجهه، وقد تخلص ابن غصن فيما بعد من سجنه ورُدَّت إليه حريته المسلوبة.

وعلى نقيض الأمل والتفاؤل المفعم في قلوب بعض السجناء فإنَّ آخرين غيرهم ملّوا الاستعطاف وغرقوا في مهاوي اليأس والاستسلام، فالمصحفي الذي رأيناه في استعطافه خاضعاً ذليلاً إلى أقصى الدرجات، يصطدم بواقعه فيما بعد، حيث عفو المنصور عنه بات مستحيلاً فوجدنا نبرته في الشعر تتغير لتلائم الوضع النفسي الجديد الذي يلمُّ به، ويقول يائساً واصفاً مأساته ومحنته الشديدة:(٣)

«صـبـرتُ على الأيـام لما تولـــتِ وألزمت نفسي صبرها فاستمرتِ
فـواعـجـباً للقلب كيف اعتـــرافه والنفس بعد العـز كيف استذلتِ
وكـانت على الأيام نفســي عـزيزة فلما رأت صـــبري على الذل ذَلَّتِ
فقلت لها يا نفـــسُ موتـــي كريمة فقد كانـت الدنـــيا لنا ثم ولَّتِ»

١- ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٢٥-٢٦ .
٢- ابن الأبار ، إعتاب ، ص٢٢٠ .
٣- محمد محمد يونس ، ماتبقى من شعر الحاجب المصحفي، ص١٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يصور مأساته الشديدة التي حلّت به، هذه المأساة التي ذلّته ومع ذلك صبر عليها متأملاً متفائلاً، لكنه ألفى ذلك دون طائل فاختار الموت والاستسلام.

ويؤكد هذه الفكرة في أبيات أخرى يقول فيها:[١]

«لي مدة لا بد أبلغها ... فإذا انقضت أيامها متُّ

فانظر إليَّ وكن على حذر ... فبمثل حالك أمس قد كنتُ»

وهذا الاستسلام للموت يمثل غاية اليأس التي وصلت إليها نفس المعتمد أيضاً، الذي دار الزمان عليه وبدّله من (عز البنود إلى ثقل الحديد والقيود) فيقول مخاطباً الوزير الطبيب أبو العلاء بن زهر:[٢]

«دعا لي بالبقاء، وكيف يهوى ... أسيرٌ أن يطول به البقاءُ

أليس الموت أروح من حياة ... يطول على الشقي بها الشقاءُ

فمن يك من هواه لقاءُ حبٍ ... فإن هواي من حتفي اللقاءُ»

فشدة اليأس التي وصل إليها جعلته يرى الحياة في الأسر والسجن لا قيمة لها ولا تساوي شيئاً، ولذلك يفضل الموت عليها ليتخلص من بؤسه وشقائه.

ويقول المعتمد في قنوطه من رحمة الله وهو الذي كان يتأمل بالله أن يفرج أزمته:[٣]

«ماذا رمتك به الأيامُ يا كبدي ... من نبلهنَّ ولا رامٍ سوى القدَرِ

أسرٌ وعسرٌ ولا يسر أؤمّله ... أستغفر الله كم لله من نظرِ»

فالأيام التي تجري من عمر المعتمد ولا دليل فيها على الفرج، جعلته ينقلب من موقف الأمل والصبر الذي كان عليه، إلى موقف اليأس والاستسلام لقضاء الله النافذ.

أما هاشم بن عبدالعزيز فإنه يعتبر مصيره قدراً محتوماً لا مهرب منه، فيقول:[٤]

«سأرضى بحكم الله فيما ينوبني ... وما من قضاء الله للمرء مهرب»

* * * * * *

١-المرجع ذاته ص١٧٩ .

٢- ديوان المعتمد ، ص١٧٦ ، وكان المعتمد قد كتب إليه راغباً في علاج زوجته امتماد من قبله ، فأرسل إليه الطبيب رسالة يجيب فيها طلبه ، وكان قد دعا له في أثناء الرسالة بطول البقاء ، فردّ عليه المعتمد بهذه الأبيات ، انظر المراكشي ، المعجب ، ص٢١٨ .

وابن زهر هو أبو العلاء عبد الملك بن زهر، نشأ بشرق الأندلس ، رحل إلى قرطبة وتعلّم فيها، ودرس الطب وأخذه عن أبيه ، وكان مع إمامته في الطب مقدماً في الأدب ، توفي بقرطبة سنة ٥٢٥ هـ انظر التكملة :٣٣٤.

٣- ديوان المعتمد ، ص١٨٩-١٩٠ .

٤- ابن الأبار ، الحلة ،ج١ص١٤١ ، ابن عذاري ، البيان ، ج٢ ص١١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبهذا يتبين لنا أن الشعراء السجناء وقفوا في سجنهم موقفين: موقف الأمل وموقف اليأس، وكان الأمل يشيع في قلوب بعضهم، فيدعون الله ويتأملون فرجه، وبعضهم تشفَّع بالنبي الكريم، ونظر بعضهم الآخر إلى الطبيعة والكون، واستعار منها ما يلائم تفاؤله وأمله بأن الليل آخره النهار، والغصن اليابس يورق ثانية، والشمس تشرق من جديد.

أما الذين وقفوا موقف اليأس، فكانوا من الذين عانوا السجن طويلاً، ولم يرجوا منه خلاصاً، فانقلبوا إلى هذا الموقف، ناقمين ساخطين على هذا المصير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث التاسع: الحكمة (خلاصة التجربة)

إن تجربة السجن تجربة رهيبة في حياة الإنسان، تقلب كيانه وتجعله يعيد النظر في أمور كثيرة ويحاسب نفسه عليها، ويجعل السجنُ منه - لوحدته ووحشته وظلامه - متأمِّلاً في الكون وما حوله، ويختصر بهذه التجربة تجارب سنوات طويلة وتجعله ذا خبرة ودربة في شؤون الحياة.

ولعل شعراءنا نتيجةً لهذه التجربة الهائلة التي عاشوها، أصبحوا ينطقون بالحكمة عن نفس مجرِّبة معاينة.

وقد تقلبت الحكمة لديهم بين نوع من تعزية النفس في بلواها، واعتبار ما كان قدراً محتوماً، لا يملكون أمامه إلا الانصياع، أو دولة من دول الأيام، التي تُقبِل وتُدبِر على بني البشر، واعتبار هذا الإقبال والإدبار سنَّة من سنن الكون التي لن تجد لها تبديلا.

يقول ابن غصن الحجاري حول هذه الفكرة:[١]

«أزاح الدهرُ حلوَ الماء عني ... على ظمأ وأسقاني زعاقه
وربتما استحال السعد نحساً ... فذاق المعتدي مما أذاقه
وإنَّ عبوس هذا الدهر يأتي ... على أثر البشاشة والطلاقه»

فالدهر يسقي المرءَ الفرات والعلقم، والسعدُ ينقلب نحساً، والعبوس يأتي على أثر البشاشة والسعادة.

ويقول عبدالملك بن إدريس الجزيري مؤكداً الفكرة ذاتها:[٢]

«مَنْ لم يذُقْ طعم بؤساه وشدتِها ... لم يدر لذةَ نعماه ولا وَجَدا
لا بد للقدرِ المقدورِ من أمدٍ ... يلقاك فيه على حَتْمٍ وإن بَعُدا»

فالضدُّ يعرف بضده ولا طعم للنعيم إلا بالبؤس، كما أن الشاعر هنا يثبت أن ما حلَّ به كان من القدر المكتوب عليه، والذي سيصيبه ولو بعد حين، وهو يستسلم لقضاء الله ومكتوبه الذي ليس منه مهرب.

وابن شهيد أيضاً يحوم حول تلك الفكرة فيقول:[٣]

«ألا إنها الأيام تلعب بالفتى ... نحوسٌ تهادى مرة وسعودُ»

وأكَّد غيره هذه الفكرة حيث يقول المعتمد في ألفاظ مشابهة عن نفسه:[٤]

١-ابن الأبار ، إعتاب ، ص ٢١٨-٢١٩ .
٢- المصدر ذاته ، ص١٩٤ .
٣- ديوان ابن شهيد ، ص١٠١ .
٤-ديوان المعتمد ،ص١٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«فقد نظرتْ إليه عيونُ نحس مضت منه بمعدوم النظيرِ
نحوسٌ كنَّ في عقبى سعود كذاك تدور أقدار القديرِ»

ويقرر أن قضاء الله القادر على كل شيء يدور على بني البشر بالسعد زمناً، وبالنحس آخر.

أما المصحفي فهو أيضاً في محنته ويأسه يستخلص الحكم من هذا الزمان المتقلب:[١]

«تأملتُ صرف الحادثات فلم أزل أراها توفِّي عند موعدها الحرا
وما هذه الأيام إلا سحائب على كل أرض تمطر الخير والشرا»

ويؤكد الفكرة السابقة، وهي أن الزمان يحمل لأهله الخير والشر، وينالهم من كلٍّ منهما نصيب.

والمعتمد مثله في يأسه من الخلاص يقول:[٢]

«نعيمٌ وبؤسٌ، ذا لذلك ناسخ وبعدهما نَسْخُ المنايا الأمانيا»

فالحياة تحمل النعيم ويمحوه الشقاء، ثم يأتي الموت ويمحو كليهما، فكأن كل شيء ما كان.

وهكذا دارت بعض الحكم التي قالها الشعراء في تجربتهم تلك، حول فكرة أن الزمان لا يستمر على حال، والأيام تدور على الناس: فالسعادة لا تستمر والهناء لا يدوم. وهذه الفكرة التي اهتم بها جانب الحكمة في أشعار السجناء هي نوع من تعزية النفس في مصابها، باللجوء إلى مشجب يعلقون عليه ما وصل إليه حالهم، ويخففون عن طريقه من وقع المصيبة أمام أنفسهم وأمام أعدائهم.

يقول المصحفي:[٣]

«لا تأمنن من الزمان تقلبا إن الزمان بأهله يتقلبُ
ولقد أراني والليوث تهابني وأخافني من بعد ذاك الثعلبُ
حسبُ الكريم مذلةٌ ونقيصةٌ ألا يزال إلى لئيم يطلبُ
وإذا أتت أعجوبة فاصبر لها فالدهر يأتي بالذي هو أعجبُ»

فالمصحفي ذلك الوزير الحاجب، الشخصية الكبيرة في بلاط الخليفة الحكم

١- محمد محمود يونس، ما تبقى من شعر الحاجب المصحفي، ص ١٨٤.
٢- ديوان المعتمد، ص١٨٤.
٣- محمد محمود يونس، المرجع ذاته، ص١٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المستنصر، انقلبت أيامه ودارت عليه الدوائر، وسقط في هاويات السجن ذليلاً منكسراً مقهوراً، على يد خصمه المتألق المنصور بن أبي عامر، الذي أذاقه صنوف العذاب والهوان، فتراه يخرج بهذه الخلاصة من تجربته المرة، بأن الإنسان يكون لاهياً عابثاً عما يحيك الزمان له من أهوال، ثم تراه والأحوال تنقلب به، فيتغير موقعه في مجتمعه، وتسقط كل الحسابات التي كان فيها مقدماً! لماذا؟ لأن هذا الزمان يأتي بالعجائب التي لا تخطر في باله وهو في غمرة العز والأبهة التي كان يعيشها.

أما المعتمد فإنه يخلص من تجربته المريرة بأن يَقْنعَ من دنياه بقدره المكتوب وحظِّه العاثر بفقده العز والوطن، فيقول:[1]

«اقنع بحظك في دنيـــاك ما كانا ... وعـزِّ نفسك إن فارقت أوطانا
في الله من كلِّ مفقود مضى عِوَضٌ ... فاشعر القلبَ إيماناً وسلوانا
وطِّنْ على الكره وارقب إثرَهُ فَرَجاً ... واستغفر الله تغنم منه غفرانا»

فهو قد يئس من استرجاع ماضي عهده، فلم يجد غير الاستسلام لقضاء الله وقدره، بفقدان كل ما يملك من الوطن والأهل والمال، لكنه استسلام مشفوع بترقُّب الفرج وإن كان بعيداً، واستغفار الخالق على ما مرَّ عليه من لحظات يأس قاتلة.

بينما نجد الشريف الطليق الذي سُجنَ مدة طويلة سَرَقت منه أجمل سنوات عمره، ينطق بفلسفة عميقة هي أصل الكون والحياة والدنيا، وهو أن مصير هذه الدنيا بنعيمها وبؤسها إلى الفناء ،حتى الزمان الذي يسعدنا ويشقينا سيفنى كما يفنينا، وأن الكون وكل ما يمر علينا، يسير إلى غاية مقصودة وإن جهلنا ماهيتها.

«ألا إن دهراً هادماً كلَّ ما نـــبني ... سيبلى كما يُبلي ويفنى كما يُفني
وما الفوزُ في الدنيا هو الفوز إنما ... يفوز الفتى بالربح فيها مع الغبنِ
يُجازَى ببؤسٍ عن لذيذ نعيمها ... ويجني الردى مما غدت كفه تجني
ولا شك أن الحزن يجري لغاية ... ولكن نفس المرء سيئة الظـــن»[2]

* * * * * * *

وهكذا فإن هذه التجربة التي خاض غمارها الشعراء السجناء جعلتهم يستخلصون منها الحِكَم التي ظهرت جلياً في أشعارهم، سواء أكانت قُدمت للشامتين أو قُدمت للناس في كل زمان ومكان.

١- ديوان المعتمد ،ص١٩٢ .
٢- ابن الأبار ، الحلة ، ج١ ص٢٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخلاصة تجربة السجن هذه تكمن في أن الزمان يوم لك ويوم عليك، ويوم سعادة ويوم تعاسة، وأنَّ كل امرئ ذائق من كأس الحياة تسقيه الحلو والفرات، ثم تجرعه كأس السم والزعاق، وأن هذا الكأس يدور على كل الناس ولا يفرق بينهم.

وكان بعض الشعراء قد نظروا إلى أبعد مما هم فيه، وتأملوا في غاية الكون السامية، وأن هذا الزمان الذي يسلبنا اللحظات الجميلة أو يعطينا إياها، سيأتي دوره عندما يشاء الله، وسيفنى ويُقضى عليه، مثلما كان يفعل بالبشر وأهل الدنيا.

* * * * *

وبهذا نجد أن موضوعات شعر السجن قد تعددت كما مرَّ في المباحث السابقة، وأن هذه الموضوعات كانت تُعَدُّ فروعاً للأصل ألا وهو الحديث عن تجربة السجن التي وقع الشعراء فريسة لها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

أساليب الشعراء في وصف تجربة السجن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تفاوتت أساليب الشعراء في التعبير عن تجربة السجن ووصفها ، وكان هذا التفاوت راجعاً إلى اختلاف القدرات الأدبية وتباينها للشعراء أنفسهم ، ولكن يمكن لنا أن نرصد بعض النقاط والمحاور التي التقوا فيها ، وشكّلت في مجملها مميزات أسلوب شعر السجن ، وهي التي ستكون مدار حديثنا في المباحث التالية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول : بناء القصيدة (الشكل والمضمون)

يمكن للناظر في شعر السجن في الأندلس أن يلاحظ أن هذا الشعر من حيث الحجم يقسم إلى قصائد طويلة ومقطعات قصيرة لا تتجاوز بضعة أبيات ، فالحجم إذن في شعر السجن ليس واحداً عند الشعراء ، حيث نجد أن بعضهم كانت له قصائد طوالاً -نسبياً- في هذه التجربة ، وإنْ تعددت موضوعات القصيدة الواحدة ، ونجد لبعضهم الآخر مجموعة لا بأس بها من الأبيات ضمن المقطعات الشعرية ، التي لم تتجاوز في بعض الأحيان الأبيات الخمسة.

وقد ترجع أسباب ذلك إلى أن مثل هذه المقطعات كانت ضمن قصائد كاملة ولكن لم تصل إلينا ، أو أنها كذلك حيث اكتفى أصحابها بإنشائها بهذا الحجم لوفائها بالحاجة ، كما يمكن أن نرجع ذلك إلى قدرة الشاعر نفسه وتمكُّنه من التعبيرعن تجربته في مثل هذه الأبيات ، وقد وصلت إلينا مثلاً أخبار عن بعض الشعراء الذين تعرضوا للسجن ولم يقولوا شعراً فيه، أو أخبار عن بعض الشعراء ممن قالوا في سجنهم أشعاراً كثيرة، لكن لم يصل إلينا إلا أبيات متفرقة .

وربما يكون تفاوت القصائد في حجمها عائداً إلى تباين ردود أفعال الشعراء كلٌّ تجاه مصيبة السجن التي حلّت عليه ، ثم تفاوت التعبير عن الموقف تبعاً لتفاوت تأثير هذه التجربة في نفس كلٍّ منهم ، ولكل شاعر طريقته في التعبير المناسب عما يجول في داخله من مشاعر تجاه ظروف سجنه .

أما القصائد الطويلة التي قيلت في السجن ، فإن أصحابها كانوا من الشعراء المتميزين في تاريخ الأدب الأندلسي ، مثل : الغزال ، وابن زيدون ، والمعتمد ، وابن عمار ، وابن شهيد ، وابن الأبار ، وهم كما نعلم من فحول الشعراء الأندلسيين .

وفي هذا المبحث لا ينبغي لنا أن نفصل شكل القصيدة وبناءها عن المضمون الذي تحمله ، فالشكل والمضمون وجهان لعملة واحدة ، وفي القصائد الطويلة لم يخترالشعراء في التعبير عن تجربتهم تلك شكلاً واحداً ساروا عليه ، بل نجدهم نتيجة الضغط الواقع عليهم ، والاضطراب والحيرة التي وقعوا فيها يعبِّرون عن تلك التجربة بأساليب متنوعة ،سنتعرض لها فيما يلي :

* **مقدمات القصائد :**

كان هناك من شعراء السجن من حذا حذو الأقدمين في بعض شعرهم ، والتزموا ذكر المرأة والمقدمة الغزلية في قصائدهم ، وكانت تلك المقدمات الغزلية حافلة بمشاعر التوجع والشوق وآلام الحب واضطرابات العشق ،الأمر الذي يجعلنا نشعر أن تلك المقدمة وإن كانت غزلية فإنها لا تنفصل عن موضوع القصيدة الأساسي ألا وهو مأساة السجن ، ونشعر أن مناجاة الحبيبة و الشكوى إليها وذكرها في الأبيات ، يعتبر نوعاً من التخفيف عن نفس السجين ،ويكون البوح لها بثقل الهم في صدره أملاً بها أن تشاركه في مصيبته، وتخففها عنه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انظر إلى قول هاشم بن عبد العزيز مخاطبا جاريته عاج شاكياً إليها حرقة سجنه ،قائلاً:[١]

«و إني عداني أن أزورك مطبقٌ ... وبابٌ منيع بالحديد مُضبَّبُ

فإن تعجبي يا عاجُ مما أصابني ... ففي ريب هذا الدهر ما يُتعجَّبُ

وفي النفس أشياءٌ أبيتُ بغمها ... كأني على جمر الغضى أتقلب »

فذكر المرأة لم يأت هكذا عبثاً ، إذ يوحي للقارىء بمدى الألم والتوجع الذي يحسه الشاعر في سجنه ، وبقرب محبوبته منه، وبحاجته الماسَّة إلى الشكوى لقريب يخفف عنه، ويحمل الهم معه ، فتنساب كلماته من قلبه إلى قلبها ، دون أن يعيق مسيرها عائق ، فيبوح لها بمكنونات نفسه الحبيسة الهموم ، ويشكو إليها مرارة سجنه ومنعته التي حالت دون لقائهما ، وبعد هذه المقدمة والشكوى للحبيبة ، يصف الشاعر مأساته وهمومه التي أوقعه السجن فيها .

وعندما نتأمل أيضاً قول الشاعر الرمادي في إحدى قصائده ، وهو يذكر المرأة حبيبة ويشكو إليها ما يعانيه قائلاً :[٢]

« نسائلها هلاً كفاك نحولُهُ ... ونَصْبَتُهُ أو دمعه وهُمولُهُ

تكنَّفَه همَّان : شجوٌ وصبوةٌ ... فَبُلِّغَ واشيه المنى وعذوله

فإن يستبن في وجهه همُّ سجنه ... فقد غاب في الأحشاء عنكِ دخيله

معَنًّىً بكتمان الحبيب وحبِّه ... فإنْ يقتل الكتمان فهو قتيله »

نلاحظ أن الألفاظ والمعاني التي تحملها هذه المقدمة الغزلية لا تدل فقط على عذاب الحب وآلامه ، بل هي ناطقة بحاله في سجنه وعذابه ، وبما يزيده السجن في عذاب العاشق وفداحة مصابه ، وكأن ألفاظ الحب الحارق استعيرت لتعبر عن مأساة السجن ، وهي ألفاظ انتزعت من حالة العاشق المهموم الباكي المتألم ، الذي نال منه الواشي كل منال ، فأذاقه ذلك من عذاب الحب وألوانه .

وهو أيضاً الذي يقول : [٣]

«على كبدي تهمي السحاب وتذرفُ ... ومن جَزَعي تبكي الحمام وتهتفُ

ألا ظعنت ليلى وبان قطينُها ... ولكنني باقٍ فلوموا وعنِّفوا

وأنست في وجه الصباح لبَيْنها ... نحولاً ، كأن الصُّبحَ مثليَ مُدْنَفُ »

١- ابن الأبار ، الحلة ، ج١ ص١٤٠، وابن عذاري، البيان ، ج٢ ص١١٦ .
٢- ماهر جرار ، شعر الرمادي ، ص١٠٣ .
٣- المرجع ذاته ، ص٨٨- ٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذه ليلى الحبيبة التي ذكرها الشاعر في إحدى قصائده - التي ربما لم تصل إلينا كاملة - هي رمز للتخفيف عنه ، على الرغم من محاولته إخفاء أثر ذلك على نفسه في أبياته اللاحقة لهذه الأبيات ، فيتغزل بجمال جسد ليلى بصور تقليدية ، تعيدنا إلى الصورة المثالية للمحبوبة المعشوقة في أدبنا العربي .

فالمقدمة الغزلية - إن اعتبرنا هذه الأبيات مقدمة لأبيات لاحقة لم تصل - مرتبطة بموضوع السجن ، في الدلالات التي تحملها الألفاظ ، وهي دلالات الحزن والبكاء ، والتوجع لفراق المحبوبة ، بما يمكن أن نقابلها من توجع لفراق الحرية ، ثم أمل الشاعر وإصراره على حبها رغم البعاد ، واستعادة صور الماضي ، لتكون عوناً على تحمل آلام الحاضر المؤلم .

وبهذا يمكن لنا بكل يسر أن نسقط دلالات هذه الألفاظ ،على مافي روحه وقلبه المعذب بلظى السجن وقيوده ، فنتبين الحالة التي يعاني ، والمأساة التي يحيا تفاصيلها كل يوم .

أما ابن زيدون ففي مقدمة إحدى قصائده التي قالها في السجن ، يقول [1] :

« ماجال بعدكِ لحظي في سنا القمر ... إلا ذكرتُكِ ذكرَ العين بالأثر
ولااستطلتُ ذَماءَ الليل من أسف ... إلا على ليلة سرَّت مع القصر
فليت ذاك السواد الجوْنَ متصل ... لو استعار سواد القلب والبصر
فهمتُ معنى الهوى من وحي طرفِكِ لي ... إن الحوار لمفهوم من الحَوَرِ

إلى قوله:

لا لهو أيامي الخالي بمرتجعٍ ... ولا نعيم ليالي بمُنْتَظَرِ
منىً كأن لم يكن إلاّ تذكُّرُها ... إن الغرام لمعتادٌ مع الذكرِ »

هذه المقدمة الغزلية الرقيقة الطويلة ، جاءت وثيقة الصلة والارتباط بباقي كيان القصيدة ،التي كان موضوعها الأساسي مدحَ سجَّانه أبي الحزم بن جهور واستعطافه ، وشرح مأساة السجن الواقعة عليه ، وتهديد خصومه الشامتين بمصير مشابه سيؤولون إليه .

وهي أيضاً تحكي غرامه بمحبوبته ولادة ، وتلك الذكريات الحلوة التي قضاها وإياها زمان الحرية ، وترتبط هذه المقدمة بقصيدته التي قيلت في غير ذلك الزمان ، فيرتبط الشوق للماضي السعيد المحلق في أجواء الحرية بواقع الشاعر المقيد بمكان هو السجن، وزمان هو الحاضر المؤلم ، وتحمل لنا كذلك شوق الشاعر وأمله بأن يستعيد تلك الذكريات من جديد ، وأن يعيدها واقعاً معاشاً على الحقيقة ، لا لشيء إلا لأنها كانت في زمان الحرية ، وبعودتها يتخلص من سجنه لينطلق في العالم الحر

١-ديوان ابن زيدون ، ص١٤٧و ١٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من جديد .

وهكذا وجدنا أن المقدمات الغزلية التي تضمنتها بعض قصائد السجن ، كانت ترتبط بموضوع القصيدة الأساسي وهو السجن ولا تنفصل عنه، ويتأكد هذا الارتباط بالألفاظ والدلالات المختارة من عالم الحب ، وهي دلالات الألم والتوجع ، التي يمكن اسقاطها بسهولة على حال السجين .

كما أن المقدمات الغزلية لم تكن شائعة في شعر السجن ، ربما لأن هذا الموضوع الرقيق الذي يسلب القلوب هدوءها واستقرارها ، كان يحتاج إلى جو آخر غير جو السجن وظروفه للتعبير عنه، وربما لأن أغلب الشعراء الذين ندرس لم يشتهروا بتعشقهم وتجاربهم العاطفية إلا فيما ندر .

كما أن هذه المقدمات الغزلية لم تكن تمثل اتجاه الشعراء في السير على خطوات سابقيهم فحسب، بل نجد فيها من قوة الارتباط بالقصيدة ما يجعلها أحياناً جزءاً لا بد منه، ومدخلاً أساسياً لفهم اضطرابات السجين النفسية والشعورية ، بما توحيه ألفاظها من دلالات ، تتيح لنا سبر أعماق نفس السجين وتفهُّم ما يعانيه .

أما المقدمات الغزلية التي لم يكن لها صلة وثيقة بموضوع قصيدة السجن ، فمنها قول الشاعر يحيى الغزال في قصيدته في السجن : [1]

« بعض تصابيكَ على زينبِ ... لا خيرَ في الصبوة للأشيب
أبعدَ خمسين تقضّيْتَها ... وافيةً، تصبو إلى الرَبرَبِ
كلّ رداحِ الرِّدف خُمصانةٍ ... كالمهرة الضامر لم تُركبِ
أو دُرّةٍ ساعة ما استخرجت ... لم تمتهن بعدُ ولم تثقبِ
مشربةِ اللون متوع الضحى ... صفراءَ بالآصال كالمذهب »

فالمقدمة الغزلية في قصيدته هذه هي تشبيب وتغزل لا مكان فيه لما يدلنا على آلام السجن وأوجاعه، وليس في ألفاظها دلالات على أنها قيلت في الشكوى من السجن، بل هي توحي بأن شاعرنا الغزال لم يكن لديه همٌ حقيقي في سجنه ، وكأنه كان واثقاً أنها غمامةٌ سرعان ما تنجلي ، لذا جاءت مقدمة هذه القصيدة مصنوعة وفق التقليد الأدبي بالبدء بالمقدمة الغزلية ثم الانتقال إلى غرض الشاعر ، وكان غرض الشاعر مدح الأمير عبد الرحمن الثاني ، وتسويغ موقف الغزال الذي أدى بالأمير إلى سجنه ، وقد فعلت هذه القصيدة فعلها ، حيث أطلقه الأمير عقب سماع هذا الشعر .

* * * * *

وليست قصائد السجن دائماً ذات مقدمات غزلية ، إذ كان أغلب الشعراء

١- ديوان يحيى بن الحكم الغزال، ص٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يدخلون قصائدهم دون الحاجة إلى مثل هذا النوع أو غيره من المقدمات ؛ لأن تجربة السجن بأثرها الكبير في النفس الإنسانية تجعل المعاني واضحة في نفس المبتلي ، فتنساب بعفوية وصدق كما ترتبت في نفسه .

فالوزير أبوبكر بن عمار يستعطف سجّانه المعتمد بقصيدته الحائية المشهورة ،ويبدأ أبياته فيها بغرضه فوراً ، وهو مدح المعتمد واستعطافه ، وطلب الصفح والعفو ، فيقول [١]:

« سجاياكَ إن عافيتَ أندى وأسمحُ ... وعذرك إن عاقبتَ أجلى وأوضحُ
وإن كان بين الخطتين مزيَّةٌ ... فأنت إلى الأدنى من الله أجنحُ
حنانيك في أخذي برأيك لا تُطعْ ... عُداتي ، وإن أثنوا عليَّ وأفصحوا
أقِلني بما بيني وبينكَ من رضىً ... له نحو رَوْح الله بابٌ مفتَّحُ
وعفٌ على آثار جرمٍ جنيتُهُ ... بهبَّة رحمى منك تمحو وتُمصحُ »

والمعتمد يعبر عن يأسه ومأساته في السجن ، فيرد على الطبيب الوزير أبي العلاء بن زهر ، الذي دعا له في رسالة بطول البقاء ،قائلاً : [٢]

« دعا لي بالبقاء وكيف يهوى ... أسيرٌ أن يطولَ به البقاءُ
أليس الموتُ أروحَ من حياة ... يطول على الشقيِّ بها الشقاء
فمن يك من هواه لقاء حبٍ ... فإن هوايَ من حتفي اللقاء
أأرغب أن أعيش أرى بناتي ... عواريَ قد أضرَّ بها الحفاءُ »

فالمشاعر الثائرة في نفس السجين ، والمواقف المضطربة التي يعيشها في سجنه لا تتطلب منه في كثير من الأحيان أن يبدأ قصائده بالمقدمات التقليدية ، بل يدخل في موضوعه دون مقدمات ؛ لأن العفوية التي يتميز بها هذا الشعر تبعده عن التأني أحياناً وتنسيق الألفاظ وتنميقها قبل إعداد القصيدة .

كما أن هذا الموضوع المتعلق بالسجن ، لا يحتاج إلى مقدمة للدخول فيه ؛ لأنه لا يحتمل التأجيل أو المراوغة ، بل إنه يحتاج إلى الابتعاد عن كل ما من شأنه أن يبعد الشاعر عن الهدف أو أن يستبدله بهدف آخر .

***تعدُّد الأغراض في القصيدة الواحدة:**

أما من حيث مضمون القصائد والأغراض التي طرقها شعر السجن ، فهي في مجملها الأغراض التقليدية من المدح والاستعطاف والغزل والوصف ورثاء النفس أوالافتخار بها .

ويلاحظ في قصائد السجن ومقطوعاته أنها لم تكن تتحدث في غرض واحد في

١- صلاح خالص ، محمد بن عمار ، ص٣١٩-٣٢٠ ، تمصح : تزول .
٢-ديوان المعتمد ، ص١٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغالب ، وإن دارت جميعها في فلك الحديث عن وصف تجربة السجن ومعاناة صاحبها ، إلا أن هذا الوصف سار في مسارات متعددة ؛ ليغطي الجوانب المختلفة التي تكشف وتعبر عن مواقف السجناء في هذه التجربة.

ولهذا فإن القصائد التي قيلت في السجن كانت متعددة الأغراض، فابن الأبار في قصائده التي قالها أثناء نفيه في بجّاية تكلم في قصيدته رقم ١١٠[١] عن مدح السلطان أبي زكريا الحفصي واستعطافه ، والاستشفاع بولي عهده ابنه محمد ، وفي قصيدة أخرى [٢] يطرق موضوعات الأمل بالخلاص وذكرى الأبناء ، ثم المدح والاستعطاف .

ويتحدث التعاليمي يحيى بن هذيل في قصيدته أثناء الاعتقال [٣] عن شوقه للحبيب من خلال وصف المأساة ، ثم استعراض أحوال السجناء ، والحديث عن الزمان ، ثم لا يلبث أن يدعو الله أملاً بالخلاص من اعتقاله .

وللشاعر الجزيري في قصيدته الرائية المشهورة [٤] حديثٌ عن الأهل والأحبة ، وشكوى المأساة لابنه ، ثم تقديم النصائح والحِكم له ؛ يتسلح بها في مواجهة الحياة : كاغتراف العلم ،والاهتمام بالمخبر لا بالمنظر ، وصون اللسان ، والاتسام بالصفح والتسامح .

أما ابن حزم في قصيدته في السجن [٥] فإنه يصف مأساة السجن ، والحنين للأهل والأحبة ، وأثر السجن والقيد على نفسه ، ثم الأمل بالخلاص وفكاك القيد .

وابن زيدون في قصائده المتعددة في السجن يتحدث عن أغراض متنوعة ، تصب كلها في هم السجن الذي لحق به ، ففي قصيدة له [٦] يتحدث عن الماضي السعيد يخالطه الغزل، ثم يفتخر بنفسه ويزهو بها ، ثم يمدح ويستعطف سجّانه ابن جهور ، وفي قصيدة أخرى [٧] يقدم لها بمقدمة غزلية، ويصف مأساته ، ويهدد خصومه والشامتين به ، ثم يمدح ويستعطف .... وهكذا في قصائد السجن الأخرى التي قالها.

وهكذا تعددت الأغراض التي طرقتها قصيدة السجن الطويلة ، وكانت هذه الأغراض تسيرفي خطها العام موازية للغرض الأساسي في القصيدة وهو وصف مأساة السجن ، وكان من الأغراض : الاستعطاف ، أو الحديث عن ظروف السجن والسجناء والقيود ، أو تهديد الخصوم والشامتين بالسجين ، والشكوى من الزمان واستخلاص العبر من هذه التجربة المرّة ، والحديث عن حال الأهل على البُعد والشوق إليهم .

١- ابن الأبار القضاعي، ديوان ، تعليق عبد السلام الهرس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٥ ص٢٤٠ .
٢- المصدر ذاته ،ص٢٥٩ .
٣- المقري ، النفح ، ج٥ ص٤٨٧ .
٤- الثعالبي ، اليتيمة ، ج٢ ص١١٧ .
٥- إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ص٣٨٥ .
٦- ديوان ابن زيدون ، ص١٢٣ .
٧-المصدر ذاته ، ص ١٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الأغراض كلها نجدها تخدم قصيدة السجن خدمة وافية، بما تتيحه من إيضاحات حول مختلف الظروف والقضايا المحيطة بالسجن ، وبالمأساة التي عاشها الشعراء جرّاءه، وما أثارته في نفوسهم من أحاسيس و اضطرابات.

أما المقطعات الشريعة القصيرة التي قيلت في السجن ، فكانت تحمل أحياناً تعددا في الأغراض ، حيث كشف الشاعر عن المعاني التي كان يريد التعبير عنها ، فتضمنت المقطعة الواحدة أحياناً غرضاً أو أكثر ، فهذا لسان الدين بن الخطيب في مقطعته التي وصلت إلينا في سجنه و شكواه - تتكون من ثمانية أبيات [١]- يتحدث فيها عن أثر المأساة على نفسه ، بالنظر إلى المستوى الاجتماعي الذي كان ينتمي إليه، وعن تهديد الخصوم الشامتين بأنهم سيلاقون مصير الموت عاجلاً أم آجلاً.

وهذا عبد الله بن عذرة يكتب من الأسر في طليطلة مقطوعة[٢] ، تحدث فيها عن وصف حاله في المأساة ، وعن أيام الماضي الجميل اللاهي العابث. و هاشم بن عبد العزيز في مقطوعته الشعرية [٣] يشكو مأساته لجاريته ،ثم يعزي نفسه بمجموعة من الحكم التي استخلصها من الزمان . وهذا عيسى بن الحسن يكتب مقطوعة يتشوق فيها إلى الحرية والعيش خارج السجن بين أهله وفي دياره[٤] .ومحمد بن رشيق القلعي ينشد في سجنه ثلاثة أبيات [٥] يهوّن فيها المصيبة على نفسه ؛ حتى لا يكون عوناً للدهر في زيادة عذاب نفسه ، ويتأمل بالخلاص الذي سيذهب عنه قسوة هذه الأيام. وهناك مقطوعات قصيرة للشريف الطليق ، في اعتلاء الشيب شعره وفي القيد ، و همّ السجن ؛ وخلاصة تجربته فيه[٦] .

* * * * *

و بهذا نتبين أن قصيدة السجن الطويلة تعددت فيها الأغراض التي كانت حديثاً للشعراء ، وكانت هذه الأغراض تدور حول الموضوع العام للقصيدة ، وهو بيان همّ السجين وأثر المأساة عليه .

وكان تعدد الأغراض هذا قد أتاحته القصيدة الطويلة للشاعر ، مع أن المقطعات الشعرية لم تخل منه أيضاً على قصرها ، فقد كانت عرضاً دقيقاً و مكثفاً للنفسية القلقة الحائرة ، وللمشاعر المضطربة المتناقضة التي وقع الشاعر فريسة لها في سجنه ، فحاول أن يوجز بأبلغ طريق هذه المشاعر ، وتلك الحيرة ، وذلك التناقض، الذي أفرزته الصدمة كحاجز بين حياة الحرية والانطلاق وبين قيود السجن .

١-ديوان الصيب والجهام ، ص٨٦ .
٢-ابن سعيد ، المغرب ، ج٢ ص١٤٨ ، والمقري ، النفح. ج٣ ص٥٠٧ .
٣- ابن الأبار ، الحلة ،ج١ ص١٤٠-١٤١ .
٤- ابن سعيد ، مصدر سابق ،ج١ ص٢١٢ .
٥-المقري ، مصدر سابق،ج٣ ص٥٣٢ .
٦-انظر ملحق أشعار السجن في نهاية هذه الدراسة، رقم الشاعر ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* المحسنات اللفظية و المعنوية :

على الرغم من أن الأشعار التي قيلت في السجن ، قد قيلت في ذلك الظرف القاسي ، وتلك اللحظات العصيبة ، إلا أن الشاعر في تعبيره عنها لم ينفصل عن ذاته الشعرية، تلك الذات التي تنهل من فنون الشعر وأساليبه ، ولذلك حتى في أقسى اللحظات وفي أشد الأوقات يأساً وقنوطاً ، جاءت الأشعار على لسان الشعراء مكسوة بأبهى الحلل ، من المحسنات التي تزيد المعاني بهاءً و رقة ، وقد جرى شعراء الأندلس على سنن غيرهم في المحسنات اللفظية والمعنوية ، فاستخدموا الجناس والطباق و التورية .... و غيرها مما جاء في مجمله خدمة للنص وللمعنى المقصود ، أي دون تكلف يذكر.

و يعد ابن الأبار من الذين أكثروا من استخدام المحسنات اللفظية في أشعاره ، التي قالها في أثناء النفي إلى بجاية من قبل الأمير أبي زكريا الحفصي ، وكان في قصائده يستعطفه ، فيحشد كل ما يملك من طاقات التعبير لمدح مولاه واستعطافه، لعله ينال رضاه ثانية فيعفو عنه، ومن ذلك في قصيدة له يمدح أبا زكريا ويستعطفه ، يقول :[١]

«ملك بالقرب من سدّته ... يحرز المرء العلا والسؤددا

مثلما أحرز عن أبائه ... الأمراء الراشدين الرشدا

قسم الدهر لصول يتّقى ... و لطول بين بأس و ندى»

فيجانس جناساً ناقصاً بين الراشدين والرشدا، وبين صول وطول.

ويقول أيضاً[٢]:

« كتائب تخفق الرايات فيها ... كما فرق الفؤاد من الفُراقِ

بها غدر المواضي والموازي ... ترقرق في انسياب وانسياقِ

أميرٌ كله علمٌ وحلمٌ ... وإحسان وعدل في اتساق »

فيجانس بين فرق وفراق ، و المواضي والموازي وعلم وحلم ، وانسياب وانسياق.

ويقول كذلك [٣]:

«بشرى بإسفار صباح النجاح ... عن صفحة الصفح و خفض الجناح

قد آذن المَنُّ بحوز المُنى ... و أعلن الكَدْح بفوز القداحِ»

١- ديوان ابن الأبار ، ص١٦٠ .
٢- المصدر ذاته ، ص٣٩٠ .
٣- ابن الأبار ، إعتاب ، ص٢٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيجانس بين النجاح والجناح ، والمن والمنى ، والكدح والقداح .

وهذا ابن زيدون يجانس أيضاً في بعض شعره فيقول في إحدى مقدماته الغزلية :[١]

«فهمت معنى الهوى من وحي طرفك لي إن الحوار لفهوم من الحَوَرِ
واهاً لثغرك ثغراً بات يكلؤه غيران تسري عواليه إلى الثُغَرِ»

فيجانس بين الحوار والحَور ، والثغر و الثُغر (وهي الطرق).

ويقول ابن الوكيل اليابري [٢] :

« غريب بأرض الغرب فرَّق قلبه فآوت سلا فرقاً و يابرة فرقا
حياء يغض الطرف إلا عن العلا وعرض كماء المُزْن في الحَزْن بل أنقا»

مجانسا بين غريب والغرب، وفرَّق و فرق، وبين المزن والحزن .

ويقول عبد الله بن عذرة [٣]:

«هذا وكم بتنا وفي أيماننا كأس الشَّمول
والعود يخفق والدخان العنبري به يجول
حال الزمان ولم يزل مذ كنت أعهده يحول »

فيجانس بين حال و يحول .

وهكذا نلمس من الأمثلة السابقة و من غيرها مما ورد في شعر السجن - أن الجناس الذي جاء على ألسنة الشعراء ، ورد عفو الخاطر في أغلب الأحيان ، وكان على شكل جناس ناقص في الغالب أيضاً .

وليس الجناس وحده ، فهناك أيضا الطباق ، وهو من المحسنات التي رأينا شعراء السجون يكثرون منها ، ذلك أن تجربتهم الصعبة تلك ، جعلتهم في موقف يعتصرون فيه كل المعاني لوصف ما يمرون به ، ووجدوا أن الطباق يفي بما يقصدون ،من حيث أن الضدَّ يبرز حسنه الضد ، فساعدهم على إبراز المشاعر المتناقضة ،والحال السيئة التي كانوا يمرون بها،فكان الشاعر عند الحديث عن أي شيء يلجأ إلى ذكر ضده و نقيضه ؛ في محاولة للإحاطة بجوانب ما يشعر به ، وما يمر عليه أثناء تلك المأساة . وقد ساهم الطباق خاصة في إبراز المأساة والمعاناة التي يمر بها الشاعر في هذه التجربة، و ظهر كأنْ لا غنى عنه لجلاء حقيقة تلك

١- ديوان ابن زيدون ،ص١٤٧-١٤٨ .
٢-الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص١٩٧ .
٣-المقري، النفح ، ج٣ ص٥٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التجربة الشعورية . ومن ذلك ما يصف به المعتمد مأساته و ذله ، بقوله مخاطبا ابنه الرشيد (١):

« وأنا اليوم رهن أسر وفقر مستباح الحمى مهيض الجناح
عاد بشري الذي عهدت عبوسا شغلتني الأشجان عن أفراحي»

فهو يطابق بين البشر والعبوس ، والأشجان و الأفراح، في محاولته شرح حاله و معاناته ، وجلاء حقيقتها . ويقول كذلك معتمدا على الطباق وسيلة للمقارنة بين حاله والأمس و حاله اليوم (٢):

«نحوسٌ كن في عقبى سعود كذاك تدور أقدار القدير»

ويقول (٣):

« أسر وعسر ولايسر أؤمله أستغفر الله كم لله من نظر»

ويقول (٤):

«ذل و فقر أزالا عزة و غنى نعمى الليالي من البلوى على كثب»

شارحا حاله الصعب و أثر المأساة عليه ، بمقارنته أحوال الحاضر و أحوال مضت، فيطابق بين النحوس والسعود ، والعسر واليسر ، والذل والعزة ، والفقر والغنى و هي كلها كلمات تلخص مأساة المعتمد ، أعظم ملوك الطوائف في الأندلس ، و أشهرهم في الشجاعة والفروسية والأدب ، الذي أنطقت لسانَهُ هذه التجربة بحكمة قائمة على المطابقة بين أحوال الزمان ، فيقول (٥):

« من يصحب الدهر لايعدم تقلبه والشوك ينبت فيه الورد والآس
يمر حينا و تحلو لي حوادثه فقلّما جرحت إلا انثنت تاسو »

ومثل الذي عند المعتمد نجد الشعراء يلجأون إلى الطباق لبيان المأساة التي يعانون ، وشرح المشاعر التي يحسون ، وهذا البيان اعتمد عندهم خاصة على المطابقة بين أحوال الأمس و اليوم ؛ لما لها من أثر في إبراز حقيقتها .

يقول عز الدولة بن صمادح - ابن ملك ألمرية أيام الطوائف - عندما قبض عليه في غرناطة، لمّا وجهه أبوه إليها لترضية ابن تاشفين عند دخوله الأندلس (٦):

١- ديوان المعتمد ، ص١٥٧ .
٢- المصدر ذاته ، ص١٧٥ .
٣- المصدر ذاته ص١٩٠ .
٤- المصدر ذاته الصفحة نفسها .
٥- المعتمد ، أبو القاسم محمد بن عباد ، ديوان ، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥١ ،ص١٤٦
٦- المقري، النفح ، ج٧ ص٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«أبعد السنا والمعالي خمول و بعد ركوب المذاكي كبول
ومن بعد ما كنت حراً عزيزاً أنا اليوم عبد أسير ذليل»

فهو في طباقه بين حر وعبد ، وعزيز وذليل يبين أثر السجن على مثله ، وهوابن ملك عاش حرا مكرما عالي المقام في دياره، فانقلب الزمان به وبأحواله.

وقال الجزيري لما اعتقله المنصور في إحدى قلاع شرق الأندلس، بعد أن عتب عليه وصرفه عن الكتابة [١]:

«قالوا جفاه ثلاثاً ثم غربه فليس يرجو لديه حظوة أبدا
جاروا وما عدلوا في القول بل حكموا على المقادير جهلا، لا هدوا رشدا
من لم يذق طعم بؤساه وشدتها لم يدر لذة نعماه ولا وجدا »

فهو يبين أن موقفه سليم ، وأن مافيه إن هوإلا سعي الوشاة والحاسدين ، ولذلك هو يطابق في صفاتهم لبيان صورهم الحقيقية ، فهم(جاروا) و (ما عدلوا) ، وهم (جاهلون) و ليسوا (راشدين) ، و حكمته التي يسوقها ليصبر نفسه في مصابها ، تقوم على المطابقة بين صفات الدهر ، والثنائية التي يقوم عليها الكون، ألا وهي البؤس و النعمة.

ومثله ابن زيدون في السجن ، قال أشعارا كثيرة رائعة ، في بيان حاله و مأساته و الزمان الذي جار عليه ، حيث يقول [٢] :

«ما على ظني باسُ يجرح الدهر وياسو
ربما أشرف بالمر ء على الأمال ياس
و لقد ينجيك إغفا ل ويرديك احتراس
و كذا الدهر إذا ما عزَّ ناسٌ ذلَّ ناسُ »

فشعره هنا كله قائم على المطابقة:بين يجرح و ياسو ، وينجيك إغفال ،ويرديك احتراس ، وعزٌ و ذلٌ ، وفي هذه المطابقة الرقيقة الجميلة جلاء لصورة هذا الزمان المتقلب بأهله المغيِّر أحوالهم من حال إلى آخر.

ويقول أبو الأصبغ عيسى بن الحسن في سجنه مطابقا بين بعض أحواله ، مبينا استواء هذه الأحوال المتباينة في نظره نتيجة السجن :

١- ابن الأبار ، إعتاب ، ص١٩٤
٢- ديوان ابن زيدون ، ص٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«ليت شعري كيف البلاد وكيف ال إنس والوحش و السما والماء
طال عهدي عن كل ذاك وليلي و نهاري في مقلتيَّ سواء
ليس حظي من البسيطة إلا قدر قبر صبيحة أو مساء» [١]

ونرى أيضا أن بعض الشعراء كانوا يعتمدون على الطباق في مدح صاحب الأمر ، في سياق أشعارهم الاستعطافية ، وقد كان للطباق دور كبير في بيان صفات الممدوح التي كانت في الغالب الصفات التقليدية للممدوح في القصيدة العربية.

حيث يقول ابن زيدون مادحا سجُّانه ابن جهور : [٢]

«من فيه للمجتلي والمبتلي نسقا جمال مرأى عليه سِرْوُ مختبرِ
وزيرُ سلمٍ كفَاهُ يمنُ طائره شؤمَ الحروب ، ورأي محصد المِررِ»

فيطابق بين مرأى ومختبر ، ويمن وشؤم ، وسلم وحروب ، لبيان صورة ممدوحه.

ويقول ابن الأبار مادحا أبا زكريا الحفصي مستعطفا إياه [٣] :

«أو لم يسكن به ما شردا أولم يصلح به ما فسدا؟
نشرَ الدعوة لما همدتْ و أقام الحق لما قعدا»

فصورة الممدوح هنا يرسمها على أساس المطابقة ، لما يضفيه الطباق على الصورة من بيان و إيضاح ، فالأمير هو الذي وطَّد الأمور بعد اضطرابها ، وأصلحها بعد فسادها ، ونشر الدعوة بعد همودها ، و (أقام الحق لما قعدا).

و يقول أيضا مادحا : [٤]

«بشراك نصر الله مقتبل وبراحتيك السهل والجبل
ضمن الفتوح وساعدَتْهُ على إيصالها البُكُرات و الأصُلُ»

ويقول أيضا [٥] :

«تقصِّرُ عنه أملاك البرايا و هيهات الزلال من الزعاق
وشَمْلُ المؤمنين إلى اجتماع و شمل الكافرين إلى افتراق»

فيطابق فيها بين السهل و الجبل ، والبكرات و الأُصُل ، و الزلال والزعاق ،

١- ابن سعيد ، المغرب ، ج١ص٢١٢ .
٢- ديوان ابن زيدون ، ص١٤٩ .
٣-ديوان ابن الأبار ، ص١٦٠ . والشاي:
٤- المصدر ذاته ص٢٤٠ .
٥-المصدر ذاته ، ص ٣٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمؤمنين و الكافرين ، واجتماع و افتراق ، و هي كلها تزيد المعنى وضوحاً ، والصورة جلاء و جمالا.

و كان من المحسنات التورية ، التي وردت في مواضع قليلة جداً، منها قول لسان الدين بن الخطيب ، عن وقع مأساة السجن على نفسه ، وهو الشخصية المتميزة علما وأدبا ومكانة في مجتمعه ، وبين نظراء عصره :

«وكنا عظاماً فصرنا عظاما و كنا نقوت فيها نحن قوت » (١)

فعظاما الأولى جمع عظيم ، والثانية جمع عظمة ، وفيها دلالة على ما آل إليه في سجنه من سوءالمصير والعاقبة غير المرجوة .

ويقول أبو جعفر العنسي مفتخرا بنفسه ، وكان وزيرا كاتبا جيدا من أهل غرناطة :

« والعينَ تحبسُ دائماً أجفانُها و هداية الإنسان بالإنسان » (٢)

ويقصد بالإنسان الأول جنس البشر ، وبالثانية العين .

ويقول عبد الكريم القيسي موريا باسم إلبيرة المدينة، وامرأة اسمها إلبيرة :

«شأني بآبرة لا أستطيع له وصفاً يوافي لساني عنه تعبيره

والصبر في أسرها ما كنتُ ألفهُ لولا اجتلائي فيها حُسنَ إلبيرة »(٣)

ومن المحسنات أيضاً ردُّ العجز على الصدر ؛ وكان نادر الورود مثل التورية ، فمنه قول ابن زيدون في مدح ابن جهور (٤) :

« وزعيمٌ بأن يذلل الصعب مشابي إلى الهمام الزعيمِ»

وقوله(٥):

«والصدر مذ وردتْ رِفْهاً نواحيهُ تُومُ القلائد لم تجنح إلى صدر »

وهو هنا يتغزل بولاّدة ، ويقصد أن القلائد الجميلة لم تقنع إلاّ بصدر ولادة مكاناً ومستقراً لها .

ومنه أيضاً قول الشاعر يحيى الغزال يمدح الأمير عبد الرحمن الثاني : (٦)

« أطربهُ الوقت الذي قد دنا وكان من قبلكَ لم يطربِ »

١- ديوان الصيب والجهام ، ص٨٦ .
٢-المقري ، النفح ، ج٤ ص١٨٩ .
٣- ديوان عبد الكريم القيسي ص١٩٤ .
٤- ديوان ابن زيدون ، ص ١٢٥ .
٥- المصدر ذاته ، ص١٤٧ .
٦- ديوان يحيى بن الحكم الغزال ، ص٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* استلهام التراث :

وإلى جانب المحسنات استلهم الشعراء ثقافتهم وخبراتهم المعرفية المتنوعة، وضمنوها أشعارهم وكان هذا الاستلهام خطوة في سبيل إقناع السجّان ببراءة السجين وسلامة موقفه من أي شائبة ، كما كان للأمثلة التي اختارها الشعراء في هذا المجال أثر في المقارنة بين أحوال الشاعر في سجنه وأحوال أصحاب تلك الأمثلة ، وما بينها من تشابه أو حتى أمل في لقاء مصير هؤلاء المتمثل بهم ، وهو مصير الحرية والخلاص .

وكان القرآن الكريم في مقدمة المعارف التي أفاد منها الشعراء ، حيث ظهر جلياً تأثر بعضهم بأسلوب القرآن الكريم وقصصه التي قصّها ، فاتخذها الشعراء وسيلة في عرض قضاياهم وبيان براءتهم .

ومن ذلك قول ابن زيدون مستعطفاً سجّانه :[١]

« نارُ بغيٍ سرى إلى جنة الأمن ... لظاها فأصبحت كالصريمِ
بأبي أنتَ، إن تشأ تكُ برداً ... وسلاماً كنار ابراهيم»

مشيراً في البيت الأول إلى قوله تعالى :« فطاف عليها طائفٌ من ربِّكَ وهم نائمون * فأصبحت كالصَّريم »(القلم ١٩،٢٠) ، وفي البيت الثاني إلى قوله تعالى : « قالوا حرِّقوه وانصروا آلهتكم إنْ كنتم فاعلين * قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم »(الأنبياء ٦٨،٦٩) ، وإلى الآية نفسها يشير أيضاً الشاعر عبد الكريم القيسي بقوله مشتاقاً لأهله[٢] :

« ونسيمكُم لو زارني لوجدْتُهُ ... برداً على نار الحشى وسلاما »

ويقول ابن زيدون في قصيدة أخرى مادحاً [٣] :

« أأنكث فيك المدحَ من بعد قوة ... ولا أقتدي إلا بناقضة الغزل »

ويشير فيه إلى الآية الكريمة « ولا تكونوا كالتي نقضت غزْلها من بعد قوة أنكاثاً » (النحل ١٦).

كذلك يستفيد ابن زيدون من قصص السابقين التي ذكرت في القرآن ، ويسخرها في أشعاره خدمة للمعنى الذي يريد ، فهو يخاطب أمه من سجنه ، ويذكِّرها بأم موسى عليه السلام ؛ ليصبِّرها على فراقه ، ويؤملها بلقائه القريب وإياها :[٤]

١-ديوان ابن زيدون ، ص١٢٥ .
٢- ديوان عبد الكريم القيسي ، ص١٠٢ .
٣- ديوان ابن زيدون ، ص١٦٢ .
٤- المصدر ذاته ، ص١٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

« أمقتولة الأجفان مالك والهاً؟ ألم تُرِكِ الأيامُ نجماً هوى قبلي !
أقلّي بكاءً لستِ أولَ حرةٍ طوت بالأسى كشحاً على مضض الثكلِ
وفي أم موسى عبرةٌ ،أن رمت به إلى اليمِّ في التابوت فاعتبري واسلي »

وهذا الشاعر ابن غصن الحجاري يوظف في شعره قصص الأنبياء السابقين ، الذين مروا بمصائب جمة انتهت إلى الفرج والنعمة ، فبعث قصصهم في أشعاره في إشارة لطيفة وحيلة ذكية ؛ ليملأ قلبه بالأمل في الخلاص القريب ، فيقول[١] :

« إنْ رمتنا يدُ الخطوبِ بقوسٍ طالما كان سهمها لا يُصيبُ
قد أجاب الإله دعوة نوحٍ حين نادى بأنه مغلوبُ
وشفى ذو الجلال علةَ أيو بَ ، وقد شارف الردى أيوبُ
وانقضى سجنُ يوسف وقد استيـ ـأسَ ، وارتدَّ مبصراً يعقوبُ »

وبعدُ، فهذا من جانب استلهام القرآن بأسلوبه وأخباره في شعر السجن ، وكان هناك أيضاً استلهام من ابن زيدون خاصة ، لثقافته الواسعة بالأدب والتاريخ التي تظهر جلياً في أشعاره ، يقول مثلاً في أصدقائه الذين انقلبوا ضده في سجنه [٢] :

« ما ترى في معشر حالوا عن العهد وخاسوا
ورأوني سامرياً يُتَّقى منه المساسُ »

وفيها يشير إلى السامري وهو عظيم من بني اسرائيل ، عبَدَ العجل فعوقب بأن مُنع من مخالطة الناس ، فكان إذا مسَّ الناسَ حمَّ الماسُّ والممسوس، فتحامى الناسَ وتحاموه ، وكان يصيح في الناس لا مساس [٣] .

وقوله أيضاًفي الاستعطاف : [٤]

« ولو أنني واقعتُ عمداً خطيئةً لما كان بدْعاً من سجاياكَ أنْ تُملي
فلم أستثر حربَ الفِجَار ولم أُطعْ مسيْلَمةً إذ قال إني من الرسُلِ »

فهو يشير إلى حرب الفجّار التي فجر العرب فيها بأن قاتلوا في الأشهر الحرم ، وقد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم في شبابه ، قبل البعثة ، ويشير إلى مسيلمة زعيم بني حنيفة ، الذي ادعى النبوة في حياة النبي وزعم أنه شريك له في الولاية على الأمة ، واستفحل أمره وقضي عليه في بداية خلافة أبي بكر [٥] .

١- ابن الأبار ، إعتاب ، ص٢٢٠ .
٢- ديوان ابن زيدون ، ص٨٢ .
٣- المصدر ذاته، ص٨٢ رقم هامش رقم (٦) .
٤- المصدر ذاته، ص١٦١- ١٦٢ .
٥-ديوان ابن زيدون ورسائله ، تحقيق علي عبد العظيم ، ص٢٦٩ هامش رقم (٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان هناك جانب آخر لدى الشعراء في استلهام التراث الأدبي ، عن طريق التضمين، فقد ضمّنوا بعض الأمثال العربية في أشعارهم ، حيث يقول ابن زيدون:[١]

« أيهـــا ذا الوزير ها أنا أشكو والعصا بدءُ قرعها للحليم»

يشير إلى المثل : إنَّ العصا قُرعت لذي الحِلم. [٢]

ويقول المعتمد في فاجعته في سجنه[٣]:

« مـاذا رمتكِ به الأيامُ ياكبدي من نبلهنَّ ولا رامٍ سوى القَدَرِ »

يشير إلى المثل « رب رمية من غير رامٍ »

*****

وبهذا فقد تبين لنا أن أشعار السجن قد تفاوتت في أحجامها ، بين قصائد طويلة ومقطوعات قصيرة ، وقد غلب عليها تعدد الأغراض حتى في المقطوعات القصيرة ، التي لا نعدم أن نجد بينها ما يحتوي على أكثر من غرض .

وقد سار الشعراء أحياناً على درب التقليد من حيث افتتاح قصائدهم بالمقدمات الغزلية والحديث عن المرأة الحبيبة ، لكن هذه المقدمات كانت في الغالب مرتبطة بموضوع قصيدة السجن الأساسي ومنسجمة معه ، ويظهر هذا الارتباط من دلالات الألفاظ المختارة للمقدمة الغزلية ، وكانت تمثل حال العاشق المحترق بنيران الحب وآلام الفراق.

كما أن الشعراء استخدموا في أشعارهم في السجن بعض المحسنات اللفظية والمعنوية ، التي كان لها دور في إبراز بعض المعاني التي أراد الشعراء السجناء تأكيدها ، ودور في جلاء الصورة وإيضاحها عن طريق المطابقة ، ودور في بيان موقف السجين بالاستفادة من قصص السابقين وتوظيفها في الشعر.

١- ديوان ابن زيدون ، ص١٢٤ .

٢- ذو الحلم هو عامر بن الظرب ، من حكماء العرب ، وعندما تقدمت به السن أنكر من عقله شيئاً ، فقال لبنيه: قد كبرت سني ، فإذا رأيتموني خرجتُ عن كلامي فاقرعوا لي المِجَنَّ بالعصا .

٣- ديوان المعتمد ، ص١٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: الصدق والطبع ومجانبة التكلُّف

نحاول في هذا المبحث أن نجيب عن السؤال التالي: هل كان للمعاناة القاسية أثر في صدق أشعار السجناء أو عدمه؟

يمكن القول بناء على ما تقدم -في المبحث الأول من هذا الفصل- أن أشعار السجن الأندلسية، كانت تتميز بالصدق الفني والطبع ومجانبة التكلف قدر الإمكان، وهذا في الحقيقة يرجع إلى المعاناة الشديدة التي قاساها السجين في سجنه، بغض النظر أحياناً عن كونه ظالماً أو مظلوماً؛ ذلك أن تجربة السجن هي تجربة غير عادية في حياة الإنسان، وهي صدمة قاسية ومؤلمة جداً، لا يعرف طعمها إلا الذي تجرَّع مرارة كأسها.

ولهذا كان شعر السجن يعبر عن مرارة التجربة وآلام المأساة التي يقاسيها الشاعر، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الشاعر هو فنان صاحب إحساس رقيق مرهف، تهزه وتؤثر فيه أبسط تجارب الحياة ومواقفها، فضلاً عن هذه التجربة العنيفة، التي أخذت منه كلَّ مأخذ، وملكت عليه حواسه جميعاً، فانبرى يكشف شيئاً فشيئاً عن وقعها عليه، فكانت تلك الأشعارُ الرائعة ، التي عبَّرت عن هذه التجربة أصدق تعبير.

وبما أن الشعر للشاعر المفجوع كان وسيلة التعبير عن شعوره إزاء هذه المصيبة، وأن هذا الشعر كان نتيجة تجربة قاسية مريرة حطمت الآمال، فلا مجال للشاعر إلا أن يصغي إلى نبضات قلبه، وما يسكبه هذا القلب على لسانه من أشعار، فكانت المشاعر الجيّاشة التي تفيض بقلب السجين هي التي تجعل الشعر عنده سيلاً متدفقاً، يسيل بعفوية وحرارة وانفعال.

وكان الموضوع الأساسي الذي دارت حوله أشعار السجناء -وهو وصف المأساة- هو الموضوع الأول الذي يتضح فيه الصدق الفني في القصائد والمقطوعات؛ وذلك لاختيار الشعراء ألفاظاً رقيقة معبرة، وتراكيب مفعمة بطاقة كبرى من الأحاسيس تتدفق بعفوية وصدق واضحين.

هذا يحيى بن هذيل التعاليمي يشكو مرارة الاعتقال قائلاً:(١)

«تباعد عني منزلٌ وحبيبُ ... وهاج اشتياقي والمزارُ قريبُ

وإني على قرب الحبيب مع النَّوى ... يكاد إذا اشتد الأنينُ يجيبُ

تذكّرني الأسحارُ داراً ألفتُها ... فيشتد حزني والحمام طَروبُ

إذا علقتْ نفسي بـ(ليت) و(ربما) ... تكاد تفيض أو تكاد تذوبُ

دعوتُك ربي والدعاءُ ضراعة ... وأنت تناجَى بالدعا فتُجيبُ

١- المقري، النفح، ج٥ ص٤٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لئن كان عقبى الصبر فوزاً وغبطة فإني على الصبر الجميل دؤوبُ»

فهذه الألفاظ وتلك التراكيب وما توحيه من دلالات ومعان، تحمل الصدق وعفوية الخاطر، وهما ما تمليه على الشاعر طبيعة الظرف الصعب وآلام التجربة القاسية.

ومن معالم الصدق في أشعار السجناء ذلك البوح للأهل والقرب من الأحبة في شكوى المصيبة والزمان، فالجزيري مثلاً يشكو همه لابنه الأصغر في قصيدته المشهورة:(١)

«ألوى بعزم تجلُّدي وتصبُّري نأيُ الأحبة واعتيادُ تذكُّري

عجباً لقلبي يوم راعثْنا النوى ودنا وداعُك كيف لم يتفطَّرِ؟

وإذا الفتى فقدَ الشبابَ سما له حبُّ البنين ولا كحبِّ الأصغرِ

ما خلتني أبقى خلافك ساعة لولا السكونُ إلى أخيك الأكبرِ

فإذا شكوْتُ إليه شكوى راحة ذكَّرتْهُ، فشكا إليَّ بأكثرِ»

فالشكوى للمقربين والأحبة هي من معالم الصدق البارزة في أشعار السجناء؛ لأن السجين في خضم تلك التجربة لا يرجو سوى أن يجد رفيقاً يشاطره همومه وآلامه، وبطبيعة الحال فإن موضوع الشكوى لا يتطلب من الشاعر إلا أن يخرجه من قلبه فيتدفق، وبالتالي فلا مجال للتكلُّف فيه والتصنُّع؛ لأنه يُعَدُّ من باب بوح الأسرار للمقربين من الأبناء والأحباب، وفي هذه الحال لا يحسب الإنسان حساباً إلا للأسلوب السليم والكلمة المؤثرة في التعبير عن هذه المشاعر والبوح بها .

وفي أشعار الاستعطاف مظاهر صدق كثيرة مؤثرة، تتمثل في تذلُّل الشاعر في استعطافه، كما عند المصحفي في سجنه، حيث أهان نفسه بعدما أُهين، وخضع في أشعاره لسجَّانه المنصور أيما خضوع، يقول من أبيات له يستعطف المنصور(٢):

«عفا اللهُ عنك ألا رحمة تجود بعفوك إن أبعدا

لئن جلَّ ذنبٌ ولم أعتمده فأنت أجلُّ وأعلى يدا

ألم ترَ عبداً عدا طوْرَه ومولىً عفا ورشيداً هدى

أقِلْني أقالَكَ مَنْ لم يزل يقيكَ ويصرفُ عنك الردى».

فأبياته هذه تعكس مدى قسوة الألم الذي يعانيه في السجن، التي جعلته يشكو همَّ أسره لسجَّانه، ويستعطفه بكل ما أوتي من وسيلة، ليتخلص منه ويعود إلى حريته من جديد.

١- ابن الأبار، إعتاب، ٢٩٤

٢- محمد محمود يونس، ما تبقى من شعر الحاجب المصحفي، ص١٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكتب أيضاً من سجنه إلى قومٍ توجعوا مما وصل إليه في محنته، قائلاً:(١)

« أحنُّ إلى أنفاسكم فأظنها بواعث أنفاس الحياة إلى نفسي
وإنَّ زماناً صرتُ فيه مقيداً لأثقل من (رضوى) وأضيق من رمسِ»

إذ نشعر في كلماته بحرارة التعبير وصدقه، في شوقه الشديد ولهفته لأنفاس الحياة، يتنشَّق عبيرها من فضاء الحرية وسمائها، فتنقله من زمان القيود : الثقيل بذلِّه، والضيِّق بالكبت الذي يحيط السجين به، إلى زمان الحرية .

وكتب الشبانسي كذلك مستعطفاً سجَّانه المنصور بحرارة:(٢)

« يا من برحماه استغثتُ وحُقَّ لي من الغياث عُلاكَ استرْ عليَّ دمي
ناشدتُكَ اللهَ العظيم وحقه في عبدك المتوسل المتحرمِ
بوسائل المدح المعاد نشيدها في كلِّ مجمعِ موكبٍ أو موسمِ
لا يسْتَبَحْ منه حِمىً أرعاكه يا مَنْ يُرى في الله أحمى محتمي»

فاللهفة الشديدة والانفعال الواضح، وحرقة الشاعر في سجنه وآلامه فيه، هي مظاهر الصدق الذي يشعُّ منها، فلا مجال أمام الشاعر إلا أن يكون صادقاً مع نفسه وأمام سجَّانه، لعله ينال مراده.

* * * * *

وبهذا فالصدق الفني وعدم التكلف ميزة ظاهرة في شعر السجن ، ويظهر ذلك جلياً في شكوى الهم ووصف المأساة للمقربين والأحبة ، وفي أشعار الاستعطاف المنكسرة .

١- محمد محمود يونس، مرجع سابق، ص١٨٦
٢- الحميدي، الجذوة، ص٥٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث: العاطفة

«اصطبغ شعر السجن بصفة خاصة بعاطفة رقيقة شفافة، منبعثة من الحزن العميق الذي يخيم على نفوس السجناء؛ لأن التجارب المريرة التي عاشوها مأساة حطمت نفوسهم وأصابت كبرياءهم، فكانت عواطفهم صادقة في تصوير ما أصابهم والعالم من حولهم»(١).

وكانت معظم عواطفهم التي انطلقوا منها في أشعارهم، تدور حول الحزن الشديد الذي أصابهم لهذا المصير المؤلم في السجن، ولذلك كانت أشعار السجناء مفعمة بالمعاني والألفاظ والدلالات الحزينة، لتفي هذه العاطفة حقّها، وربما تراكمت فوق مصيبة السجن عند السجين -مصائب أخرى في أهله وأحبّته ،وهو قابع في سجنه لا يملك من أمره شيئاً، فزاد حزنه حزناً وهمُّه هماً.

ويمكن لنا بسهولة أن نتلمس المظاهر التي عبرت عن عاطفة الحزن تلك التي عاناها الشعراء، في الألفاظ الكثيرة التي تحمل دلالة الحزن والألم والتوجع، والزمل واليأس، ويأتي في مقدمتها الأشعار التي كان السجين فيها يبكي نفسه وحظه في الدنيا، أو يبكي لطارىء ألمَّ بأهله وهو عنهم بعيد.

ويجيء المعتمد في مقدمة من اصطبغ شعره بعامة بعاطفة الحزن؛ ذلك أن المصيبة التي أصابته كانت أعظم وقعاً في نفسه، وهو ملك إشبيلية، ولم يكن من السهولة بمكان أن يقبل أن تحطَّ الظروف من قدْره، وتؤدي به نهاية المطاف إلى سجن ذليل، حطم كل ما كان يحمل من آمال وطموحات، ولم يكتف الزمان بهذا بل فجعه في سجنه بمقتل ولديه يزيد الراضي، وفتح المأمون، فاشتعلت النيران في قلبه وذاب فؤاده حزناً على هذا الفراق الموجع.

ونبدأ معه محنته عندما كان يتذكر أيام عزه وسلطانه، فكان يجعل لوازم تلك الأيام الخالية إنساناً يبكي على ما حلَّ به، فيقول متذكراً قصوره في الأندلس:(٢).

«بكى المباركُ في إثر ابن عبادِ بكى على أثر غزلانٍ وأسادِ
بكى الوحيدُ بكى الزاهي وقُبّتُه والنهرُ والتاج كلٌّ ذلَّهُ بادي»

فلفظ البكاء وما يحمله من دلالات كافٍ لإجلاء عاطفة الحزن تلك، التي أشعلت قلب الشاعر في مأساته وذوبته حزناً وألماً لفراق الحرية وأيامها الخوالي، التي كان فيها ملكاً فارساً أديباً.

أما مصيبته وفاجعته الكبرى بفقد ولديه (حيث قتل المأمون في قرطبة، والراضي في رُنْدَة سنة ٤٨٤هـ) فإننا نرى أباً محترق القلب مكسور الفؤاد، يزيده همُّ السجن هموماً، وتتوافد عليه الهموم يوماً بعد يوم، كأن الزمان لم يكتف بخلعه

١-علي لفزيوي، أدب السياسة والحرب في الأندلس، مكتبة المعارف، الرباط، ١٩٨٧، ص٤٠٣.
٢- ديوان المعتمد، ص١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسجنه، فزاد في فجيعته بالذي هو أشد وهو فقد ولديه في مدة قصيرة، فقال يرثيهما والحزن والأسى يعصر قلبه المجروح:(١)

«يقولون صبراً لا سبيل إلى الصبرِ ... سأبكي وأبكي ما تطاوَلَ عمري
نرى زُهْرَها في مائتٍ كلَّ ليلةٍ ... يُخَمَّشْنَ لهفاً وسطه صفحة البدرِ
يَنُحْنَ على نجمين أثكلْن ذا وذا ... ويا صبرُ ما للقلب في الصبر من عذرِ
مدى الدهر فليبكِ الغمامُ مصابه ... بصِنْوَيْه يُعْذَر في البكاءِ مدى الدهرِ
بعينٍ سحابٍ واكفٍ قطرَ دمعها ... على كلِّ قبرٍ حلَّ فيه أخو القطْرِ
وبرقٍ ذكيٍّ النار حتى كأنما ... يُسَعَّر مما في فؤادي من الجمرِ»

فعاطفة الحزن تلف الأبيات جميعها، والألفاظ دالة وموحية على ما فيه من حزن وألم وتوجع، وهل هناك أكبر من مصيبة فقد الوالد لولده؛ فكيف باثنين على بعده عنهما؟!

فهي مصيبة لا تترك من الأب إلا قلباً يحترق بنيران البعد، ويشتعل هماً وكمداً لذكراهما التي لا تنسى، وعيوناً تبكي عليهما باستمرار وتبكي معها السماء لفقدهما.

وقد رثاهما المعتمد بقصائد عدة بكاهما فيها، وبكى فيها حظه العاثر في الدنيا، قائلاً في إحداها(٢):

«فمالي لا أبكي أم القلبُ صخرةٌ ... وكم صخرةٍ في الأرض يجري بها نهرُ
فقل للنجوم الزُّهر تبكيهما معي ... لمثلهما فلتحزن الأنجمُ الزُّهْرُ»

إذ نجد أن المعتمد لا يخجل أن يبكي ويبكي، أو أن البكاء يمس رجولته وهو الملك الفارس، بل يجد الدموع وسيلة طبيعية أمام مثل هذا الموقف الذي يعانيه، ويعيشه بكل دقائق الحزن وتفاصيله.

ويقول أيضاً في رثائهما(٣):

«يا غيمُ عيني أقوى منك تهتانا ... أبكي لحزني وما حُمِّلْتَ أحزانا
ونارُ برقك تخبو إثرَ وقدتها ... ونار قلبي تبقى الدهر بركانا
بكيتُ فتحاً فإذ رمتُ سلْوتَهُ ... ثوى يزيدُ فزاد القلبَ نيرانا
مني السلامُ ومن أمٍ مُفَجَّعةٍ ... عليكما أبداً مثنى ووحدانا
أبكي وتبكي ونُبكي غيرَنا أسفاً ... لدى التذكر نسواناً وولدانا»

١- ديوان المعتمد، ص١٦٢
٢-المصدر ذاته، ص١٦٥
٣-المصدر ذاته، ص١٦٦ - ١٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فليس في أبياته إلا حزن فوق حزن وهمٌ فوق هم، وهو لا ينفك يربط هذه الفاجعة الكبرى بمأساته في ذل السجن الذي يصبح فيه ويمسي، فلا يزيد ذلك في قلبه إلا اشتعال النيران، فكأن قلبه بركان لا يهدأ طول العمر.

وكم هي جميلة تلك الصورة التي قارن فيها نفسه بالغيم الممطر، الذي يمطر الخير على الأرض دونما حزن أو ألم، بينما تمطر عيناه الدموع المحرقة حزناً وتوجُّعاً، لمصائبه وأحزانه التي تحيط به من كل جانب.

أما في مأساة سجنه فالحزن يخيم على أشعاره، إذ قال في سجنه بعد الإفراج عن جماعة من المفسدين سجنوا معه في أغمات، فدخلوا عليه مودِّعين:(١).

«أما لانسكاب الدمع في الخد راحةٌ؟ لقد أن أن يفنى، ويفنى به الخدُّ
تخلصتُم من سجن أغمات والثَوتْ عليَّ قيودٌ لم يحن فكُّها بعدُ
فهُنِّئتم النعمى ودامت لكلِّكمُ سعادته، إن كان قد خانني سعدُ
خرجتم جماعاتٍ وخُلِّفْتُ واحداً ولله في أمري وأمركم الحمدُ»

فليس في ألفاظه إلا التي تحمل في طياتها دلالات الحزن العميق والألم الشديد، لهذه الحال خلف القضبان، ومن أبرزها الحديث عن البكاء دائماً والدموع الحارة الغزيرة، التي تتكرر كثيراً عنده، وتدل على ما كان فيه من حزن وتوجع.

وعلى الرغم من شدة الحزن واحتراق الفؤاد، فإن المعتمد يحاول أن يعزِّي نفسه بأشعار يظهر فيها اتجاه الحكمة واستخلاص العبر من هذا الزمان المتقلب بأهله، ومع كل هذا نستطيع بسهولة أن نشعر بأحزانه وهمومه تتسرب بين الكلمات والسطور، لتعطينا الصورة الحقيقية لأحواله في السجن.

يقول المعتمد:(٢)

«اقنعْ بحظِّكَ في دنياك ما كانا وعزِّ نفسك إنْ فارقْتَ أوطانا
أكلما سنحتْ ذكرى طربْتَ لها مجَّتْ دموعُكَ في خدَّيك طوفانا
وطِّنْ على الكره وارقب إثره فرَجاً واستغفر الله تغنم منه غفرانا»

ففي صورة الدموع كالطوفان تسيل وتغمر خدَّيْه نتحسس آلامه وأحزانه، لمصيبة السجن التي يعانيها.

وكما هي الحال مع المعتمد فإن غيره من الشعراء عانوا مثلما عانى، وحاولوا كبت مشاعرهم والتجلد أمام هول البلوى، محاولين تعزية أنفسهم بكل ما أمكن؛ ليظهروا أمام أعدائهم خاصة بموقف الشجاع الثابت أمام كل حادث.

١-ديوان المعتمد، ص١٨٥
٢-المصدر ذاته، ص١٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك نجد هاشم بن عبد العزيز يقول عندما أُسر في الغزوة ،التي خرج فيها للقضاء على ابن مروان الجلّيقي:(١)

«فكم غصة بالدمع نَهْنَهْتُ خوف أن ... يُسَرَّ بما أُبديه شنآن كاشحُ
تحاملتُ عنه ثم نادمتُ في الدُّجى ... نجومَ الثريا والدموع سوافحُ»

ونلاحظ في الألفاظ التي تأتي على ألسنة السجناء أنها محملة بطاقات لا حدود لها، في التعبير عن عاطفة الحزن ومعانيه، فتأمل كلمة (غصّة) و(الدموع سوافح)، إذ تجد تلك الألفاظ تحملك إلى صورة الحزن الشديد والوجع الكبير الذي كان يعانيه الشاعر، وتحملنا الألفاظ وتحلّق بنا في عالم الجراحات والآلام، وتثير في أنفسنا في كل لحظة معنىً جديداً، وشفقة على ذلك القابع في ظلام السجن وذلّه.

والسجين أيضاً يخفي أحزانه ودموعه عن عيون حاسديه، لكنه مهما أظهر المقاومة والتجلُّد يركن في النهاية إلى نفسه في جوف الليل، يخلو إليها ويبوح لها بما يعتريه من أحزان، ويسفح الدموع الغزيرة بين يديها دون حساب أو خوف من الرقيب الشامت.

وهذا ابن حزم يتوجع في سجنه ويئن بقصيدة طويلة، تحمل الأحزان والآلام في كل حرف من حروفها، وتحيطنا علماً بمدى ما وصل إليه الشاعر في سجنه من انحطاط معنوياته وانكسار عواطفه، يقول ابن حزم:(٢)

«مُسَهَّدُ القلب في خدَّيْه أدمُعُهُ ... قد طالما شَرِقَتْ بالوجد أضلُعُه
داني الهموم بعيدُ الدار نازحُها ... رجْعُ الأنين سكيبُ الدمع مفزعه
يأوي إلى زفراتٍ لو يباشرها ... قاسي الحديد فُواقاً ذاب أجمعه»

ففي أبياته يرسم لنا صورة الحزن الشديد بكل ملامحه التي يعيشها السجين في سجنه، ونلاحظ أن الألفاظ المستخدمة هي الألفاظ التي تحمل من الدلالات الحزينة الشيء الكثير، ولا ينسى الشاعر لازمةً مهمة من لوازم عاطفة الحزن الشديد التي عبَّر عنها شعراء السجون، وهي الدموع الغزيرة رفيقة السجين في محنته، وأنيسه في وحدته.

والصور التي يلجأ إليها الشاعر تعين في جلاء حزنه الشديد، ففي البيت الثالث صورة رائعة تجعلنا نحس مدى حزنه واحتراقه، فنار قلبه التي لا تهدأ والزفرات الحرّى التي يطلقها لحزنه الشديد تذيب الحديد القاسي لحرارتها؛ ولصدق ما تحمل من أحزان.

١- ابن الأبار، الحلة، ج١ ص١٤١
٢- د. إحسان عباس (محقق)، مرجع سابق، ص٣٨٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلوح له في خضمِّ هذه الأحزان ذكرى الأهل والأبناء، فيزيد قلبه اشتعالاً، ولهفة على الفراق:

«ذكرى أفيراخه في كلِّ ناحية ... توحي إلى القلبِ أسراراً تقطعه
قد عاندَ الحزنَ حتى عاد يرحمه ... وسادَرَ الدمعَ حتى جفَّ مدمعه
فكم زفيرٍ يقدُّ الصخرَ أيسُرهُ ... وكم أنينٍ بنارِ الوجدِ يشفعُهُ»(١)

فالشاعر في حنينه لأولاده في هذه المحنة التي يقاسي آلامها لحظةً بلحظة، يزيد في حزنه ذكرى الأبناء، ويُثير عواطفه الحبيسة فراقه إياهم، وتستثير فيه كل المشاعر التي يحملها أب تجاه أبنائه، فكيف بهذا الأب المفارق أولاده قسراً، يحمل همومهم في قلبه، ويطير قلبه هلعاً كلما تذكرهم على البعد، ويبكي لفراقهم بكاءً مراً جفَّت له مآقيه وتقطع له قلبه. وها هو مرة أخرى يصور شدة حزنه واحتراق قلبه على فراقهم، وعلى هذا المصير الذي لاقاه: فحرارة زفيره الخارج من صدره المحترق تقدُّ الصخر وتحطمه بيسر.

* * * * * *

وهكذا نرى أن عاطفة الحزن كانت جلية في أشعار السجناء، أو مستترة بين السطور، وكانت الدموع وألفاظ البكاء المختلفة من أوضح معالم عاطفة الحزن التي غمرت شعر السجن، ففي البكاء يجد الإنسان سلوى النفس، وتفريغاً لهمومها؛ خوف أن ينفجر القلب بما يضم من أحزان ومصائب، وهو نوع من الشكوى بين الإنسان ونفسه، تخفف عنه وتسري عليه.

١- المرجع ذاته، ص٣٨٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الرابع: الخيال والصور

نحاول في هذا المبحث أن نتبين: هل تأثرت الصورة الفنية بضيق أفق السجن؟ أم أنه لم يكن للسجن تأثير فعلي على الصورة الفنية؟ ذلك أننا نعرف أن تجربة السجن ليست تجربة عادية، بل إنها ربما تكون من أقسى التجارب التي يمر بها الإنسان، وإن كان مجرماً .

ولو تأملنا أشعار السجناء لوجدنا أنهم لجأوا إلى الصورة الفنية والخيال وهذا أسلوب من أساليب الفنان في تعبيره، فلغة الشعراء لا تخلو من خيال أو صور، لكنهم نتيجة المصيبة التي وقعت عليهم لم يتكلّفوا صورهم تكلُّفاً، وفي المقابل لم يهجروها تمام الهجران، بل حفلت أشعارهم بمجموعة من الصور تنُم عن الخيال الأدبي الذي يتمتعون به، وعن إحساسهم المرهف في السجن تجاه الطبيعة والكائنات من حولهم.

ولذلك وجدنا الشعراء يلتقطون صورهم من الطبيعة المحيطة ويستمدون منها خيالهم، لرسم صورة حقيقية للمشاعر التي يمرُّون بها، تلك المشاعر التي تعاني تناقضاً واضطراباً بيِّناً، بين عالم السجن في مساحة محدودة مقيدة، وبين عالم واسع ممتد خارج هذه البقعة الضيقة التي آلوا إليها، فتنعكس في صورهم آثار تلك العلاقة المضطربة والمتأرجحة بين الداخل والخارج، وتنعكس كذلك علاقة السجين بمحيطه الجديد في السجن.

كان للسجن أثر بيّن على الصور الأدبية في شعر السجن، وبالذات في موضوعات المدح أثناء الاستعطاف وذكر المرأة والتغزل بها، حيث ينتهي بنا المطاف إلى أن شعراء السجن التزموا بالصورة التقليدية للممدوح وللمحبوبة، وجاءت صورهم في هذين الموضوعين صوراً تقليدية محفوظة ، ومحافظة على النهج الذي يحدد ملامح الممدوح وملامح المحبوبة، وكأن السجن لم يقيد جسد الشاعر فقط، بل فرض قيوده على روحه وإبداعه، فجاءت صوره تقليدية في الغالب لا جديد فيها.

ومن ذلك يقول ابن الأبار في المدح (١):

«ملكٌ أبى الخيلاء من كرمٍ وتقى وأملاك الدُّنى خَوَلُ
شمس النهار لوجهه قبسٌ مثلُ البحار لكفِّه وَشَلُ»

فالممدوح يتميز بكرمه وعطائه وتقواه، ووجهه المنير ساطع كالشمس، وعطاؤه السخي كالبحار في سخائها.

١-ديوان ابن الأبار، ص٢٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول أيضاً في المدح:(١)

«كفاني الحرُّ منتَجَعُ الغمامِ ... فشكراً ثم شكراً للإمامِ
أيادٍ ما أعممْتُ في ازديادٍ ... كما انتثر الفريد من النظام
كأنَّ أريجه زهرُ الروابي ... يمزِّق ضاحكاً جيبَ الكمام
كأنَّ حديثها شدْوُ الغواني ... مطارحة أغاريد الحمام»

فالممدوح كريم وسخي في عطائه المتميز، أفضاله عليه كثيرة، أريجها العاطر كزهر الروابي، وحديثها كأناشيد الغواني مبادلة إياها مع تغاريد الطيور، وهي كلها صور تقليدية .

ويمدح ابن زيدون سجّانه أبا الحزم بن جهور قائلاً:(٢)

«نهوضٌ بأعباء المروءة والتُّقى ... سَحوبٌ لأذيال السيادة والفضلِ
وذو تُدْرَإٍ للعزم تحت أناته ... كمونُ الردى في فترة الأعين النُجُلِ
يرفُّ على التأميل لألاء بِشْره ... كما رفَّ لألاء الحسام على الصَّقْل
تُغِصُّ ثنائي، مثلما غصَّ جاهداً ... سوارُ الفتاةِ الرَّادِ بالمعصم الخَدْلِ»

هنا تتضح صورة الممدوح: فهو شجاع ذو مروءة وصاحب شرف وسيادة ، وهو متزن ورزين يكمن العزم والقوة تحت هذا الاتزان، مثلما يكمن التأثير القوي -حتى الموت- في انكسار العيون الساحرة الجميلة، وهذا الممدوح في حال ارتياحه وتلألؤ قسماته يشبه لمعان السيف عند صقله، ولهذه الصفات العديدة يضيق ثناء الشاعر ولغته عن استيعاب جميع صفاته المحمودة ، مثلما يضيق السوار بمعصم الحسناء الممتلىء. .

وكما كانت صورة الممدوح صورة تقليدية فإن المقدمات الغزلية التي تضمنت التغزل بالمرأة والحديث عنها كانت تدور حول الصفات التقليدية للمحبوبة، وهي تلك الصفات المثالية التي وضعها الشعراء نصب أعينهم عند حديثهم عن المرأة.

فمن ذلك يقول الرمادي:(٣)

« وأهدت سلاماً عن بنانٍ كأنها ... التماعاً ووحياً بارقُ متَخَطِّفُ
بمعصم كافورٍ بياضاً تكِنُّهُ ... بغالية من صبغِهِ وتُطَرِّفُ »

فلون البشرة البيضاء هو اللون المثالي لجمال بشرة المرأة عند الشعراء، وهو

١- ديوان ابن الأبار، المصدر السابق ، ص٢٦٠-٢٦١ .
٢- ديوان ابن زيدون ، ص١٦٠ .
٣- ماهر جرار ، شعر الرمادي ، ص٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يشبه البرق في لمعانه الخاطف وسطوع لونه، وهذا أيضاً يندرج ضمن الاتجاه التقليدي الذي سلكه الشعراء السجناء في أشعارهم، و طغى عليها.

ويقول الرمادي أيضاً مخاطباً الموكّل بباب السجن في شأن غلامٍ من أولاد العبيد، وهو يتغزل به ويتشوق إليه: (١)

«حبيسُك ممَّنْ أتلف الحبُّ قلبه ... ويلذعُ قلبي حرقةً دونها الجمرُ

هلالٌ وفي غير السماءِ طلوعُهُ ... ورِئْمُ ولكن ليس مسكنه القَفْرُ»

ويُشْبِهُه محمد بن مسعود البجّاني في تغزُّله بالشريف الطليق، الذي كان حبيساً وإياه في المطبق، فيقول(٢):

«وفيك ما يتسلى العاشقون به ... من حُسن خَلق ومن ظُرفٍ ومن طيبِ

قد صيغَ من فضةٍ بيضاء صافية ... ووشّح الحُسنُ خَدَّيه بتذهيبِ

والتفُّ باليا سمين الغضِّ بينهما ... نضيرُ وردٍ بماء الحسن مهضوبِ»

ففي غزل الشاعرين بالمذكر يسقطان صفات الأنثى على المحبوبَيْن، وهذه الصفات هي المثالية والمستحبّة لدى الشعراء عند التغزل بالمرأة، فهما مثلها: كالهلال والغزال في جمالها وقوامها، كالفضة في بياضها، حمراء الخدين من لسعات الشمس، بشرتها رقيقة ناعمة كالورد، أريجها عاطر طيب كالياسمين، الذي يعطر الجو ويضفي عليه رونقا.

وبذلك نجد أن الشعراء ساروا في درب غيرهم في الصورة التقليدية للممدوح وللمحبوبة

أما عند افتخار الشاعر بنفسه وتجلده في مصيبته أمام الشامتين بحاله، فإن الشعراء غالباً ما لجأوا في ذلك إلى التشبيه الضمني؛ لأن فيه تعبيراً دقيقاً عن حال السجين المنكسر في قلبه ونفسه، لكنه يأبى أن يُظهر هذا الانكسار أمام الأعداء، فأخذ في تصوير نفسه بأسلوب ضمني، مع ما في التشبيه الضمني من بلاغة وجمال في جلاء الصورة الحقيقية لقلق السجين واضطرابه، في الوقت الذي يحمي فيه الشاعر نفسه من الابتذال وعرض مصيبته أمام المسرورين بحاله.

١- المرجع ذاته ، ص٧١

٢- ابن بسام ، الذخيرة ، م١ ق١ ، ص٥٦٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول أبو جعفر العنسي مفتخراً بنفسه في سجنه على سبيل التشبيه الضمني في أبياته التالية(١):

«مولاي إن يحبسْكَ خيرُ خليفةٍ فبذاكَ فخرُكَ واعتلاءُ الشان
فالجفن يحبس نوره من غبطةٍ والمرْهفات تُصان في الأجفان
فأبشِرْ، فَنَزْعُ الدُّرِّ من أصدافه يُعليه للأسلاك والتيجان
ولئن غدا من ظلِّ دونك مُطلقاً إنَّ القذى ملقىً عن الأجفان
والطِّرْسُ يختم ما حواه نفاسةً ويهان ما يبدو من العنوانِ»

فالشاعر يظهر التجلُّد والتصبُّر في مصيبته، ويعلو على الجراح أمام أعدائه والمتربصين به من الشامتين، فيرى نفسه كنور العين الغالي، وهو كالدر يُنزع من أصدافه ليعلو في الأسلاك وتيجان الملوك، وهو في حبسه كأنما يُصان عن الإهانة وليس كالقذى الملقى عن الأجفان، وهو يشبه مضمون الرسالة الذي يُحْرص على إخفائه والمحافظة عليه من فضول الناس، وليس كالعنوان يهان ويعرفه الجميع.

أما ابن زيدون فإنه يمدح نفسه ويفتخر بها أمام الأعداء المسرورين بحاله في السجن ،فيقول(٢):

«ولا يغبط الأعداء كوني في السجن فإني رأيت الشمسَ تحصَن بالدُّجْنِ
وما كنتُ إلا الصارمَ العَضْبَ في جفنٍ أو الليث في غابٍ أو الصقرَ في وَكْنِ
أو العِلْقَ يخفى في الصِّوار ويُغْبَأُ»

فالصورة التي يرسمها الشاعر لنفسه في السجن بأنه في تعرُّضه لمأساة السجن كالشمس ،تختفي من كثافة الغيوم التي تحيط بها، ولا بد ستنقشع يوماً فتشرق الشمس من جديد.

وهو كالسيف البتّار يحفظ في جفنه لحين الحاجة إليه، أو كالليث والصقر يقبعان في أوكارهما يسيراً ثم ينطلقان في الدروب.

وقد يسلك الشاعر سبيل التشبيه الضمني عند حديثه عن أعدائه وفي سياق دفاعه عن النفس مثل ابن عمار الذي توسَّل للمعتمد بكل ما أوتي من قدرة على الإقناع واستدرار الرحمة والشفقة، وهويقول(٣):

«ولا تلتفت رأي الوشاة وقولهم فكل إناء بالذي فيه يرشح»

١- المقري ، النفح ، ج٤ ص٨٩ .
٢- ديوان ابن زيدون ، ص٤٣ ، والصِّوار : وعاء المِسْك
٣- صلاح خالص ، محمد بن عمار ، ص٣٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالوشاة بنفوسهم الخبيثة وسعاياهم الحثيثة للإفساد وتخريب العلاقات، كالأواني التي لا ترشح إلا ما فيها، فلا يتوقع منهم - وهم بهذه الصورة في داخلهم- إلا أن يقدموا ما تضمه صدورهم الحاقدة بين جوانحها.

وضمن علاقة الشاعر السجين بالمحيط من حوله فإنه يحاول في وحدته ووحشة السجن وقسوته -يحاول أن يُسقط الحياة على الكائنات والموجودات القريبة منه، فيشخصها كالبشر لتشاركه همّه ومصابه في استعارات مكنية رائعة، تجعلنا نشعر بتلك الدوافع المضطربة داخل نفسه، التي تدفعه بشعور طبيعي نحو الشريك، فيتخذ من عناصر محيطه شركاء له في همه، يحسون ويتألمون ويتوجعون لما هو في سجنه، ولذلك تدبُّ الحياة في الموجودات المحيطة ، فتبكي وتضحك وتتألم وتتلاعب به... كل هذا في إطار وصفٍ دقيق للمشاعر المضطربة والحائرة التي يمر بها.

فابن شُهَيْد يشكو مأساته إلى الحمام أنيسه الوحيد، قائلاً:(١)

«وما زال يبكيني وأبكيه جاهداً ... وللشوق من دون الضلوع وقودُ
إلى أن بكى الجدران من طول شَجْونا ... وأجهش بابٌ جانباه حديد
ألا إنها الأيامُ تلعب بالفتى ... نحوسٌ تهادى مرة وسعود»

فمشاركة الحمام له لا تكفي، بل إن الجدران والأبواب الحديدية القاسية ترقُّ وتشعر معه؛ لهول محنته وعظم شدته.

ثم يخلص من ذلك إلى تقرير حقيقة تقلُّب الزمان بأهله، فكأن الأيام فتىً يلهو بالبشر فيهديهم السعادة أو التعاسة، وكلٌّ تصله الهدية المفاجئة فيفرح بها أو يحزن.

وأبو الحسن بن نزار يخفف عن نفسه آلامها، ويتأمل بالفرج القريب:(٢)

«تعلِّلني بالتداني المُنى ... وينشدني الدهرُ: صبرٌ جميل»

فالأمنيات رفيقة أحزانه تعلِّله وتؤمله بالحرية قريباً، فيرتد إلى واقعه المر، ويأتي الزمان فينشده أغنية الصبر الجميل، التي لا عزاء إلا بها للمكروب إلى أن تنجلي كروبه.

ويقول ابن غصن الحجاري:(٣)

١- ديوان ابن شهيد ، ص١٠١
٢- المقري ، النفح ، ج٣ ص٤٩٢
٣- ابن بسام ، الذخيرة ، م١ ق٣ ص٣٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«تهيم الخُطوبُ بوصلي فما لهنَّ إلى غير قلبي طريق»

فالمصائب نساء عاشقات له ويحببْنَهُ جداً ولا يصبرْنَ على فراقه، وهنَّ في كل حين لا يعرفن الوصال إلا إليه.

ويقول المصحفي:(١)

«فلله أيام مضت لسبيلها فإني لا أنسى لها أبداً ذكرا

ليالي لم يدر الزمان مكاننا ولا نظرتْ منا حوادثه شزرا»

فالزمان كأنه إنسان نام وما درى عن سعادة شاعرنا واللحظات الحلوة التي عاشها، وكأنه أخفى النظرات الشزرا، ولم يطلقها تجاهه.

فكان تشخيص الزمان وإسقاط الحياة عليه محاولة من الشعراء لإجلاء حقيقة مشاعرهم في هذا الظرف الصعب، فالمعتمد يخاطب من سجنه صديقه الشاعر ابن حمديس وهو يعتذر له عن الخادم الذي منعه من زيارته قائلاً: (٢)

«فما صار إخلالُ المكارم لي هوىً ولا دار إخجالٌ لمثلك في صدري

ولكنه لما أحالتْ محاسني يدُ الدهر، شُلَّت عنك داباً يدُ الدهرِ»

فهذا الزمان الغدار له أيادٍ تطال الناس جميعاً بصروفها ومتاعبها، فتحيل أحوالهم وتقلبها رأساً على عقب.

كما أن الشاعر يحاول دوماً تشخيص ما حوله لبثِّ شكواه وأنينه، في محاولاته المستمرة للتخفيف من وطأة البلوى على قلبه، فالمعتمد كان يشكو لما حوله حتى للقيد، رمز العذاب والهوان، فقد حصل بينهما تآلف من نوع معين وكان يشكو إليه ويبثه همومه، فقال مخاطباً القيد في بعض شعره يسترحمه ويستثير شفقته:(٣)

«قيدي أما تعلمُني مسلما أبيتَ أن تشفق أو ترحما

دمي شرابٌ لكَ واللحم قد أكلْتَهُ، لا تهشم الأعظما»

فهذه الشكوى المرة للقيد تجلِّي حقيقة النفس المضطربة الملهوفة في السجن، وكأن السجن الذي قضى على رفقته بأهله وأصدقائه جعله يبحث عن الرفيق فيما حوله، حتى وإن كان هذا الرفيق هو ذاته سبب آلامه وشقائه، وهو يدلُّنا كذلك على شدة الوحدة التي يحسها في سجنه.

وإلى جانب الاستعارات المكنية وإسقاط الحياة على موجودات الكون كان هناك

١- محمد محمود يونس ، ما تبقى من شعر الحاجب المصحفي ، ص١٨٤

٢- ديوان المعتمد ، ص١٧٣

٣- المصدر ذاته، ص١٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التشبيه البليغ الذي انتشر في شعر السجن، في محاولات الشعراء جلاء حقيقة نفوسهم الحائرة تجاه هذا المصاب.

وكانت التشبيهات البليغة في الغالب تشبيهات تقليدية، منها قول ابن عمار:(١)

«كم أسكَبَ العذْبَ الفراتَ على فمي ... يرمي يدي باللؤلؤ المكنون»

فالكلام الرائق الجميل كالماء العذب الفرات، والدموع المتساقطة كاللآليء الغالية، وهو تشبيه تقليدي.

ويقول المعتمد يبكي ابنيه:(٢)

«يا غيمُ عيني أقوى منك تهتانا ... أبكي لحزني وما حُمِّلتَ أحزانا

ونارُ برقِكَ تخبو إثرَ وقدتها ... ونارُ قلبي تبقى الدهر بركانا»

حيث نار القلب المتأججة تشبه البركان الذي لا يهدأ أبداً.

ويقول المصحفي في الزمان:(٣)

«وما هذه الأيام إلا سحائبٌ ... على كل أرض تمطر الخير والشرا»

فالأيام كالغيوم الماطرة، تحمل الخير وتحمل الشر.

ويقول كذلك:(٤)

«لا تأمننَّ من الزمان تقلُّباً ... إن الزمان بأهله يتقلبُ

ولقد أراني والليوثُ تهابني ... وأخافني من بعد ذاك الثعلبُ»

فهو هنا لما يئس من الخلاص من يد المنصور قال هذا الشعر في تقلُّب أحوال الزمان، وشبَّه المنصور بالثعلب في مكرهِ ودهائه الذي قضى على ما كان يتمتع به في الماضي.

ومن الاستعارات التقليدية قول ابن عمار يمدح المأمون بن المعتمد ويطلب شفاعته، فيقول:(٥)

«جبلٌ سما بذؤابتيْه إلى العُلا ... ورسا بهضبته على التمكينِ

بحرٌ إذا ركب العفاةُ سكونَهُ ... وهبَ الغنى في عزةٍ وسكونِ»

١-صلاح خالص ، محمد بن عمار ، ص٣١٥

٢- ديوان المعتمد ، ص١٦٦

٣- محمد محمود يونس ، ماتبقى من شعر الحاجب المصحفي ، ص١٨٤

٤- المرجع ذاته، ص١٧٧

٥- صلاح خالص ، مرجع سابق ، ص٣١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالممدوح جبل في شموخه وبحر في عطائه وسخائه.

ويقول أيضاً معبراً عن مأساته:(١)

«بَعُدَتْ سواحله عليَّ وأدركت أمواجه فتلاعبت بسفيني
لا شكَّ في أني غريق عُبابه إن لم يمدَّ الفتحُ لي بيمينِ»

فالممدوح كالبحر والشاعر سفينة تتقاذفها أمواجه.

* * * * *

وبهذا نجد الشعراء السجناء قد اغترفوا من الكون والطبيعة صوراً جميلة، حاولوا بها التعبير الدقيق عما يعتمل في صدورهم، تجاه ظروف السجن وهمومه، وقاموا إلى جانب ذلك بتشخيص الموجودات من حولهم، وإسقاط الروح والحياة على الجمادات، لجعلها كائنات تحس وتشعر بالسجين وتخفف عنه، وهذا الاتجاه يعكس حاجة السجين الملحة والشديدة لوجود شريك في المحنة، قريب من القلب والروح، يبثه شكواه، ويجد عنده صدراً واسعاً يرتاح إليه، ويداً رقيقة تحنو على جراحه.

١- المرجع ذاته ، ص٣١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الخامس: الرمز

أثارت وحشة السجن ووحدته في نفوس السجناء الحنين إلى الرفيق والأنيس، فلجأ الشعراء لبثّ همومهم وشكواهم إلى أحبابهم وأهليهم البعيدين عنهم، وإرسال الأشواق الحارة، والخواطر المتلهفة، كما مرّ معنا في مبحث حديث الذكريات في الفصل السابق.

لكن السجناء وجدوا في محيط السجن رفيقاً لا يغرب عن العين، يذكرهم دوماً بما ترنو إليه نفوسهم وتهفو إليه قلوبهم، فوجدوا في الطير -وخاصة الحمام- رمزاً للحرية، التي يرجون أن ترفرف بأجنحتها على حياتهم من جديد.

وكان مشهد هذا الطائر عندما يحلق في السماء تخفق له القلوب، وترتعد له الفرائص شوقاً ولهفة إلى الحرية، تلك الهدية الغالية التي ظلوا ينتظرون أن تجود السماء عليهم بها، أو كان مشهد الطائر يثير في أنفسهم الحزن الشديد؛ عندما يقارنون بين أنفسهم سجناء جدران وأبواب، وبين تلك الطيور حرة في سماء لا حدود لها.

ومن المعروف أن الطير يرمز إلى الحرية والانطلاق، كما أن الحمام من الطيور التي استخدمت على مرّ العصور رسولاً بين الناس، ينقل الرسائل وما تحمله من أشواق أوأخبار، ولهذا لم يكن غريباً على الشعراء أن يذكروه في أشعارهم، وهم يعون في داخلهم كون الحمام بريداً في بعض الأحيان بين الناس، أو كون الطيور بعامة رمزاً للحرية المنطلقة بلا حدود.

وكان الطير حاضراً في أشعار السجناء؛ لأنه حاضر في وجدانهم وحاضر في سجنهم الضيق، الذي لا يمكنهم إلا من رؤية الطيور المحلقة في السماء؛ إذا كانوا سعيدي الحظ وكان سجنهم يضم نوافذ تصلهم بالعالم، وتتيح لهم إرسال النظرات لما وراء الأفق حتى وإن كانت نوافذ صغيرة.

هذا المعتمد مرّ عليه سرب قطا وهي تسرح في الجو وتمرح، بينما هو قابع في سجنه يندب حظه العاثر، فيشكو إليها همه ويبثها شكواه قائلاً:(١).

«بكيتُ إلى سِرْب القَطا إذ مررْنَ بي ... سوارحُ لا سجنٌ يعوق ولا كبلُ
ولم تكُ -واللهُ المعيذُ- حسادةً ... ولكن حنيناً إنّ شكلي لها شكلُ
هنيئاً لها أنْ لم يُفَرِّق جميعُها ... ولا ذاق منها البعدَ عن أهلها أهلُ
وأنْ لم تبتْ مثلي تطير قلوبُها ... إذا اهتز بابُ السجن أو صلصل القفلُ
ألا عصمَ اللهُ القطا في فراخها ... فإنّ فراخي خانها الماءُ والظلُّ»

١- ديوان المعتمد ، ص١٨٧-١٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالسجين هنا في موقف يدفعه إلى المقارنة بين حاله وحالها، وكيف لا؟ وفي كل لحظة يراها تذكره بحاله المناقض تماماً لحالها، فإذا رآها تمرح وتلعب يتذكر لوعته وحزنه وأساه، وإذا أحس بنبضات الحرية في تحليقها عاد إلى نفسه يتحسس آلام القيود وذل السجن، وإذا رأى اطمئنانها على نفسها وأبنائها، تذكَّرَ خوفه في كل لحظة من أصوات القفل أو باب السجن، وتذكر حال أبنائه الذين تركهم لا حول لهم ولا قوة، بعد أن دار الزمان عليهم.

والسجين دوماً يشبِّه أبناءه بفراخ الطيور، لا قدرة لها إلا بوجود والديها، وهي ضعيفة لا تقوى على مقاومة مآسي الحياة وقسوتها.

فابن الأبار يتحدث في سجنه عن أولاده، الذين يزيدون حزنه وهمه وهو في السجن ، قائلاً:(١)

«أسلُمُ للمقدور ثم أسلَّمُ ... ويظعنُ جثماني وقلبي مخيمُ
ولولا أُطيفالٍ طواهُمْ طواهُمُ ... فأعظمُ ما يبقى جلودٌ وأعظُمُ
همُ أبداً همي فليلي ألْيَلُ ... بمَعْجَزَتي عنهم ويومي أيومُ
جوانحهم تذكو لهيباً وتلتظي ... وأعينهم تهمي نجيعاً وتسجُمُ
تخالهم في شجوهم وانتحابهم ... حمائماً على أفنانها تترنمُ»

إذ نجد تشبيه الأبناء الصغار بفراخ الطيور، وكيف يعانون نتيجة بُعْد الوالد عنهم، وكأن الأب هو عماد حياة أبنائه الصغار، وبغيابه يختل توازن حياتهم.

وهم على بعده عنهم همه الكبير لا يفارقه ليل نهار، ويحس بكل لحظة يتألمون فيها ويتوجعون، وكيف تلتهب جوانحهم لذكره، وتدمع مآقيهم على فراقه.

ويقول أيضاً أحمد بن عطية القضاعي في مدحه واستعطافه الخليفة عبد المؤمن:(٢)

«عطفاً عليَّ أمير المؤمنين فقد ... بانَ العزاءُ لفرطِ البثِّ والحزنِ
أنتم بذلتم حياة الخَلْق كلِّهمُ ... من دون مَنٍّ عليه لا ولا ثمنِ
وصبيةٍ كفراخ الوُرْقِ من صغرٍ ... لم يألفوا النوْحَ في فرع ولا غصن
قد أوجدتهم أيادٍ منك سابقةٌ ... والكل لولاك لم يوجد ولم يكنِ»

فهو يستعطف سجَّانه ويثير شفقته عليه بما يقاسيه أبناؤه نتيجة سجن أبيهم، ويتخذ من بؤسهم وسيلة؛ ليرقق بها قلب الخليفة ويستعطفه عن طريقها، وهو يصور أبناءه بصغار الحمام لا تزال صغيرة على هموم الدنيا ومتاعبها، ولا تزال

١- ديوان ابن الأبار ، ص٢٥٨-٢٥٩ .
٢- ابن الخطيب ، الإحاطة ج١ ص٢٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صغيرة على النوح والبكاء لفراق الأب الحنون.

ولم يكن الحمام مبعث ألم للسجين؛ لأنه يذكره بحريته المسلوبة وسجنه المطبق على أنفاسه فحسب، بل كان الطير رفيقاً وأنيساً للسجين في الوحدة والوحشة التي يقاسيها، ولهذا نجده في الغالب ينظر إلى هذا الطير على أنه مشارك له في أحزانه وهمومه، وتذكره حال هذا الطير بحاله هو، ويذكره دوماً رمزاً لحاجته الدائمة إلى الرفيق المشارك له في شدته تلك .يقول المعتمد لما رأى قمرية نائحة بفنائها وأمامها وكرٌ فيه طائران مغردان:(١)

«بكتْ أنْ رأت إلفيْن ضمّهما وكرُ ... مساءً، وقد أخنى على إلفها الدهرُ
بكت ولم تُرِقْ دمعاً وأسبلتْ عبرة ... يقصرُ عنها القَطْرُ مهما هما القطْرُ
وناحت فباحت واستراحت بسرِّها ... وما نطقت حرفاً يبوحُ به سرُ
فما لي لا أبكي أم القلبُ صخرةٌ ... وكم صخرةٍ في الأرض يجري بها نهرُ»

فنحن نجد أولاً أن الألفاظ التي اختارها الشاعر هي ألفاظ مفعمة وموحية بمعاني الحزن الشديد، والوجع والقهر، وقد وجد الشاعر في هذه القمرية ما يشبه حاله، حيث وحّدتهما المصيبة وجَمعتهما الأحزان، فصار حالها بفقد إلفها كحاله بفقد إلفه ومحبوبته اعتماد(٢)،اللذين طارت بأخبارهما الآفاق، وصارت هذه القمرية بحزنها تذكره بحزنه وألمه بسجنه البغيض.

وهو يختم أبياته بتشبيه ضمني رائع، يجعل الشاعر يرتاح في التعبير عن حزنه بالطريقة التي يريد، فيبكي ويبكي وهو موقن أن البكاء مظهر طبيعي في الإنسان، وحتى لو كان هذا الإنسان أشجع الفرسان، فالبكاء لا يعيبه ولا ينقص من قدره شيئاً.

والشاعر حين يشرح معاناة هذا الطائر وبكاءه، فكأنما هو يقدم لنا صورة عن نفسه الحزينة الملتاعة بلظى المأساة ونيرانها.

وكان الطير أيضاً رفيقاً دائماً للسجين يشاركه أحزانه وهمومه، فهو القريب عندما بعدت عنه دياره وأحبته، وهو يدري به ويعلم جيداً كيف يعيش هذه اللحظات القاسية بتفاصيلها المرة.

يقول ابن الوكيل اليابري(٣):

«غريب بأرض الغرب فرَّق قلبُهُ ... فآوتْ سلا فرْقاً ويابُرَة فرقا
إذا ما بكى أو ناحَ لم يَلْقَ مُسْعِداً ... على شجوهِ إلا الغمائم والوُرْقَا»

١- ديوان المعتمد ، ص١٦٤-١٦٥ .
٢- هي أم الربيع وتعرف بالسيدة الكبرى، وتلقّب بالرميكية نسبة لمولاها رُمَيْك بن الحجاج ومنه ابتاعها المعتمد في أيام أبيه المعتضد، وكان مفرط الميل لها حتى تلقب بالمعتمد ، ينتظم اسمُه حروف اسمها.
انظر الحلة ٢ : ٢٦ والنفح ٤ : ٢١١ .
٣- الحميري ، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلا أنيس يؤانسه في وحدته إلا الغمام يبكي لبكائه، والحمام يهتف لمصيبته وآلامه، وهذا جزء من توجه الشاعر نحو العالم والطبيعة خارج جدران السجن وأبوابه المنعة.

ويقول ابن شُهَيد وهو يجد في الحمام شريكاً له في مُصابه(١):

«وقلتُ لصدّاح الحمام وقد بكى ... على القصر إلفاً والدموعُ تجودُ
ألا أيها الباكي على من تحبه ... كلانا مُعنىً بالخلاءِ فريدُ
وهل أنتَ دانٍ من محبٍّ نأى به ... عن الإلف سلطانٌ عليه شديدُ
فصفّق من ريش الجناحين واقعاً ... على القرب حتى ما عليه مزيد
وما زال يبكيني وأبكيه جاهداً ... وللشوق من دون الضلوع وقودُ
إلى أن بكى الجدران من طول شجونا ... وأجهشَ بابٌ جانباه حديدُ»

فالشاعر يجد في الحمام له مشاركاً في أحزانه ومشاطراً لهمومه، وينظر السجين إلى الحمام وهو يعاني قسوة الفراق، فيجد فيه نفسه وشاكلته، فيخفف ذلك من وطء المأساة عليه، ويكون بمثابة تعزية للنفس المحطمة في سجنها.

وتعود الألفاظ التي يختارها الشاعر لتذكرنا دوماً بشدة حزنه، تلك العاطفة الأساسية التي كانت مبعث هذه الأشعار؛ حيث الدموع والألم والبكاء كلها من الألفاظ التي حمّلها الشاعر ما يجيش في داخله من الأحزان والأوجاع.

ومثل ابن شهيد الذي يشاركه الطير همومه وأحزانه الشاعرُ الرمادي، فهو في شدة حزنه على مصيره يجد الطير مشاركاً إياه هذا المصير المؤلم، فيقول(٢):

«على كبدي تهمي السحابُ وتذرفُ ... ومن جزعي تبكي الحمام وتهتفُ»

فكأن كل صوت وكل نوحٍ من الطيور، هي مشاطرة منها للسجين في الهم الذي أصابه، وكأن ذلك السجين لشدّة حزنه وألمه يرى كل شيء في الكون يرثي لحاله ويبكي مصيره، فهو يُسقط الحياة على الكائنات المحيطة به خارج السجن؛ لتكون كلها مسخرة في خدمة المعنى، وجلاء حقيقة مشاعره المتضاربة في صدره، والمشتعلة شوقاً إلى الحرية المسلوبة.

وكان الرمادي قد ألّف في سجنه (كتاب الطير) - الذي لم يصل إلينا- ووصف فيه كل طائر معروف وذكر خواصّه ، وذيّل كل قطعة بمدح ولي العهد هشام بن الحكم ليشفع فيه لدى أبيه(٣)، ويعدُّ عمل مثل هذا الكتاب واختيار موضوع الطير بالذات-

---

١- ديوان ابن شهيد ، ص١٠١ .
٢- ماهر جرار، شعر الرمادي ، يوسف بن هارون ، ص٨٨ .
٣- الحميدي ، الجذوة ، ص٣٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كشفاً عن اتجاه الشعراء السجناء نحو الطير على اعتبار أنه رمز للحرية بأجنحتها المرفرفة في سماء الكون الواسعة، وهو الذي يذكرهم دوماً بما فقدوه خلف أبواب السجون الموصدة.

* * * * *

وبهذا فالطير الذي ذكره الشعراء السجناء في أشعارهم - كأنما يذكرنا باستمرار أن الطائر بأجنحته المحلقة هو صورة للحرية، وهو رسول بين السجين في عالمه الداخلي المقيد بجدران السجن وقضبانه، وعالمه الخارجي الممتد بلا نهاية ينعم بالحرية ويستظل بسمائها.

وكان اتجاه الشعراء للطير يمثل أيضاً حاجتهم الشديدة للرفيق في الوحشة والغربة ،التي غمرهم السجن بها، ولذلك وجدوا في الطير صديقاً وأنيساً على درب الآلام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

كانت دراسة تجربة السجن في الشعر الأندلسي قد تناولت بالبحث مجموعة الأشعار التي قالها الشعراء في سجونهم، وكانت مجموعة لا بأس بها من الشعراء الأندلسيين قد تعرضت للسجن لأسباب متعددة، جاءت المؤامرت السياسية في مقدمتها، والسبب في ذلك يعود إلى أن الشعراء كانوا من طبقة كبار رجال الدولة وشخصياتها؛ للمؤهلات التي يتمتعون بها، لذلك كان الاعتقال نصيبهم عند اضطراب الأمور.

وقد تبين من هذه الدراسة أن الأندلس عرفت السجون منذ بدايات تأسيس أركان الدولة فيها، ثم تطورت مع الدولة الأموية والعصور التالية لها، وكانت الأندلس شهدت نشاطاً في حركة الحبس والاعتقالات، خاصة في أوقات الفتن والاضطربات السياسية، التي مرت على تاريخ المسليمن فيها .

وقد تمايزت السجون بتمايز الطبقات النازلة فيها، وكانت معاملة السجين في الغالب غير جيدة، ويلقى في سجنه عذاباً وقهراً من القيود التي يرسف فيها، أو من ضيق المكان ووحشته.

كما تبين أن عصر الحجابة العامرية والعصر الذي تلاه وهو عصر الفتنة، كانا من أشد الأوقات التي شهدت حركات اعتقال وسجن كثيرة، وكان المنصور بن أبي عامر من أكثر الحكام الأندلسيين سجناً، في عهده الذي سيطرفيه على دولة الخلافة وأحكم إدارة الدولة فيه بقبضته الحديدية.

أما عن شعر السجن نفسه، فإن هذا الشعر كان يدور حول الموضوع الأساسي الذي قيل لأجله وهو مأساة السجن وأثرها في السجين، لكن هذا الموضوع الكبير كان يتفرع إلى موضوعات صغرى شكلت في مجملها موضوعات شعر السجن، التي بحثت في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

وكان موضوعا الاستعطاف ووصف المأساة من الموضوعات البارزة بين موضوعات شعر السجن السابقة؛ للأهمية الوظيفية التي أدّاها الاستعطاف، حيث كان يؤدي أحياناً إلى إطلاق سراح السجين، وللأهمية النفسية لوصف المأساة والتعبير عنها، وبيان أثرها في تحطيم نفوس السجناء وجرح كبريائهم.

وفي مجال أساليب الشعراء في وصف هذه التجربة ،فإن أشعار السجن كانت موزعة بين قصائد طويلة متعددة الأغراض، ومقطوعات قصيرة مكثفة، احتوت أحياناً على أغراض متعددة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحملت بعض القصائد مقدمات غزلية ومطالع التزم الشعراء فيها بذكر المرأة، على عادة القدماء، كما استخدم الشعراء فيها بعض المحسنات اللفظية والمعنوية، التي كانت في مجملها تخدم النص والمعنى، وترد دون تكلُّف يذكر؛ فهذه التجربة لا تطيق تكلفاً ولا تصنُّعاً.

وجاءت الصور الفنية ملتقطة من البيئة المحيطة، وسائرة في دروب التقليد على الغالب، خاصة في صورة الممدوح وصورة المحبوبة، اللتين أخذتا ملامحهما من تراث العرب الأدبي، فكانت الصور مقيدة تقريباً، كمثل السجين الذي أقعده سجنه عن الانطلاق في عالم الحياة الواسع ،وكان هذا أثر السجن على نفسية أمثال هؤلاء.

وقد بيَّنت أشعار السجن أن العاطفة التي حرّكتها وكانت وراءها هي عاطفة الحزن العميق، التي ظهرت في الألفاظ الحزينة والدلالات الباكية، التي حملتها الألفاظ التي اختارها الشعراء .

كما أن الشعراء في غمرة الحيرة والاضطراب لجأوا إلى استخدام الطير رمزاً لما يتشوقون إليه من الحرية والانطلاق، ورمزاً للتخفيف عن النفس ولمشاركة السجين في مصابه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر

- **ابن الأبار**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، إعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتر، ط١، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١.
- **ابن الأبار**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ، التكملة لكتاب الصلة، صححه ونشره عزت العطار الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٩٥٥.
- **ابن الأبار**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ، الحلة السيراء في أشعار الأمراء، تحقيق حسين مؤنس، ط١، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.
- **ابن الأبار**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ، ديوان، تعليق عبد السلام الهرس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٥
- **ابن الأحمر**، إسماعيل بن يوسف بن محمد، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة، ١٩٦٧.
- **ابن الأحمر**، أبو الحجاج يوسف بن يوسف، ديوان ملك غرناطة، تحقيق عبد الله كنون، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٥.
- **ابن بسام**، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩.
- **البسطي**، عبد الكريم القيسي، ديوان، تحقيق جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة، قرطاج، ١٩٨٠.
- **ابن بشكوال**، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.
- **الثعالبي**، أبو منصور عبد الملك النيسابوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محمد مفيد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣.
- **ابن حزم الأندلسي**، أبو محمد علي بن أحمد، التقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه، تحقيق إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩.
- **ابن حزم الأندلسي**، أبو محمد علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب، ط١، دار الكتب العربية، بيروت، ١٩٨٣.
- **ابن حزم الأندلسي**، أبو محمد علي بن أحمد، طوق الحمامة في الإلفة والآلاف، تحقيق فاروق سعد، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٦.
- **الحميدي**، أبو عبد الله محمد بن فتوح، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **الحميري**، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من الروض المعطار) تعليق ليفي بروفنسال، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨.
- **ابن حوقل**، أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، مكتبة دار الحياة بيروت.
- **ابن حيان**، أبو مروان بن خلف القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود مكي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٧١.
- **ابن حيان**، أبو مروان بن خلف القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت.
- **ابن خاقان**، الفتح بن محمد الإشبيلي، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق حسين خريوش، ط١، دار المنار، الأردن، ١٩٨٩.
- **ابن خاقان**، الفتح بن محمد الإشبيلي، مطمح الأنفس ومسرح التأنُّس في مُلَح أهل الأندلس، تحقيق محمد شوابكة، ط١، دار عمار ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣.
- **ابن الخطيب**، لسان الدين محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١، شركة طبع الكتب العربية، مطبعة الموسوعات، مصر، ١٣١٩هـ.
- **ابن الخطيب**، لسان الدين محمد بن عبد الله ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٤.
- **ابن الخطيب**، لسان الدين محمد بن عبد الله ، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، ط٢، دار المكشوف، ١٩٥٦.
- **ابن الخطيب**، لسان الدين محمد بن عبد الله ، ديوان الصَّيِّب والجهام والماضي والكهام، تحقيق محمد الشريف قاهر، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٣.
- **ابن الخطيب**، لسان الدين محمد بن عبد الله ، الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣.
- **ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد، ، العبر وديوان المبتدأ والخبر.... (تاريخ العلاّمة ابن خلدون)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٩.
- **ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد، ، المقدمة، ط٦، دار القلم، بيروت، ١٩٨٦.
- **ابن خير**، أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي، فهرست ما رواه عن شيوخه، ط٢، مكتبة المثنى بغداد، ومؤسسة الخانجي القاهرة، ١٩٦٣.
- **ابن دحية**، أبو الخطاب عمر بن حسن، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأبياري وزميليه، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٤.

- **ابن زيدون**، أبو الوليد أحمد بن عبد الله، ديوان، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠.

- **ابن زيدون**، أبو الوليد أحمد بن عبد الله، ديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق علي عبد العظيم، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٧.

- **ابن سعيد**، علي بن سعيد الأندلسي، رايات المبرزين وغايات المميزين. تحقيق النعمان عبد المتعال القاضي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ١٩٧٣.

- **ابن سعيد**، علي بن سعيد الأندلسي، المُغرب في حُلى المَغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر.

- **ابن شهيد**، أبو عامر أحمد بن عبد الملك، ديوان، تحقيق شارل بيلات، دار المكشوف، بيروت، ١٩٦٣.

- **الصفدي**، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، باعتناء س. ديدرينغ، ط٢، دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن. ١٩٧٤.

- **الضبي**، أحمد بن يحيى بن أحمد، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧.

- **ابن عاصم**، أبو يحيى، محمد ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضى في التسليم لما قدَّر الله وقضى، تحقيق صلاح جرار، دار البشير، عمان، ١٩٨٩ .

- **ابن عذاري**، أبو عبد الله محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٢تحقيق كولان وبروفنسال، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨١، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣.

- **ابن عذاري**، أبو عبد الله محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٣تحقيق كولان وبروفنسال، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣.

- **ابن القوطية القرطبي**، تاريخ افتتاح الأندلس، تقديم عبد الله الطباع، دار النشر للجامعيين، ١٩٦٣.

- **الكتاني**، أبو عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، ط٢، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ١٩٨١.

- **المالقي**، أبو القاسم بن رضوان، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٤.

- **مجهول**، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم، ط مطبع ربد نير، مدريد، ١٨٦٧ (مكتبة المثنى، بغداد)

- **المراكشي**، عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تصحيح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد سعيد العريان ومحمد العربي، ط١، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٩.

- **المراكشي**، أبو عبد الله محمد بن محمد، الذيل والتكملة لكتابَيْ الموصول والصلة، السِّفر الخامس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
- **المعتمد**، أبو القاسم محمد بن عباد، ديوان، جمع وتحقيق رضا الحبيب السويسي، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٥.
- **المعتمد**، أبو القاسم محمد بن عباد، ديوان، جمع وتحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥١.
- **المقّري**، أحمد بن محمد التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٢.
- **المقّري**، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.
- **النُّباهي المالقي**، أبو الحسن بن عبد الله، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، (تاريخ قضاة الأندلس)، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- **ياقوت الحموي**، أبو عبد الله شهاب الدين، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي بيروت، ١٩٩٣.
- **يحيى بن عمر الأندلسي**، النظر والأحكام في جميع أحوال السوق (أحكام السوق)، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، الشركة التونسية للتوزيع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجع:

- أبو ارميلة ، هشام ، نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية في الأندلس ، دار الطباعة العربية ، القدس ، ١٩٨٠ .
- البرزة ، أحمد مختار ، الأسر والسجن في شعر العرب، ط١، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ١٩٨٥.
- بروفنسال، ليفي، أدب الأندلس وتاريخها، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥١.
- بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، ج٥، ط٢ نقلها إلى العربية رمضان عبد التواب، دار المعارف، مصر.
- بهجت ، منجد مصطفى ، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ،١٩٨٨ .
- جرار ، ماهر، شعر الرمادي يوسف بن هارون ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠
- الجراري، عباس ، الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، ج١، ط١، مكتبة المعارف، الرباط، ١٩٧٩.
- الحلفي ، عبد العزيز ، أدباء السجون، دار الكاتب العربي.
- حمودة ، علي محمد ، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٩٥٧ .
- خالص ، صلاح ، محمد بن عمار الأندلسي، مطبعة الهدى ، بغداد، ١٩٥٧.
- خلاف ، محمد عبد الوهاب ، تاريخ القضاء في الأندلس ، ط١ ، المؤسسة العربية الحديثة ، مصر ،١٩٩٢ .
- سالم ، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار النهضة العربية بيروت، ١٩٨١.
- ابن شريفة ، محمد، البَسطيّ آخر شعراء الأندلس ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥ .
- ضيف ، أحمد، بلاغة العرب في الأندلس، ط١، مطبعة مصر، ١٩٢٤.
- ضيف ، شوقي، عصر الدول والإمارات (الأندلس)، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٨٩.
- عباس ، إحسان :

تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٨٥.

تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عتيق ، عبد العزيز ، الأدب العربي في الأندلس، ط٢، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٦.

- عنان ، محمد عبد الله ، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصِّرين ، ط٢ ، مطبعة مصر ، ١٩٥٨ .

- كولان ،ج.س ،الأندلس، لجنة ترجمة دار المعارف الإسلامية ، ط١ ، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري ، بيروت والقاهرة ، ١٩٨٠ .

- لغزيوي، علي ، أدب السياسة والحرب في الأندلس، مكتبة المعارف، الرباط، ١٩٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدوريات

* أحمد حسن الرحيم، السجون وتطورها من وجهة نظر تربوية واجتماعية، مجلة البحوث الاجتماعية والجنائية ،المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، العراق، عدد ١ / ١٩٧٥.

* أحمد العراقي، أبو الحجاج يوسف الثالث ملك غرناطة حياته وآثاره، مجلة دعوة الحق، عدد ٥، ٦ ، ١٩٧٢، ص ١٥٢ وعدد ٧، ١٩٧٣.

* محمد إبراهيم الكتاني، بين يدي شذرات من كتاب السياسة لابن حزم، مجلة تطوان عدد ٥، ١٩٦٠.

* محمد عبد الوهاب خلاف، صاحب المدينة في الأندلس، مجلة معهد التربية للمعلمين، عدد ١، ١٩٧٩.

وصاحب الشرطة في الأندلس، مجلة أوراق، عدد٣، ١٩٨٠.

* محمد محمود يونس، الحاجب المصحفي حياته، شعره دراسة أدبية تاريخية، مجلة آداب المستنصرية، عدد ١٠، ١٩٨٤.

وما تبقى من شعر الحاجب المصحفي، مجلة آداب المستنصرية، عدد ١٢، ١٩٨٥.

المراجع الأجنبية:

1- Hernandez, Miguel Cruz, El Islam de Al Andalus, Agencia Espanola de Cooperacion Internacional, Instituto de Cooperacion con el mundo Arabe, Madrid, 1992.

2- Pidal, Ramon Menendez, Historia de Espana, Espana Musulmana, Quinta Edicion, Espana, Calpe S.A. Madrid, 1987.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الملاحق:

الرقم	الموضوع
١	بعض الشعراء الأندلسيين الذين تعرضوا للسجن.
٢	بعض ما وصل إلينا من أشعار السجن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملحق (ا)

بعض الشعراء الأندلسيين الذين تعرضوا للسجن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	اسم الشاعر	زمنه	مكان السجن	أسباب السجن	إطلاقه أم موته في السجن	المتسبب في سجنه	مصادر ترجمته
١	ابن الأبار ، أبو عبد الله ،محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي .	٥٩٥-٦٥٨	بجاية	كان كاتباً في بلاط أبي زكريا يحيى الحفصي في تونس ، ثم عزله ونفاه إلى بجاية؛ لحدةٍ في الطبع كانت عند ابن الأبار.	عفى عنه فعاد إلى تونس .	أبوزكريا يحيى الحفصي أمير تونس	الوافي بالوفيات ٣/٣٥٥ تاريخ ابن خلدون ١/٣٩١ أزهار الرياض ٣/٢٠٤ (ترجمة وافية]
٢	ابن الأحمر ، أبو الحجاج ، يوسف بن يوسف بن محمد الغني بالله .	ت٨٢٠هـ	قلعة شلوبينية (من أعمال إلبيرة).	أبعده أخوه محمد عن اعتلاء العرش بعد وفاة أبيه، وسجنه من ٧٩٧ إلى ٨١١طيلة عهده، ثم تولى أبو الحجاج حكم غرناطة بعد وفاة أخيه، وكان عهده فيها زاهياً مستقراً .	أطلق بعد وفاة أخيه.	أخوه الأمير محمد بن يوسف	ديوان ملك غرناطة / مقدمة الديوان
٣	أبو الأصبغ ، عيسى بن الحسن	عهد المنصور		سجنه المنصور بن أبي عامر لتأييده ابنه عبد الله في الخروج عن طاعة أبيه وحكمه.		المنصور بن أبي عامر	الذخيرة ق ٢، م١، ص٣٧٧ المغرب ١/٢١٢
٤	ابن الإفليلي، أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري.	٣٥٢-٤٤١		اتهم في دينه مع جملة من الأطباء أيام هشام المؤيد.	أطلق من سجنه بعد مدة	هشام المؤيد(فعلياً حاجبه المنصور)	الجذوة ٢٣٤ البغية ١٨٦ معجم الأدباء ١/١٢٤ الوفيات ١/٥١ المغرب ١/٧٢، الصلة ١/٩٤
٥	ابن باجّة ، أبو بكر ،محمد بن يحيى بن الصائغ السرقسطي.	ت٥٢٣	سجن شاطبة.	كان وزيراً لابن تافلويت صاحب سرقسطة، فكان فيما أبداه في وزارته من أعمال وتنكيل هو الذي أضاع سرقسطة إلى الأعداء ،	أطلق من سجنه ثم مات مسموماً فيما بعد.	ابراهيم بن يوسف بن تاشفين وعماد الدولة بن هود .	قلائد ج٣-٤ ص٩٣١ الوافي بالوفيات ٢/٢٤٠ المغرب ٢/١٩ الإحاطة٤/٢٤٨ النفح ٧/١٧ و٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	اسم الشاعر	زمنه	مكان السجن	أسباب السجن	إطلاقه أم موته في السجن	المتسبب في سجنه	مصادر ترجمته
				وهرب إلى شاطبة فقبض عليه ابراهيم بن يوسف بن تاشفين ، وكانت لابن باجة آثار في الفلسفة وطعن بأحكام الدين .ثم اعتقله عماد الدولة بن هود بعد أن كان أوغر صدره من الساعين عليه.			
٦	البجّاني ، أبو عبد الله ، محمد بن مسعود الغسّاني	ت٤٠٠	مطبق الزهراء.	قرف عند المنصور بالرهق في دينه ،ونسب عنده إلى الزندقة.	أطلق بعد مدة.	المنصور بن أبي عامر .	الجذوة ١٥١/١ الذخيرة ق١ م١ ص٥٦٢ البغية ص١٣١ رقم ٢٨١ المغرب١٩١/٢، النفح٣٨٨/٣
٧	البسطي ، عبد الكريم بن محمد القيسي	ق٩هـ	أيُرَة(يابُرة)	أخذ أسيراً عند النصارى ، بسبب الحروب التي كانت قائمة بين مملكة غرناطة وقشتالة في زمانه .	أطلق بعد مدة.	الأسر	ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي :مقدمة الديوان البسطي آخر شعراء الأندلس : دراسة عنه وعن شعره
٨	التعاليمي، أبو زكريا ، يحيى بن هذيل التجيبي	ت٧٥٣ .		اعتقل في ظروف مجهولة في بعض جهات الأندلس .	أطلق بعد مدة.		اليتيمة ١٤/٢ ، الجذوة رقم ٦٠٨ البغية /٥٠٩ رقم ١٤٩٦ الكتيبة الكامنه ٧٣ (تحت اسم ابن شقرال) نثير فرائد الجمان ٣٢٠ النفح ٤٨٧/٥
٩	ابن ثعلبة ، أبو مروان ، عامر بن كليب الجذامي .	ت٢٧٥ .		سجنه الوزير محمد بن جهور لتطاوله عليه وتتبعه سقطاته.		محمد بن جهور	الحلة ١٦١/١ المغرب ٩٤/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	اسم الشاعر	زمنه	مكان السجن	أسباب السجن	إطلاقه أم موته في السجن	المتسبب في سجنه	مصادر ترجمته
١٠	الجزيري ، أبو مروان ، عبد الملك ابن إدريس الخولاني	ت٣٩٤ .	مطبق الزاهرة ، أحد أبراج طرطوشة.	١- عتب عليه المنصور وصرفه عن الكتابة. ٢- استوزره المظفر بن المنصور ، فلما قتل صهر المظفر ابن القطاع ، اتهم الجزيري فسجنه.	عفا عنه المنصور و أطلقه. قتله المظفر في سجنه.	المنصور بن أبي عامر و المظفر بن المنصور	اليتيمة ١١٧/٢، الجذوة ٤٤٤ الذخيرة ق٤ م١ ص ٤٦ الصلة ٣٣٩/١ الرايات ١٢٦ المطمح ١٧٧ صفة جزيرة الأندلس / ١٢٥ البغية ٣٧٤، إعتاب ١٩٣ النفح ١ /٥٨٦
١١	ابن جودي ، ابو عثمان ، سعيد بن سليمان بن جودي السعدي .	ت٢٨٤ .	بُبَشْتُر.	وقع أسيراً عند عمر بن حفصون ، في إحدى الغزوات من أجل القضاء عليه زمن الأمير عبد الله .	أطلق من أسره مقابل فدية كبيرة من المال.	عمر بن حفصون	الجذوة ٢١٣ الحلة١/١٥٩ البيان ١٣٤/٢ الإحاطة ٢٧٥/٤
١٢	الجَيَّاني، أبو عمر ، أحمد بن محمد بن فرج	ت٣٦٠ .	سجن جَيَّان	سجنه الحكم المستنصر لأمر نقمه عليه ،وكان قد رفع إليه أنه هجاه ، واستمر في سجنه سبعة أعوام.	أطلق أمر العفو عنه ففزع ، ومات إلى مدة قصيرة في السجن .	الحكم المستنصر	اليتيمة ١٦/٢ ،معجم الأدباء ٤٣٧/١ الجذوة ١٧٠ ، الوافي ٧٧/٨ الصلة ١/ ٣٠، المغرب ٥٦/٢ البغية ١٥٣
١٣	ابن الحاج النميري، أبو اسحاق، ابراهيم ابن عبدالله بن ابراهيم	٧١٣ - ...	قرب جزيرة جينة قرب وهران	توجه رسولاً عن السلطان إلى صاحب تلمسان ،وأسر قرب جزيرة جينة من جهة وهران، هو ومن بأسطول سفره من المسلمين وكان ذلك سنة ٧٦٨ هـ وهو من بيت نبيه من أهل غرناطة.	فك من الأسر بمال ينيف على سبعة آلاف بعد عشرين يوماً .	الأسر	الإحاطة ١ : ١٩٣ الكتيبة الكامنة : ٢٦٠ نثير فرائد : ٣١٣
١٤	الحجاريّ ،عبد الملك ابن غصن.	ت٤٥٤ .	سجن وَبْذَة (من أعمال طليطلة.	نقم عليه المأمون بن ذي النون بسبب صحبته لرئيس بلده ابن عبيدة ، وأنه يقع فيه كثيراً ، و أنه قد هجاه بأبيات شعرية.	عفا عنه المأمون و أطلقه بعد مدة قصيرة.	المأمون بن ذي النون	الذخيرة ق٣ م١ ص ٣٣١ إعتاب ٢١٨ المغرب ٣٠/٢ الذيل والتكملة سفر ٥ ق١ ص ٣١

الرقم	اسم الشاعر	زمنه	مكان السجن	أسباب السجن	إطلاقه أم موته في السجن	المتسبب في سجنه	مصادر ترجمته
١٥	الحجر اليابس ، أبو بكر ، عبد الله بن عبد العزيز المرواني	ت٣٩٣ .	إقامة جبرية في منزله ، وسجن المطبق.	كان هو صاحب طُليطلَة من قبل المنصور ،فتآمر مع ولده عبد الله بالوثوب على أبيه ، فصرفه المنصور عن الوزارة وألزمه داره ،وكان قدهرب إلى الروم فظفر به المنصور بعد حين وسجنه في المطبق .	أطلق بعد وفاة المنصور ، واستوزره ابنه المظفر	المنصور بن أبي عامر	جذوة ٤١٥ بغية٣٤٧ رقم ٩٣٣ الحلة ٢١٥/١ البيان ٢٨٣/٢ النفح ٣٤٣/٣
١٦	ابن حزم ، أبو محمد ، علي بن أحمد بن سعيد .	٣٨٤-٤٥٦ .	المرية غرناطة.	كان مواليا للأمويين ، فسجنه خيران العامري صاحب المرية، ثم أطلق والتحق من جديد بأمير أموي أخر هو المرتضي ، وفشل في استعادة الخلافة زمن الفتنةالبربرية فسجن ثانية.	أطلق من سجنه .	خيران (صاحب المرية) المستكفي	الجذوة رقم٧٠٨ ، الذخيرة ق١ / م١ ص١٦٧ الصلة ٣٩٥/١ رقم ٨٩١ النفح ٣٥٨/١ البغية ٤١٥ رقم ١٢٠٥ الوفيات ٣٢٥/٣ و انظر طوق الحمامة
١٧	الحمار ، أبو عثمان ، سعيد بن فتحون السرقسطي.	عهد المنصور		اعتقل ضمن مجموعة من الأطباء المتهمين في دينهم وكان ذا حظ من علوم القدماء والفلاسفة، فامتحن من قبل المنصور مدة.	أطلق (ثم ذهب إلى صقلية).	المنصور	جذوة ٣٦٢ بغية ٣١١ الذيل والتكملة ٤٠/٤
١٨	أبوخالد، هاشم بن عبد العزيز	ت٢٧٣	المطبق .	١- أسر عند ابن مروان الجليقي الثائر ، في احدى الغزوات . ٢- نكبه الأمير المنذر بن محمد لأشياء حقدها عليه منذ زمن أبيه.	أطلق من الأسر سنة ٢٦٤ قتله المنذرفي السجن.	ابن مروان الجليقي. والمنذر بن محمد	جذوة ٥٨١ المغرب ٩٤/٢ بغية رقم ١٤٢٤ ، البيان ١١٦/٢ الحلة ١٣٧/١ ، النفح ١٣٠/٣ و ٣٧٢
١٩	ابن الخشاب ، أبو عبد الله ، محمد بن الخشاب .		أبذة.	أخذ أسيرا في أبذة.		الأسر	المغرب ٧٥/٢ النفح ٥٣٨/٢ و٦٨٩
٢٠	ابن الخطيب ، أبو الأصبغ، عبد العزيزبن الخطيب	عهد المنصور.		قال أبيات شعرية يؤلّه فيها المنصور ، فشاع استخفافه ،و ضربه وسجنه.	أطلق من السجن ثم نفي عن الأندلس.	المنصور	الجذوة ٤٥٥ البغية رقم ١٠٩٠ البيان ٤٣٧/٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	اسم الشاعر	زمنه	مكان السجن	أسباب السجن	إطلاقه أم موته في السجن	المتسبب في سجنه	مصادر ترجمته
٢١	ابن الخطيب ، أبو عبد الله ، لسان الدين محمد بن عبد الله .	٧١٣ - ٧٧٦ .	سجن فاس	كان السبب الظاهر أنه قال كلمات في بعض كتبه ، يميل فيها إلى الزندقة والإلحاد ، وكانت تغطية من أعدائه على السبب الأساسي وهو اتهامه بإغراء سلطان المغرب عبد العزيز المريني بملك غرناطة.	قتل خنقا في سجنه ثم أحرقت جثته بعد الدفن ، و أعيدت إلى القبر ثانية	محمد الخامس (الغني بالله) ابن أبي الحجاج سلطان غرناطة و سلطان فاس أبو العباس المريني	مقدمة الإحاطة نثير فرائد الجمان ٣٤٢ تاريخ ابن خلدون ٣٤١/٧ النفح ج٥ و٦ و٧ (التعريف به وبتاريخه ومؤلفاته....)
٢٢	ابن دحون ، بشر بن حبيب بن دحون الكلبي	زمن الأمير عبد الرحمن الأوسط.		سجنه الأمير لأمر أوجب سجنه	أطلق من السجن	الأمير عبد الرحمن الأوسط	جمهرة أنساب العرب ٩٠ الحلة ٤٥/١ ،المغرب ٦٢/١ النفح ٢/ ٥٠٤
٢٣	الرّمادي، أبو جنيش، يوسف بن هارون .	ت٤٠٣.	سجن الزهراء	هجا الخليفة الحكم المستنصر بأشعار شاعت عنه.	أطلق من سجنه.	الحكم الثاني (المستنصر)	الجذوة ٣٤٦ ،اليتيمة١١٥/٢ الصلة ٩٦٩/٣، المطمح ٣١٣ الوفيات ٢٢٥/٧، النفح ٣٥/٤ البغية رقم ١٤٥٢
٢٤	الزبراكة ، أبو الأصبغ ، عيسى بن قرلمان الخازن .	النصف الثاني من ق ٤هـ(عهد الحكم).	سجن الزهراء	اتهم مع الرمادي وغيره من مجموعة العصبة البطراء بأشعار ظهرت تذم الخليفة الحكم المستنصر .	أطلق بعد مدة	الحكم المستنصر	المقتبس (ت حجي) ٧٣ الجذوة ٤٧٣ رقم ٦٨١ البغية ٤٠١ رقم ١١٤٨
٢٥	ابن زنّون، أبو الحسن بن زنون .	عصر ملوك الطوائف.	قيجاطة (من أعمال جيّان).	أخذ أسيرا في قيجاطة.		الأسر	النفح ١٥/٤
٢٦	ابن زيدون ، أبو الوليد ، أحمد بن عبد الله بن زيدون .	٣٩٤-٤٦٣	قرطبة.	سجنه أبو الحزم بن جهور نتيجة اتهامه بأنه يحاول القيام بثورة عليه، ودبروا له تهمة ظاهرة وهي محاولة الإستيلاء علي إرث وعقار.	هرب من سجنه حوالي سنة ٤٣٣	أبو الحزم محمد بن جهور	الذخيرة ق١، م١ ص٣٣٦ القلائد ٢٠٩/٢ إعتاب ٢٠٧ الوفيات ٤٣/١
٢٧	الشبانسي، أبو محمد، قاسم بن محمد المرواني .	ت٤٣٠.		قرف وشُهد عليه عند القضاة بأمر يمسُّ دينه ، ولقول صدر عنه فسجن .		المنصور بن أبي عامر	الجذوة ٢٢٥ الصلة ٤٤٥/٢ رقم ١٠١٤ البغية ٤٤٧ رقم ١٢٩٦ ، نفح ٥٩٢/٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	اسم الشاعر	زمنه	مكان السجن	أسباب السجن	إطلاقه	المتسبب في سجنه	مصادر ترجمته
٢٨	الشريف الطليق، أبو عبد الملك، مروان بن عبد الرحمن .	ت ٣٩٦	مطبق الرهراء	قتل والده بسبب جارية كان يحبها، ووجدها معه (حوالي سنة ٣٦٣)	أطلق من سجنه بعد ١٦ سنة.	جريمته	اليتيمة ٤٠٢/١ ، جمهرة أنساب العرب ١٠٣ الجذوة رقم٧٩٩، البغية ٤٦١ رقم ١٣٤٣ الحلة١/٢٢٠، المغرب ٤٠٢/١ النفح ٨٨٣/٣ وانظر التشبيهات صفحات متفرقة
٢٩	ابن الشمّر ، عبد الله بن الشمر بن نمر القرطبي .	زمن عبد الرحمن الأوسط.		بدر منه ما أوجب سجنه .		الأمير عبد الرحمن الثاني الأوسط	المقتبس (ت مكي) ٣٠٨ البيان ٢ /٨١ و٨٥ الحلة ١١٦/١ المغرب ١٢٤/١ النفح ٦١٣/٣
٣٠	ابن شهيد . أبو عامر ، أحمد بن عبد الملك بن شهيد .	٣٨٢-٤٢٦	قرطبة.	نكبه المعتلي بن حمود ، لمّا حكم قرطبة زمن الفتنة، نتيجة سعايات ضده .	أطلق بعد قصيدة مدحه واستعطفه فيها	المعتلي يحيى بن حمود	اليتيمة ٤١/٢ ،الجذوة ٢٠٧ رقم ٣٢٠ الذخيرة ق١ م١ ص ١٦١ المطرب ١٥٨، الحلة ٢٣٧/١ إعتاب ٢٠٣، المطمح ١٨٩
٣١	ابن صمادح ، أبو مروان ، عز الدولة عبد الله بن المعتصم محمد بن معن .	أواخر عصر الطوائف وبداية المرابطين.	سجن غرناطة.	كان مسترسلا في اللهو والبطالة ومعاقرة الخمر ، ولما دخل ابن تاشفين غرناطة، وجّهه أبوه إليها لترضيته ، فقبض عليه و زُج في السجن .		يوسف بن تاشفين	النفح ٤٠/٧
٣٢	ابن صمادح ، أبو يحيى ، رشيد الدولة محمد بن عز الدولة بن المعتصم بن معن .	عصر المرابطين.		نشأ بعد انقراض ملكهم ، فكلف في الآداب ، وبرز فيها ، ثم تاق إلى الرئاسة فقيد وسجن .			الحلة١٩١/٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	اسم الشاعر	زمنه	مكان السجن	أسباب السجن	إطلاقه أم موته في السجن	المتسبب في سجنه	مصادر ترجمته
٣٣	ابن عاصم، أبو بكر محمد بن محمد ابن عاصم	٧٦٠- ٨٢٩		اعتقل سنة ٨١٤ هـ لظروف مجهولة .. وهو والد ابن عاصم مؤلف كتاب "جنة الرضى في التسليم لما قدّر الله وقضى" وقاضي الجماعة بغرناطة .			جنة الرضى ٢: ٢٠٣ - ٢٠٤
٣٤	ابن عبد العزيز ، أبو عبد الملك ، مروان بن عبد الله ابن مروان .	٥٠٥ - ٥٧٨ .	بيت في ميورقة	تولى بلنسية آخر عهد المرابطين، ثم قام عليه جندها سنة ٥٣٩ ، وقبض عليه .	أطلق بعد حوالي ١٢ سنة، بمساعي أبي جعفر بن عطية الوزير.		الحلة ٢١٨/٢ المغرب ٣٠٠/٢ النفح ١٨٠/١
٣٥	ابن عمار ، أبو بكر ، محمد بن عمار	٤٢٢ - ٤٧٢ .	١- حصن شقورة. ٢- بيت في قصر المبارك (اشبيلية)	كان وزيرا للمعتمد بن عباد ملك إشبيلية ، أرسله إلى مرسية ليضبط أعمالها ، فحاول الانفراد بملكها، حتى انتفض عليه أهلها.	قتله المعتمد في سجنه بواسطة فأس	المعتمد بن عباد	الذخيرة ق٢م١ ص ٣٦٨ البغية رقم ٢٢٧ ، الحلة ١٣١/٢ القلائد ٢٥٣/٢ ، الوافي ٢٢٩/٤ المغرب ٢٢٩/٢ ، المعجب ١٦٩ ، النفح ٦٥٢/١
٣٦	العنسي، أبو جعفر، أحمد بن عبد الملك.		مالقة.	فسد ما بينه وما بين السيد أبي السعيد (والي غرناطة) لأجل حفصة الشاعرة ، التي كانا يتعلقان بها، وقبض عليه بمالقة لما تآمر مع ابن مردنيش .		السيد أبو السعيد بن عبد المؤمن (والي غرناطة)	معجم الأدباء ١١٨٣ المغرب ١٦٤/٢ الإحاطة ٩٤/١ النفح ٢٠٤/٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	اسم الشاعر	زمنه	مكان السجن	أسباب السجن	إطلاقه أم موته في السجن	المتسبب في سجنه	مصادر ترجمته
٣٧	الغزال ، يحيى بن الحكم البكري الجياني .	١٥٦ - ٢٥٠ .	قرطبة.	ولاّه الأمير قبض الأعشار، وتصرف بحاصلات زراعية، وباعها دون إذن الأمير وقت ارتفاع الأسعار.	أطلق من سجنه.	الأمير عبد الرحمن الثاني الأوسط	الجذوة رقم ٨٨٨ البغية ٤٨٥ المطرب ١٣٣ المغرب ٢/٥٧ ، النفح ١/٤٤٩
٣٨	القضاعي ، أبو جعفر، أحمد بن عطية .	٥٢٧ - ٥٥٣ .	مراكش (عاصمة الموحدين)	كان وزيراً لعبد المؤمن بن علي، ونهض بأعباء الوزارة، ثم توجّها للأندلس فوجد حساده السبيل إلى التدبير عليه، حتى أوغروا صدر الخليفة عليه، وقيل بسبب أبيات شعرية قالها ضد الخليفة، وقيل بسبب سرٍّ أفضاه الخليفة إليه فأفشاه	أهلك في سجنه على يد سجّانه	عبد المؤمن بن علي الموحدي	إعتاب ٢٢٥ المعجب ٢٦٧ الإحاطة ١/٢٧٦ النفح ٥/١٨٣
٣٩	القلعي ، أبو عبد الله محمد بن رشيق		دار الأشراف (اشبيلية)	بسبب بقاء مال عليه، بلغ اثني عشر ألف دينار من مال السلطان، أفسدها في لذات نفسه.			المغرب ٢/١٨٠ النفح ٣/٥٣٠
٤٠	أبو مروان ، مؤمن ابن سعيد بن ابراهيم .	ت ٢٦٧ .	قرطبة	السبب الحقيقي كان لأبيات شعرية هجا فيها الوزير هاشم بن عبد العزيز ،أثناء أسره عند ابن الجليقي، فلما تخلّص هاشم من الأسر سعى به عند الأمير محمد ، وكان مؤمن كثير الهجاء والتهكم، فأوقعه بسهولة.	مات كمداً و يأساً في سجنه ، بعد أن هرب السجناء من السجن فبقي فيه متأملاً أن يخلصه هاشم، ولم يفعل.	هاشم بن عبد العزيز	اليتيمية ٢/٢٣ الجذوة ٥٦٣ رقم ٨٢٦ المغرب ١/١٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	اسم الشاعر	زمنه	مكان السجن	أسباب السجن	إطلاقه أم موته في السجن	المتسبب في سجنه	مصادر ترجمته
٤١	المُصحفي ، أبو الحسن ، جعفر بن عثمان	ت ٣٧٢ .	مطبق الزهراء	انتقام المنصور بن أبي عامر منه لما وصل إلى الحكم ، وكان المصحفي وزيرا للحكم، فلما تولى المنصور حجابة ولده المؤيد ، ووصل إلى الحكم نكبه سنين طويلة .	هلك في سجنه (قيل مات مسموماً و قيل مخنوقاً) .	المنصور	الجذوة ٢٥٧ الذخيرة ق٤ج١ ص٣٦ البيان ٥٦٥/٢ المطمح ١٥٦ النفح ٣٧٩/١ و ١٣٢/٢
٤٢	المعتمد ، أبو القاسم ، محمد بن عباد بن محمد .	٤٣١ – ٤٨٨ .	سجن أغمات	خلع أمير المرابطين يوسف بن تاشفين ملوك الطوائف الأندلسيين، ومن ضمنهم المعتمد سنة ٤٨٤، لتوحيد الأندلس، واقتاده معه أسيراً إلى المغرب .	مات في سجنه.	يوسف بن تاشفين.	الذخيرة ق٢ م١ ص ٦٠ القلائد ٣٥/٤ الوافي ١٨٣/٣ أعمال الأعلام ١٥٩ و١٨٣
٤٣	الوادي آشي، أبو الحسن بن نزار		سجن مرسية.	كان من أعيان وادي آش حسده أهل بلده، ولما خطبوا لابن مردنيش (ملك شرق الأندلس)، أنهوا إليه أبياتا تتضمن أطماعه في الحكم، فأرسل من قبض عليه...	تخلّص من سجنه بموشحة صنعها و علّمها لجارية، وأوصاها أنه متى ظفرت بابن مردنيش سعيد أغنته إياها، ففعلت وأطلقه.	محمد بن مردنيش	النفح ٤٩٢/٣
٤٤	الوادي آشي ، أبو محمد ، عبد الله بن عُذرة		طليطلة	أسر في بعض حروب المسلمين والإفرنج .		الأسر	المغرب ١٤٢/٢ النفح ٥٠٦/٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	اسم الشاعر	زمنه	مكان السجن	أسباب السجن	إطلاق أم موته في السجن	التسبب في سجنه	مصادر ترجمته
٤٥	البابُري، أبو بكر، عيسى بن الوكيل	زمن المرابطين	سَـــلاَ	كان عاملا في غرناطة زمن الدولة المتونية، وانكسر عليه مبلغ عشرة آلاف دينار، فسأشخص منكوبا إلى مراكش.	طلق سراحه وعاد إلى غرناطة. وأدى ما كان عليه من مال.	انكسار الأموال عليه	إعتاب ٢٢٤ المغرب ٢٣٥/٢ صفة جزيرة الأندلس ١٩٧

١- ابن الأبار، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله القضاعي:

قال يمدح أبا زكريا ويستعطفه:(١)

أسْـرف الدّهْرُ فَـهَـلا قَـصَـدا ... مـا عليـه لوْ شَـفى برْحَ الصـدّى
يَنْقـضي يومي كـأمسي خيبـةً ... أبداً أقْـرَع باباً مُـوصَـدا
طـال قَـدْحي لأمَـانٍ أخْلَفتْ ... وعـنـاءٌ قَـدْحُ زَنْـد صَـلَـدا
آه منهـا نبـوةٌ مـذ سَـدِكتْ ... لمْ تُلبِّثْ نافِـقـاً أن كَـسَـدا
عَـوْدُ حَـالاتي مناف بدءَهَا ... ليتَ شعـري مـا عـدا عـمـا بدا؟
سَـرْمَـداً أحـمل خطْبـاً آدَنِي ... وبخطبي الإدُّ فـيـه سَـمَـدا
كمْ تمنّيتُ الرّدى في عـيـشـة ... ضَـرَباً صَـارَ لهـا صُلب الرّدى
لا أوَدُّ العُـمْـرَ ألْقـاه إذا ... عـزّ فـيـه مـا يُقـيم الأوَدا
حَـسـبْيَ الله لِشَـتّى نُوَب ... ليْس يُحْـصـيـهـا حـسـابٌ أبَداً
قَـدْ خَلَعْتُ الصَـبْـرَ في أثْنائهـا ... فَـرْطَ جَـهْـدٍ ولبـستُ الكمَـدا
هذه، مِـمّـا أعـاني، كَـبَـدي ... تـتـلـظّى وتـشـظّ كـبـدا
أنا جَـارُ البَـحْـر إلاّ أنّ لي ... مِنْهُ في حـال الوُرود الثّـمـدا
وعـلى ذلك يا نـفْـسي فـلا ... تَيْـأسي إنّ مَعَ اليَـوم غَـدا
للإمـام المُرتضَى مِـمّـا مـضى ... خلَفٌ يُوليكَ عـيـشـاً رَغـدا
ومـتى عُـدْت إلى اسـتـعطافـه ... تجـدِ العَـوْدَ إليْـه أحْـمـدا
مَلِكٌ بالقُـرْب مِن سُـدّتـه ... يُحـرز المَرء العُلى والسـؤددا
مِـثْـلَمـاً أحْـرَزَ عَنْ آبائـه ... الأمَـراءالراشِـدين الرُّشّـدَا
قَـسَـم الدّهرَ لِصَـوْلَ يُتّـقى ... لِـطَـول بـيـنَ بَـأسٍ ونَـدَى
كَـيْـفَ لا تُغْنَى أياديـه بِنَـا ... وهـو أعْلى النّاس عَـيْـناً ويدا
إنّمـا دَوْلَـةُ يَحْـيَى رَحْـمَـةٌ ... للبـرايا وحـيـاةٌ لِلْهُـدَى
سَـدَّ مـا هدّ الشـأي سلطانُه ... فَـتـأمّلْ هلْ تَرى شـيـئـاً سُـدى
أوَ لـمْ يسكن بـه مَـا شَـرَدَا ... أوَ لـمْ يصْلحْ بِـه مـا فَـسـدا
نشـر الدعـوة لمّا هَمـدتْ ... وَأقـام الحَق لَمّـا قَـعَـدا
بَـيّـنَاتٌ فـيـه آياتُ العُلَى ... رَاحَ مُـرتَـاحـاً لحُـسنَى وَغَـدا
مِنْ عَـدِيٍّ في ذُرَاها وكَـفَى ... أنْ قـرّت بمزاياها العِـدى
عَـبّـد النّهْجَ فـألْقَى طَيِّـعـاً ... بِيَـديْـه كُـلُّ طـاغٍ عَـنِـدا
سـيـراً صَـيّـرْنَ أمـلاكَ الدنى ... حين عـزّ الدّين فـيـهـا أعـبُـدا

١- ديوان ابن الأبار، ص ١٥٩-١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دُونَهُ يَعْرُضُهم ديوانهُمُ ... مُصْدراً يعْتامُه أوْ مُوردا
فَلِماذا عظَّموا «مُعتصماً» ... وبماذا فضّلوا «مُعتضدا»
أوْضَحَ الفرْق به مَن شاوه ... شَاد عليْاء تُناصي الفرْقدا
فاتَهُمْ عِلْماً إلى حِلْم، ومَنْ ... جَمَعَ الأشتاتَ كان المُفْرَدا
تَقْتَني الأعْرابُ مَا يُسمعُه ... من قواف سِرْن عنه شُرّدا
وله الفَضْلُ عَلى أمْلاكِها ... شَبَهاً صاغوا وصاغ العسْجدا
لا عَداهُ النصر والتأييد ما ... غَار في الآفاق نجْمٌ وبدا

وقال يستشفع بولي العهد الأمير محمد:(١)

مولاي دامتْ لك السُّعودُ ... أخطأتُ أخطأتُ لا أعودُ
مالي براحٌ ولا انتزاحٌ ... موتي في أرضكمْ خُلودُ
كُن لي شفيعاً إلى إمام ... ليس على فضله مَزيدُ
عادتُه العفو والموالي ... تعفو إذا أخطأت العبيدُ

وقال أيضاً:(٢)

مَن الملكُ المحَيَّا في الرُّواقِ ... ومَظْهَرُهُ على السَّبْع الطِّباقِ
تَعرَّ بكفّه القُضْبُ المَواضي ... وتَشْرَقْ باسْمه الدِّيَمُ البَواقي
وتَسْتَبِقُ السُّعودُ إلى رضَاهُ ... هَوَادِيَ بالبُروق وبالبُرَاقِ
إذا زَحَفَتْ كتَائبها نَهَاراً ... رأيْتَ الليلَ مَمْدُودَ الرِّوَاقِ
فَمِنْ أُسْد مُهَيّجَةٍ ضَوَارٍ ... عَلى جُرْدٍ مُطَهَّمَةٍ عِتَاقِ
كأنَّ الأرْضَ منْها في بحَارٍ ... زَوَخِرَ في ارْتجَاجٍ واصْطفَاقِ
تَمَوَّجُ بالمَضَارب والمَبَاني ... وتطْفَحُ بالمَذاكي والنِّياقِ
تكِلُّ الرّيحُ عَنْ أقْصى مَداها ... كَلالَ الهيف عَنْ حملِ النِّطَاقِ
تقُودُ الخيْل منْ غُرٍّ وبُهْمٍ ... ضَوامرَ للطِّراد وللسِّباقِ
جيَادٌ كالظِّبَاء العُفْرِ تَسْمو ... سَوالِفَ حيث لا مَرْقىً لِرَاقِ
وتُدرِكُ غائبَ الأشْياء عنْها ... بأسْمَاعٍ تُؤَلِّلُها رِقَاقِ
رَبيطةُ ربِّها والليْل دَاجٍ ... وعُصْرَةُ أهْلها والمَوْتُ ساقِ
تَمنَّى العَاصِفاتُ لها لَحَاقاً ... فَيَأبَى عِتْقُهُنَّ منَ اللَّحَاقِ
إذا طَلَعَت مُحلأةَ الهَوادِي ... عَدَلْنَ عنِ الحَدائقِ بالحِدَاقِ
ومِنْ سَهَكِ الحديدِ هنَاك طِيبٌ ... تُبَادِرُهُ المَعَاطِسُ بانْتِشَاقِ

١- ابن الأبار ، إعتاب ، ص٢٥٧ .
٢- ديوان ابن الأبار ، ص٣٨٩-٣٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتائبُ تخفقُ الرّايات فيها ... كما فرق الفؤادُ منْ الفراقِ
كأمثالِ الخمائلِ ناضراتٌ ... وقاها منْ جفوف المحلِ واقِ
بها غُررُ المواضي والمواذي ... ترقرقُ في انسيابٍ وانسياقِ
تحمّلت المنايا والأماني ... إلى فئتيَ خلافٍ واتّفاقِ
فأولاها بأندلسٍ تحامي ... وأخراها تحومُ على العراقِ
بأمرِ اللهِ قامَ المَلْكُ يحيى ... وقدْ قعدتْ به زُمَرُ النّفاقِ
فتلك عُرى الديانة في اشتداد ... وذاك سنى الهداية في انْتلاقِ
أميرٌ كُلّه علمٌ وحلمٌ ... وإحسانٌ وعدلٌ في اتّساقِ
فمنْ شيمٍ سعيدات المرامي ... ومنْ هممٍ بعيداتِ المراقي
تُقصّرُ عنْه أملاكُ البرايا ... وهيهاتَ الزُلالُ منَ الزعاقِ
تُطلُّ على الليالي وهي جونٌ ... طلاقتُهُ فتُوذنُ بانطلاقِ
قضى ألاّ يُشقّ لهُ غُبارٌ ... مُؤيّدُهُ على أهْلِ الشّقاقِ
عجبتُ لبيضه تصْدى مُتونًا ... كأنْ لمْ تُرْوَ بالعَلَقِ المُراقِ
ولاخُضبتْ بأفئدة غلاظٍ ... تسيلُ على مضاربها الرّقاقِ
أمين اللهِ واصلها فُتوحاً ... أجابتْ في ابْتداءٍ واسْتباقِ
ودُمْ للدّين وضّاحَ التّرقّي ... وللدُنيا مُحلاّةَ التّراقي
وشَمْلُ المؤمنين إلى اجْتماعٍ ... وشَمْلُ الكافرين إلى افْتراقِ
نَهضْتَ إلى مُلاقاةِ الأماني ... فبُشرى للأماني بالتّلاقي
وتأييدُ الإله عليكَ بادٍ ... وإحسانُ الإله إليكَ باقِ
فحلْ وسرْ على الظّفرِ المُواتي ... وأبْ واظعَنْ إلى النّصْرِ المُلاقي
مَننْتَ على الأقاصي والأداني ... وجُدْتَ مُنفّساً ضيقَ الخناقِ
وأجْزلتَ المواهبَ والأيادي ... وأتْرعتَ السّجالَ إلى العَراقي
أجبْتُ إلى الوَداعِ وقد دعاني ... على كَلفٍ برحٍ واشْتياقِ
ومَا دارُ الإمارَة بالتي لا ... أبيتُ لبَيْنها خضلَ المآقي
وقدْ وافيْتُها عبْداً صُراحاً ... فكَيْفَ أعيب مِلْكي بالإباقِ
لقدْ فدحَ العزاءُ فلم يُطِقْهُ ... رحيلٌ مَا أراهُ بالمُطاقِ
فإنْ رافقْتُ جسْماً في سَراحٍ ... فقد فارقْتُ قلْباً في وَثاقِ
بحَيْثُ البأسُ مهزوز العَوالي ... وحيْثُ الجُودُ معسولُ المَذاقِ
فإنّي أيْنَما وجّهْتُ شَرْقاً ... وغَرْباً في السّفين أو الرّفاقِ
بنعْمَتها اعتزازي واعْتزائي ... وخدْمَتها اعْتلائي واعْتلاقي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال يمدح أبا زكريا ويستشفع بولي عهده:(١)

بُشْراكَ نَصْرُ اللّه مُقْتَبلُ ... وَبرَا حَتَيْكَ السَّهْلُ وَالجَبَلُ
ولَكَ السَّعَادَةُ جَيْشُهَا لَجِبٌ ... كَالسَّيْلِ ضَاقَ بِمَدِّهِ السَّبُلُ
ضَمِنَ الفُتُوحَ وسَاعَدتْه عَلى ... إيصَالِهَا البُكُراتُ والأصُلُ
تَردُ الرَّسَائِلُ كُلَّ آونَةٍ ... قَد فَصَّلَتْ مَا تَحْمِلُ الرُّسُلُ
والْعَضْبُ لم يَعْلَقْ بِهِ عَلَقٌ ... حَيْثُ العَوَاملُ مَا لَهَا عَمَلُ
هذي المَمَالكُ والمُلُوك مَعاً ... لَكَ قَاعِداً وَمُجَاهداً نَقَلُ
رَفِّهْ جُنُودَكَ أو بُنُودَكَ عَنْ ... غَزْوِ العُداةِ لأمِّهَا الهَبَلُ
فَرِقَابُهُمْ مِنْ ذِلَّةٍ خُضُعٌ ... وَصِعَابُهُمْ مِنْ خِيفَةٍ ذُلُل
اللّه حَسْبُكَ في احْتِسَابِكَ لا ... بِيضٌ تَسِيلُ دَماً ولا أُسُلُ
لِمَ نَشْكُ لِلرُّحُلِ الطَّوَالِ أذىً ... حَتى شَكَتْكَ الخَيْلُ والأبِلُ
ولَئِنْ عَلَتْكَ مِنَ الضَّنى سِمَةٌ ... فَالمَشْرَفِيُّ يَزِينُهُ الفَلَلُ
بِشِفَائِكَ المَيمُونُ مَطْلَعُهُ ... نَكَصَتْ عَلى أعْقَابِهَا العِلَلُ
وانْهَلَّتِ الأنْوَاءُ مِن طَرَبٍ ... فَتَسَاوَقَ الإبْلالُ والبَلَلُ
بَعْضَ اقْتِحَامِكَ هَوْلَها قُحَماً ... بالخَافِقِينِ لِصَدْمِهَا وَهَلُ
كُلٌّ عَلى التَّوْكِيدِ قَوْلَتُهُ ... مَقْصُورَةً مَا أعْوَزَ البَدَلُ
يا صَارِمَ الإيمانِ لاَ حَجَبتْ ... حَدَّيْكَ عَنْ أبْصَارِنَا الخَلَلُ
الأزْرُ مَشْدُودٌ فَلا وَهَنٌ ... وَالثَّغْرُ مَسْدُودٌ فَلاَ خَلَلُ
هِيَ دَوْلَةٌ عُمَرِيَّةٌ سِيَراً ... خَضَعَتْ لِعِزَّةِ أمْرِهَا الدُّوَلُ
يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ أبي ... حَفْصٍ لَهَا دُونَ الوَرَى أمَلُ
مَا قَرَّ في سُلْطَانِهِ جَعَلَتْ ... حَالُ العُدى ظُبَاه تَنْتَقِلُ
أبداً يُفَرِّغُ لِلْهُدى نَظَراً ... لأُلي الضَّلالِ بِحُكْمِهِ شُغُلُ
مَلِكٌ أبَى الخَيَلاءَ مِنْ كَرَمٍ ... وتُقىً، وأمْلاكُ الدُّنى خَوَلُ
ونُقَبِّلُ الأفْوَاهُ أخْمَصَهُ ... خَدَماً لَه، سَدِكَتْ به القُبَلُ
شَمسُ النَّهَارِ لِوَجْهِهِ قَبَسٌ ... مِثْلُ البِحَارِ لِكَفِّهِ وَشَلُ
مَنْ حَثَّتِ التَّقْوَى لِطَاعَتِهِ ... لم يَعْقُبِ اسْتِعْجَالَهُ زَلَلُ
حَوْلُ الإلاهِ يَحُفُّ حَضْرَتَهُ ... مَا إنْ لَه عن ظِلِّهَا حِوَلُ
صِيتٌ بَعِيدٌ وَهْوَ مُقْتَرِبٌ ... فَكَأنَّهُ في سَيْرِهِ مَثَلُ
رَاقَ الرِّيَاحَ بِذِكْرِهِ فَإذا ... نَشَرَتْ مَحَاسِنَه انْطَوَى العَزَلُ
وَتَوَلَّتِ الدُّنْيَا لأوْبَتِهِ ... والدِّينُ، مَا والاهُمَا الجَذَلُ

١- ديوان ابن الأبار ، ص٢٤٠-٢٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأبي ارتياحُ العالمينَ لها ... ولراحةٍ أودت بها الغُيُلُ
وصَفوا الغُصونَ تميلُ ناعمةً ... للريحِ ناسمةً وتعتدلُ
وصَفوا ضمائرَ عنْ مقاولَ في ... تخليده تدعو وتبتهلُ
نُعمى جلَتْ منْ حُسنها بدعاً ... نعمتْ بها الأسماعُ والمُقَلُ
ولو استطاعتْ منْ صَبابتها ... سارتْ إليه بأسرها الحِلَلُ
ساوى الجهادُ الحيَّ فيه هوىً ... منْ عُرفه أنْ يُنكرَ العذلُ
يا حاديَ الخلفاء معذرةً ... إنَّ الأيادي ما بها قبلُ
وعسى قبولُكَ أنْ تجودَ به ... حلياً لحالٍ شانها العطلُ
أملي إلى عليّاكَ منقطعٌ ... وتوسُّلي لرضاك متَّصلُ
أكلُ اختياريَ لاختيارك لي ... وعلى وليِّ العهد أتَّكلُ
حسبي الأميرُ محمَّد سنَداً ... بجلاله يُستدفعُ الجَلَلُ
بدرٌ سَنىً، بحرٌ ندىً غدقاً ... روضُ العُلى خضرٌ به خضلُ
تمحوُ لهاهُ الأزلَ هاملةً ... لا زالَ مرعياً به الهَتَلُ

وقال:(١)

لمُبشّري برضاك أن يتحكَّما ... لا المالَ أستثني عليه ولا الدَّما
تاللّه لا غُبنَ امرؤٌ يبتاعُهُ ... بحياته فوجودهُ أن يعدما
أيُّ المعاذر أرتضي الجناية ... عَظُمتْ ولكن ظلَّ عفوكَ أعظما
ندمي عَلَى ما ندَّ مني دائمٌ ... وعلامةُ الأوّاب أنْ يتندَّما
يا طولَ بُؤسي مُبسَلاً بجريرتي ... إنْ لم تُجزني بالتجاوز مُنْهما
مولايَ رُحماكَ التي عوَّدتَني ... إني اعتمدتُكَ خاضعاً مُسترحما
فأحقُّ مَنْ تُولي الإقالةَ عاثرٌ ... لم يستحبَّ عَلَى الهُدى قطُّ المِمى
أقصاه عنكَ تزلُّفٌ بخطيئةٍ ... خال الصوابَ خلالها وتوهّما
ولقد تحفَّظَ في المقالة جُهدَه ... لكنّه نُمي الحديثُ ونُمنما
مولاي عبدُك ما له من مَعْدِلٍ ... عن دارِ عَدْلِكَ مُنْذُ حلَّ وخيَّما
لو أنّه يجدُ الحياةَ كريمةً ... في غيرها لرأي المنيَّةَ أكرما
إنْ ينتزحْ عناديكَ عنه يقتربْ ... منه وإنْ لا تحْمِه يَلِجِ الحِمى
مُتهافتاً مُترامياً متطارحاً ... مُتوصّلاً مُتوسّلاً متحرِّما
قد علّمته تجنّبَ الجهلِ العُلا ... يكفيه أنْ قوَّمْتَهُ فتقوَّما
هيهاتَ يصْحو أو يُواقع سلوةً ... من لم يزلْ برضاك مُغرى مُغرما
أهْونْ بما لا قاه من هُونٍ إذا ... لاقاكَ مرتاحاً له مُتبسّما

١- ابن الأبار ،إعتاب ، ص٢٥٦-٢٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجئنا يُقبّلُ قبلَ راحتِكَ الثرى ... غرداً بما أوليتَه مُترنِّما
بمتابةٍ رسخَ الهُدى أثناءَها ... علَماً وقامَ الحقُّ فيها مُهْلَما

وقال :(١)

أسلِّم للمقدورِ ثُمَّ أسلِّمُ ... ويظعَنُ جُثماني وقلبي مُخيِّمُ
تجاذبَهُ أمرانِ مُرّان، فاعجَبا ... غرامٌ صُراحٌ واعتزامٌ مُصمِّمُ
بعيشكُما لا تثقلاهُ ملامةً ... فما خفَّ حتّى طالَ منه تلوُّمُ
ولا تُوئساهُ من نجاحِ رجائه ... فللدَّهرِ في عُقبى العبوسِ تبسُّمُ
وإنَّ لهُ بالناصريَّةِ ناصراً ... يفُلُّ خميسَ البؤسِ وهو عرمرمُ
وتمضي، كما تمضي السُّيوفُ، سُيوبُهُ ... فتنكُلُ عنه النائباتُ وتُحجِمُ
برغمي أزمعتُ المسيرَ عنِ العُلى ... وصرفُ الليالي للمُحبِّين مُرغِمُ
فما حسَدَ التبريحَ إلاّ تلهُّفٌ ... ولا غبطَ التوديعَ إلاّ تندُّمُ
دعاني لترحالي اضطرارٌ ولم يزَلْ ... يُحلِّلُ ما أضحى على المرءِ يحرُمُ
ولولا أُطَيفالٌ طواهُمْ طواهُمُ ... فأعظَمُ ما يبقى جُلودٌ وأعظُمُ
أسا في الأسى (عادتهم والدتهم) ... فما منهُمُ إلاّ يتيمٌ وأيِّمُ
همُ زبَداً همّي فليلي الليلُ ... بمعجزتي عنهُمْ ويومي أيومُ
جوانحُهمْ تذكو لهيباً وتلتظي ... وأعيُنُهم تهمي نجيعاً وتسجُمُ
تخالُهُمُ في شجوهِم وانتحابِهِمْ ... حمائماً على أفنانها تترنَّمُ
وزجَّيتُ أيامي وزجَّيتُ فُرجةً ... ولمّا يسِرْ مُسرىً برحلي ومُلجَمُ
كفاني الرّضى والإذنُ زاداً لطيَّتي ... هفما لي مغنىً حيثُ كُنتُ ومَغنَمُ
وكَمْ رُمتُ في دارِ الخلافةِ - أُيِّدتْ- ... قراراً فأعيا، والمواهبُ أسهُمُ
وكَمْ لُحتُ مصدوداً يُلوِّحُني الصَّدى ... وبحرُ نداها مُزبِدُ الموجِ خضرمُ
فإنْ أنَ لي من بعدُ فيها تأخُّرٌ ... فقدْ كانَ لي من قبلُ فيها تقدُّمُ
على أنَّني منها إليها تنقُّلي ... ليُفرَجَ بابٌ في التكسُّبِ مُبهَمُ
أليسَ ولِيُّ العهدِ قبلَتي التي ... أوجِّهُ وجهي نحوَها وأيمِّمُ
عسى لانتقالِ الحالِ نادَ تُنيِ المُنى ... فلا مريَةٌ أنّي مُنادىً مُرخَّمُ
وحسبي به أنْ ينعَمَ الملكُ الرِّضى ... وما زلتُ في شتّى أياديه أنعَمُ
خطابٌ من الخطبِ الجليلِ مُؤمَّن ... وطِرسٌ على الرأيِ الجميلِ مُترجِمُ
إمامَ الهُدى عطفاً ورُحمى ورِقَّةً ... فشأنُ الموالي أنْ يرِقّوا ويرحَموا
وفي موردي كانَ التفاتُك واصلي ... أفي مصدري حاشاه حاشاه يصرِمُ
وقدْ حكَمَ المجدُ المؤثَّلُ والعُلى ... بأنَّ الذي يرجو نداكَ مُحكَّمُ

١- ديوان ابن الأبار ، ص٢٥٨-٢٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقيني، هُوَ المَأمُولُ، فيكَ مُحَقَّقٌ ... وفي سَائرِ الأمْلاكِ ظَنٌّ مُرَجَّمُ
ويا أيُّها المَوْلَى عَلَيْكَ تَحِيَّةٌ ... مؤبَّدَةٌ عن طِيبِها الرَّوْضُ يَنْسَمُ
بَقيتَ تَرى البُقْيا وكُلُّ مِنَ الوَرَى ... بِشُكْرِكَ مُغْرىً أو بِحُبِّكَ مُغْرَمُ

وقال : (١)

كَفَاني الحَرُّ مُنْتَجَعُ الغَمَامِ ... فَشُكْراً ثُمَّ شُكْراً لِلإمَامِ
أيَادٍ مَا أعَمَّتْ في ازْدِيادٍ ... كما انْتَثَرَ الفَريدُ مِنَ النِّظامِ
كَأنَّ أريجَهَا زَهْرُ الروابِي ... يُمَزِّقُ ضَاحِكاً جَيْبَ الكِمَامِ
كَأنَّ حَدِيثَهَا شَدْوُ الغَوانِي ... مُطَارَحَةً أغَارِيدَ الحَمَامِ
هَزَزْتُ لَهَا مَعَاطِفِي ارْتِيَاحاً ... كَمَا طَرِبَ النزيفُ مِنَ المُدامِ
وبِتُّ لِدَرِّهَا كَهْلاً رَضِيعاً ... وَلَكِنْ آمِناً عُقْبَى الفِطَامِ
فَمَنْقُودٌ مِنَ الإعْطَاءِ هَامٍ ... ومَوْعُودٌ مِنَ الإحْظَاءِ نَامِ
وكَائِنْ مِنْ يَدٍ بَيْضَاءَ فِيمَا ... أؤمِّلُ من سَلامٍ واسْتِسْلامِ
جَدِيرٌ أنْ يَجُودَ بِكُلِّ حُسْنَى ... وإحْسَانٍ مَقَامٌ كَالمَقَامِ
يُرَاعُ الدَّهْرُ مِن أيْدي لأنِّي ... بِفَيْضٍ لُهَاهُ فِي جَيْشٌ لُهَامِ
أليْسَتْ شِكَّتِي، لاَ شَكَّ، مِنْهَا ... مِجَنِّي أوْ سِنَانِي أوْ حُسَامِي
فَلَوْ رُمْتُ الكواكِبَ ظَهَّرَتْنِي ... سَعَادَتُهُ عَلَى نَيْلِ المَرامِ
ومَنْ خَدَمَ الخَلِيفَةَ فاللَّيالي ... خَوادِمُه إلى غَيْرِ انْصرامِ
إمامُ هُدىً أبَى غَيْرَ افْتِتَاحٍ ... بِإرْدَاءِ الضَّلالَةِ واخْتِتَامِ
بِمَطْلَعِهِ تَجلَّتْ كُلُّ جُلَّى ... كَنُورِ الصُّبْحِ يَذْهَبُ بالظَّلامِ
وأعظَمُ مَا تُشَاهِدُهُ مَنَاباً ... إذَا مَا قَامَ بالنَّوبِ العِظَامِ
تُسَامُ بِهِ الأعَادِي كُلُّ خَسْفٍ ... ولَيْثُ الغِيلِ مُفْتَالُ السِّوامِ
كَأنَّ بَنِي أبِي حَفْصٍ نُجُومٌ ... ويَحْيَى المُرْتَضَى بَدْرُ التَّمامِ
إذا (عَقَدَ) الحُبَى في مُنْتَدَاهُ ... فَمَا الشَّمُّ الهَوادِجُ مِنْ شَآمِ
وإنْ وُكِلَ الحِبَاءُ إلى نَدَاهُ ... فَمَا البَحْرَانِ عَبَّا في التِطامِ
تُقَصِّرُ عَنْهُ أمْلاكُ البَرَايَا ... وعُودُ النَّبْعِ لَيْسَ مِنَ الثُّمامِ
لأنْفُسِهِمْ بِغَايَتِهِ غَرامٌ ... وأنْفُسُهُمْ لَوَاصِقُ بالرِّغَامِ
أمُولانا أقِمْ عُذْرَ القَوافي ... إلَيْكَ وإنْ جَلَتْ حُرُّ الكَلامِ

* * * *

١- ديوان ابن الأبار ، ص.٢٦٠-٢٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- ابن الأحمر، أبو الحجاج، يوسف بن يوسف بن محمد الغني بالله

قال:(١)

ألا من قلبٍ لايبلُ عليلهُ ... تجاذبَهُ نحو الهموم الجواذبُ
سألزم جَدَّ الصبر في كل حادثٍ ... على أنَّ صَرْفَ الدهرِ بالحرِّ لاعبُ
نفسي على الدهر المسيء جليدةٌ ... ومجدي عن الدنيا الدنيّة راغبُ
على أنَّ قلبي للخطوب دريئةٌ ... تناضله منها سهامٌ صوائبُ
رويدك مجدي لستُ أولُ من كبا ... به الدهرُ، إنَّ الدهر بالمرءِ ناكبُ
كذا الدهرُ لا تجزعْ فُديت من الرُّدَى ... إنَّ الورى مسلوبُ عزٍّ وسالبُ

قال:(٢)

لقد خاض لجَّ الحب مني فتى غرٌّ ... وشِبْتُ فَشَبَّتْ في ضلوعي له جمرُ
وقد كان لي عذر إذ الفَوْدُ فاحمٌ ... فما لي وقد لاح المشيب به عُذرُ
وما شبتُ من سنٍّ ولكن أشابني ... صُروف زمان سوف يُلفى به الجبرُ
وإن زماناً قد أحال شبيبتي ... لأجدَرُ أن يعزى إلى فعله الغدْرُ
دع الدهر والأيام وارْقَ تكسباً ... لِنيل معال عندها يُرفع القدرُ
سأثني عناني المعالي فإنني ... لِيَ الصيتُ في الأملاك والمحتد الحر
عجبتُ من الأيام تمنع مَقصدي ... ومن دون ما تبغيه مني هوى النسر
ألستُ سليلَ الصِّيدِ من آل حِمير ... وخير ملوك الأرض قوماً ولا فخر
لنا المنصب الأعلى على كل منصب ... لنا العزة القعساء والغرَر الغرّ
لنا الهضبة الشماء سامية الذرى ... لنا الراية الحمراء يهفو ها النصر
لنا الملك والتمليك والعز والعلى ... لنا الجبر والأعدام والنفع والضر
مكارم أعيت كلَّ من رامَ حَصرها ... وهيهات ما للشهب في أفقها حَصر
على أن هذا الدهر ما زال حاسداً ... كما قد علمتم مَن له الصيت والذكر
لذاك رماني بالبعاد سفاهةٍ ... ولكنّ لا يبقى على حالةٍ دهرّ
فما طال ليل يُبصَرُ الصبحُ إثرَه ... ولا... ربع بعدهَ يهمل القطرُ
ألا إنَ لي قلباً يحنُّ لموطني ... فياليتني لو صدّق الخبرَ الخبرُ
وكنتُ امرأً أهوى الحسانَ وطالما ... سَبَتْني به الهيفاء والكاعبُ البِكْرُ
وكم أسعفتْ بالجود مني مقاصدٌ ... وقد كف معتر وأمّنَ مضطر
كذلك دَأبي مُذ طَمحت إلى العلى ... وأغنتْ عن المهد المحجلةُ الغر

١- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، ص ١٩٤ - ١٩٥.
٢- ديوان ملك غرناطة ، ص ٦٢ - ٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولولا خيالٌ من أمامة طارقٌ ... لما كنت أدري ما التواصل والهجر
عقيلةُ خدر من ذؤابة غالبٍ ... لها النجمُ شفٌ والجبينُ هو البدر
إذا لاح في الليل البَهيم جبينها ... تقلص ظل الليل وانفجر الفجرُ
هي الشمس وجهاً والقضيب تأوُّداً ... وريمُ الفلا جيداً ونفحتها الزَّهر
فيحمى حماها كلُّ أبيض ناصع ... وتمنعُ عنها البيضُ والأسَلُ السمر
لقد بَخلتْ حتى بطيف خَيالها ... فلا وَصْل لي إلا التوَهمُ والفكر
ويا مُسرفاً في عذله حَسبك اتئد ... ورقَّ لذي وجْد يَلينُ له الصخر
أتعذلُ نضواً لا يصيحُ لِعاذلٍ ... سِوىَ عنده التأنيب والنهى والأمر
تملكه مَن كان يملك رقَّه ... فيا عجباً للأسدِ تملكها العفر
غزالة إنس من مراتعها الحشا ... وشمسُ صباح من مظالمها الصدر
تتيهُ على الأغصان زهواً بقدها ... وقد كَلَّ عن حملٍ لأردافها الخصر
تصدُّ عن الغر الشنيب تعزُّزاً ... مُرابطُ ثغر قصدهُ لك الثغر
أليس بمأجور مُرابطُ ثغره ... فهل لي يوماً من مراشفها أجر
فمنه كما شاءت صفاتُ جمالها ... لنا الصدر والإخلاف والنائل النزر
فهلا اقتديت يا أمامةُ بالذي ... يرى العهد عهداً فالوفاء هو الذّخْر
إني وإن كنتُ الممجدُ أسرةً ... وإن كان أهل الأمر، لي فوقهم أمر
أميلُ إلى طيف يؤنسُ وحشتي ... كما أنس المضي كتابٌ له خَطر
كتاب أتاني من حبيب على النوى ... تُجانسه طيباً مراشفك الخمر
فسكِّن بلبالي وأذهب غُلتي ... وبرد أحشائي وكان بها جَمر
وما كان طِرْساً بل رياض محاسن ... معانيه أزهارٌ كمائمها الحبر

قال:(١)

أأرضى بشكواك الزمان وأهله ... ولستُ بذي نابٍ يصُول وأظفارِ
وهدَّت صروف الدهر شامخَ عزَّتي ... وقلَّتْ حُماتي عند ذاك وأنصاري
فلا يوسفٌ يُرجى وليس محمد ... يُدافع ضَيمي أن دُعيت بإجهار
ولوكنتَ تدعوني قُبيل فراقهم ... لجالت عناجيحُ تخبُّ بمغوار
نَدُوس بها هاماً علينا أعزَّة ... ولكنّها ذلت بدَرْكى أوتاري
فنحن أناس ليس فينا توَسّط ... فإمّا لهلك أو لرفعة مقدار

قال:(٢)

من ذا يعاملني الخمول بجاهي ... من يشتري شرفي ببعض كفاف
مالي على هذي الخلائق قدرةٌ ... إلا بما عودت من ألطاف

١- ديوان ملك غرناطة ، ص ٦٢
٢- ديوان ملك غرناطة ، ص ١٤٣ - ١٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مولاي حسبي ما طوته جوانحي ... وضمير سري ليس عنك بخاف
ذهب الوفاء مع الأمانة مذ قضى ... أخيار قومي السادة الأشراف
هل عالم أو شاهد أو حاكم ... يأتي الذي نرضاه دون خلاف
قد أشربوا حبَّ الحياة فيهم لها ... يسعون للإسلام بالإتلاف
كم أسهروا الجفن القريح بفعلهم ... كم أرسلوا من دمعي الوكاف
ما منهم من أرتضيه لخطة ... إلا وقابلني بفعل جاف
وأها لهم تركوا الإنابة جانباً ... وإن أنصفوا يأبوا عن الأنصاف
جاهدت جهدي في سبيل صلاحهم ... ورضيت منهم بالمطيع الواف
لم يلهني عنهم محاسن منزل ... وجميل روض رائع الأوصاف
طارحت شجوى للهديل عشية ... حتى أنثنى عطفي بغير سُلاف
ودعوت مولى عالماً بسريرتي ... وما أعامل خلقه وأكافي
ما قلبت عيني زواهر مظهر ... إلا ودنت لمضجعي يتجاف
رحماك مالي غير بابك ملجًا ... أنت الكفيل لنا ونعم الكافي

وقال : (١)

أبعدونا تغلباً أبعدونا ... طردونا عن ملكهم طردُونا
تركونا لما ركنا إليهم ... ضحوة الركن جهرة تركونا
سلبونا بعضَ الذي قد منحنا ... من عَطايا جزيلة سلبونا
خلفونا بعد اليمين جهاراً ... ويحهم ما لهم لما خلفونا
حيث عدنا والعود أحمد لكن ... أن أساؤا فإننا محسنوناً

وقال : (٢)

يا غافلاً غرَّه ما جره الزمن ... هُديتَ إنّ الليالي كلها محن
لا تغترِرْ بسرورٍ زائلٍ فله ... بعد السرور إذا دبرته حزن
كم قد أهان عزيزاً بعد عزته ... وكم أعزَّ ذليلاً وهو مُمْتَهَن
أفشينَّ أموراً كنت أكتمها ... فقد تساوى لديَّ السرُّ والعلن
أرى الحوادث لا تنفك تطلبني ... حتى كأني بصرف الدهر مُرْتَهَن
ليت التي عيَّرتْني بالزمان غدتْ ... مثلي. فتعلم ما قد أورث الزمن
جهلتِ ما كنت قبل اليوم عارفة ... فأين شجوك قبل اليوم والشجن
هي الليالي فلا تيأس لشدّتها ... فكم رزايا عدتْ في طيِّها مهن

* * * *

١- ديوان ملك غرناطة ، ص ١٢٨.
٢- ديوان ملك غرناطة، ص ١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- أبو الأصبغ ، عيسى بن الحسن:

قال:(١)

ليت شعري كيف البلادُ وكيف الـ ... إنس والوحشُ والسما والماءُ
طال عهدي عن كل ذاك وليلي ... ونهاري في مقلتيَّ سواءُ
ليس حظي من البسيطة إلا ... قدرَ قبرٍ صبيحة أو مساءُ
وإذا ما جنحت فيه لأنسٍ ... أوحشتني بأنسها الأغبياءُ

قال:(٢)

وإنْ سمعَتْ أذناك للوُرْق رَنَّةً ... فحزني يبكيها وفرط تفجُّعي
وإنْ هطلتْ يوماً على الأرض مُزنَةٌ ... فلي سمحت بالدمع في كل مربعِ

* * * * * * *

٥- ابن باجُّة، أبو بكر، محمد بن يحيى الصائغ:

قال:(٣)

لعلك يا يزيدُ علمتَ حالي ... فتعلمَ أيَّ خَطْبٍ قد لقيتُ
وإني إن بقيتُ بمثل ما بي ... فمن عجب الليالي أن بقيتُ
يقول الشامتون سقاء بختٍ ... لَعَمْرُ الشامتين لقد شقيتُ
أعندهُمُ الأمانُ من الليالي ... وسالمهم بها الزمنُ المقيتُ
وما يدرون أنهم سَيُسْقَوْا ... على كره بكأسٍ قد سُقيتُ

* * * * * * *

١- المغرب ج ١ ،ص ٢١٢.
٢- الذخيرة، ق ٢ م١ ص ٣٧٧.
٣- النفح، ج٧ ص ٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- البَجّاني، أبو عبد الله، محمد بن مسعود

قال:(١)

غدوتُ في الجُبِّ خِدْناً لابن يعقوبِ ... وكنتُ أحسبُ هذا في التكاذيبِ
رأت عُداتي تعذيبي وما شعرتْ ... أنَّ الذي فعَلَتْه ضدُّ تعذبي
راموا بعادي عن الدنيا وزخرُفها ... فكان ذلك إدنائي وتقربي
لم يعلموا أنّ سجني لا أبا لهمُ ... قد كان غاية آمالي ومرغوبي
يا ابن الخلائف من مروانَ واحزني ... على ضياعك يا ابن الصبية الشِّيبِ
وفيك ما يتسلى العاشقون به ... من حسن خلقٍ ومن ظرف ومن طيب
بلى لقد فجعت نفسي لحتجبٍ ... قد كان من لحظ عيني غير محجوب
قد صيغ من فضةٍ بيضاءَ صافيةٍ ... ووشَّحَ الحسنُ خدَّيْهِ بتذهيب
والتفّ بالياسمين الغضِّ بينهما ... نضيرُ وردٍ بماء الحسن مهضوب
ما أقبح الصّبر عندي بعد فُرقته ... يا نفسُ ذوبي عليه هكذا ذوبي
يا غائباً قد أطالتْ كفُّ غيبته ... على لظى الشوق والأحزان تقليبي
تعجّبَ القطر من عينيَّ حين همَتْ ... منها الشآبيبُ في إثر الشآبيب
عندي استقرت جنودُ الكَرْب أجمعها ... فلستَ تسمعُ من بعدي بمكروب
سجنٌ وقيدٌ وأعداءٌ مُنيتُ بهم ... لا يسأمون مع الأيام تثريبي
في منزلٍ مثل ضيق القبر أوسعه ... دخلتُهُ فحسبتُ الأرضَ تهوي بي
يحنُّ عند مقاساة البلاء به ... قلبي إليك حنين الهيمِ والنّيبِ
ولو توسد أطباق الثرى جسدي ... ناداك قلبي بترجيعٍ وتثويب

قال:(٢)

دعوتُ لما عِيلَ صبري فهل ... يسمع دعواي المليكُ الحليمْ
مولاي مولاي ألا عطفةً ... تذهب عني بالعذاب الأليمْ
إن كنتُ أضمرتُ الذي زخرفوا ... عني فدعني للقدير الرحيمْ
فعنده نزاعة للشّوى ... وعنده الفردوس ذاتُ النعيمْ

١- الذخيرة، ق١، م١، ص ٥٦٣-٥٦٤، والأبيات الأول والثاني والرابع في المغرب، ج٢، ص ١٩١، والأبيات الأربعة الأولى في النفح، ج٣ ص ٣٨٨.
٢- النفح، ج٣ ص ٣٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال:(١)

ولي جليسٌ قربُهُ مني ... بُعدُ الأماني كلّها عني
قد قذيَتْ من لحْظِهِ مقلتي ... وقُرِّحتْ من لفظِهِ أذني
نادمني في السّجن مَنْ قربُهُ ... أشدُّ في السجن من السّجن
لو أنّ خلْقاً كان ضداً له ... زاد على يوسفَ في الحُسن
إذا اشتهى قطعيَ في حُجّة ... سلّط إبطهِ على ذهني
كأنّه يجلس من ذا وذا ... بين كنيفين من النتنِ

* * * * *

٧- البَسْطِيّ، عبد الكريم بن محمد القيسي:

قال مخاطباً الصديق المخلص أبا عبد الله بن رجاء من أبُرة وهو في حكم الأسر:(٢)

يا أفضلَ الإخوانِ يا ابنَ رجَاءِ ... غيري لغيرك بالإخاءِ يُرائي
ويشوبُه بنقائضٍ مذمومةٍ ... تُربي إذا تُحصَى على الحَصْباءِ
وأنا الذي أرعى جميعَ حقوقِهِ ... كرعايةِ الإعرابِ للأسماءِ
هذا على ما أنتَ تعلمُ أنني ... فيه من البأساءِ والضرّاءِ
فهَلَ أنْتَ مثلي في الإخاء ورَعْيِهِ ... أم للبِعادِ نسيتَ رَعْيَ إخائي
وغَفَلْتَ عن عهد التآنُسِ دائماً ... حتّى لدى الإصباح والإمساءِ
في منزلٍ حيّاهُ مُنْسَجِمُ الحيا ... وسقاه صوبَ الديمةِ الوطفاءِ
لم تَتّخذ فيه جليساً مؤنِساً ... غير العلوم وسيرةَ العلماءِ
فلَكَمْ فوائدَ عند ذلك نِلْتُها ... جلّت لكثرتِها عن الإحصاءِ
رقّتْ حواشيها وراقت منظراً ... ما مثْلُه للماء والصّهباءِ
ظفرتْ يدي من نَيْلِها بأجَلّ مِنْ ... ظَفَري بقرب الغادة الحسناء
فغدوتُ من أنوارها مُتَنَزِّهاً ... في الروضةِ المْنصُورة الغّناء
ومشارَبُ العيش الشهيِّ مباحةٌ ... وظلالُهُ الممدودة الأفْياءِ
والسّعدُ يرمُقُني بناظر طرفِه ... والنّحْسُ في سِنةٍ وفي إغفاءِ
حتّى انتهى الزمنُ المقدَّرُ كَتْبُه ... عند الإلاه مُقدِّرِ الأشياءِ
كَشَرَ الزمانُ بغدْره عن نابه ... كَشْرَ العجوز القاعد الشّمطاء
فأحلّ بي من خطْبِه ما لم أُخِلْ ... أنّي أراهُ نازلا بفنائي
فحصلتُ في الأسر الذي أدواؤُه ... لرهينةٍ من أعْظمِ الأدواءِ
أجني مذلّتَه وضيق قيودِه ... بعد اجتناء العزة القَعساءِ

١- الذخيرة، ق١، م١ ص ٥٦٥، والنفح، ج٣ ص ٣٨٩

٢- ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٩٧-٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما بين قوم كافرين تلوّنوا ... في كفرهمْ كتلوّن الحَرْبَاءِ
لا يرجون موحِّداً في أرضهم ... إن جاءَهم يشكو بخطبٍ عنَاءِ
ما إن أرى منهم سوى مَن قلْبُه ... من قَسْوَةٍ كالصخرة الصّمّاءِ
أصلُ الصباحَ مع المساءِ لديهمُ ... في الخدمة المعهودة الرعْياءِ
وأقوم منها بالذي هو واجبٌ ... من غير تفريط ولا استهزاءِ
مُتحرّيا إرضاءَهم لو أنهم ... يُبدون أنّي جئتُ بالإرضاءِ
حتّى ضعفتُ ورقّ جسمي بينهم ... وتغيّرتْ عن حالِها أعْضائي
وقرّحتْ منّي الجفونُ بدمْعِها ... وتقطعتْ بلهيبها أحشائي
وأكاد أخْفَى للنُّحولِ وللضّنى ... لولا أنيني حسرةً وبُكائي
ومنِ اغْتدى في الأسر مثلي مُوثَقاً ... فمِنَ الغرائب وصفُه ببقاءِ
وأمرٌّ ما ألقاه أني عاجزٌ ... عن أن أخُصّ فرائضي بأداءِ
فدعِ الحنين لوالدي ولقُربه ... ولأهل ودّي مثلك الأُثَرَاءِ
وكفى بشوقي للعلوم وكُتْبِهَا ... عبْءًا غَدَا مِنْ أثقلِ الأعباءِ
مع ما أعانيه بُبعْدِيَ دائماً ... عن بسطة المأنوسة الأرْجاءِ
حيث البطاح كأنهنّ صَحائفٌ ... رُقِمتْ بإبريز مِنَ الأضْواءِ
حيثُ الحدائق فُتّحَتْ أزهارُها ... عن وجنة المعشوقة العذراءِ
حيث الطيورُ ترنّمت في دوْحها ... فأتتْ بمثلِ ترنُّمِ الشّعراءِ
حيثُ النّسيم إذا سَرَى مالت به ... طَرَباً غصونُ البانة الميسَاءِ
حيث الجداولُ كالسّيوف إذا مضت ... موصوفةً أبداً بحسن صفاءِ
حيث الترابُ كأنّه من لؤلؤٍ ... متناثر أو فضّةٍ بيضاءِ
جلّ الذي أبْدَى عجائب صُنعِه ... فَبَدَتْ تُقَيِّدُ أعيُنَ النُّظَرَاءِ
وأتى بأصناف الوجود مُقِرّةً ... لجلاله بالخلق والإنشاءِ
فلسانُ حال جمادها في نطْقِه ... كمقالِ مَعْدُودٍ من الأحياءِ
وقضى على قوم بنعمةِ رحمة ... والآخرين بنقْمةٍ وبلاءِ
وأحلّني مَعَ من قضى ببلائه ... مِنْ خلقه في الرتبة العَلْيَاءِ
لأفوزَ في دار الكرامة والجزا ... بكرامةٍ عُظمَى وحسنِ جزاءِ
هذا مَعَ الصبّر الذي أدْعو به ... مَنْ لم يزل قِدْماً يُجيبُ دعائي
سبحانه سبحانه سبحانه ... عددَ الحصى دأباً وقطرِ الماءِ
ما في الوجود سواه أرجو فضلَه ... في أن يُبَدِّل شِدّتي برخاءِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويَحُل قيد الأسر عنّي عاجلاً ... مَعَ مَنْ بِآبُرةٍ من الأسَرَاءِ
فهو المفرِّجُ للكروب إذا دَهَتْ ... وبه انْجلاءُ نوائب الأسْواءِ

قال:(١)

إذا ضاقَ ذرعي باحتمال عنائي ... مددت إلى ربّي يدي بدعائي
فأدعو وأرجو أن يجيب تكرُّما ... وحاشا وكلا أن يخيب رجائي
ففي الذكر نصٌّ بالإجابة مُفْصِحٌ ... غَدَا شاهداً من أعدل الشهداء
فيا ربِّ يسَرْ كلَّ عسر قضيتَه ... عليّ وفرِّجْ كُربتي وبلائي
وجُدْ بجميلِ العفو عنّي تفضّلاً ... فعفوُكَ يا ربّي أجلُّ مُنائي
ولا تلتفتْ نحو الذنوب التي مضت ... فمنها بَلائي الآن أعظم دائي
فلَمْ آتِها جذلانَ يومَ أتيتُها ... وأنت بجهري عَالِمٌ وخفائي
وما كنتُ أرضاها لنفسي سجيّةً ... أعابُ بها في بُكرتي ومسائي
ولكنّما الشّيطانُ غَرَّ بكيدهِ ... فواقعتُ منها ما أطال بُكائي
وصيّرني بالزعم من مِلْك كافرٍ ... بآبرةٍ أضحى من العُظماءِ
يرى أكْلَهُ الخنزيرَ أفضلَ طَعْمه ... ويجعل شربَ الخمر أرفع ماءِ
ويحسبُ عيسى ابنَ الإله وأمَّه ... له زوجةً موصوفةً ببهاءِ
ويُنكرُ ما في جنّة الخُلْد مُودَعا ... لأهل التّقى من نعمَة وجزاء
ويكفر جَهْراً بالنبيّ محمّدٍ ... وشرعته البيضاء دون حياءِ
ويَهْزأ حتّى إنّه ليَقولَ لِي: ... بكمْ تُفتَدي منْ خِدمتي وولائي؟
فأسكتُ عنه والجوانحُ تنطوي ... على أعظم الأشجان والبُرَحاء
فيسألني حتّى أقولَ له: بِكَمْ ... تريد؟ ،ولا تسلكْ سبيل جفاء
فيطلبُ لي ألْفاً من الصُّفْر دائما ... وعشرين عِلْجاً في أقلّ فداءِ
وأُقسمُ أنّي لستُ أملك عُشْرَها ... وبعد غطَائي دائما ووطائي
فخطبي عظيم لو حُبيتُ بِفدْيةٍ ... لَصِرْتُ يسيرَ الخطبِ في الأسراءِ
وأعظَمُ ما أخشى وأحذر خطبَه ... دوامي أسيراً عندَه وبقائي

١- ديوانه، ص ١١٠-١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال أيضاً يخاطب الشيخ الأستاذ أبا عبد الله البيَّاني مادحاً له:(١)

سَلُوا مَنْ بها أسلُو لِمَ اختارتِ الصَّدَّا ... ولَمْ تَرْعَ لي العَهْدَ القديمَ ولا الودَّا
لعلَّ لديْها إذْ تُجاوِبُ حُجَّةً ... تُبرِّدُ منْ قلبي بها الشوقَ والوَجْدَا
فإنَّ قلبي مِنْ ترادُفِ صدِّها ... لهيباً يَفوق النّارَ قد وُقِدتْ وَقْدَا
وقد كنتُ منها بالتقرُّب آنساً ... فصرتُ فقيدَ الأنس مُذ رامتِ البُعْدا
ولا ذنبَ لي إلاّ اشتهاري بحبِّها ... وكونِيَ مِنْ بين الأنام لها عَبْداً

وقال:(٢)

يا قاضِياً في حُكمِهِ يَعْدلُ ... وغيرُهُ في حُكمِه قد يجورْ
مالي بما تَقضيه إلاّ الرِّضَى ... قَضَيْتَ لِي بالحُزْنِ أو بالسرورِ

وقال في مدح الرسول وهو قيد الأسر:(٣)

لو كنتُ للمحبوبِ يوماً جَلِداً ... ما كنتُ أشكو اليومَ منه جهاراً
ولَمَا شكا جفني القريحُ سُهَادَهُ ... ولَمَا شكا قلبي المشوَّقُ ناراً
لكنني أُبعدتُ عن أوطانه ... لا طائعاً كلاًّ، ولا مُختاراً
فعلى فؤادي أن يذوب صبابةً ... وعلى دموعي أن تصوبَ غِزَارَا
وعلى نحيبي أن يكون مجَدَّداً ... وعلى وَجيبي أن يكون جِهارَا
وعلى هُيامي أن يكون ملازِماً ... وعلى منامي أن يكون غِرَارَا
وعليَّ أن أرعى له الحبَّ الذي ... لم يتَّخذْ غيرَ الضلوع قَرارَا
فدعِ الملامةَ في الهوى يا لائمي ... وإذا تَلومُ فلا تكنْ مِكثَارَا
فاللومُ في دين الصبابة ساقطٌ ... كلٌّ يرى فيه الملامةَ عارَا
واعذُرْ محبّاً في المحبّة صادقاً ... فالحرُّ ملتمِسٌ له أعذارَا
فالحبُّ ما يأتي اختياراً للفتى ... فيَودُّهُ سِمةً له وشِعَارا
وإذا الهوى زار الجوانح مرةً ... فمن العوائد أن يزور مِرَارَا
وبمُهجتي ظبيٌ أنيسٌ حُسْنُه ... سَلَبَ العقولَ وتيَّمَ الأفْكارَا
مَلَكَ النفوسَ ولم أخَلْ مِنْ قَبْلِه ... أحداً أراهُ يَملكُ الأحرارَا
شمسٌ، ولكنْ لا مغيبَ لِحسْنِها ... بدرٌ، ولكنْ لا ينالُ سَرَارَا
قَدْ تَمايلَ للصَّبا لا للصِّبَا ... لا بَلْ عليه الغُصْنُ قد مأغارَا
وترى مُحيَّاه الوسيمَ إذا بَدَا ... مَلَكَ النواظِرَ هيبةً ووَقَارَا

١- ديوانه، ص ٤٣.
٢- ديوانه، ص ١٩٣.
٣- ديوانه، ص ٢٤-٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نهلتْ نفوسُ الخلق من لحاظه ... بشرابِ غُنجٍ حثّهُ أوْ دارا
عجباً لسكْران بغُنجٍ لحاظه ... ثَمِلِ الفؤادِ وما استساغَ عُقارا
لَمْ أنسَ يومَ وِصَاله وقد اكْتسَى ... خدّاه من فرط الحياء خمارا
وتَنعُّمي من ذاته بمحاسنٍ ... ما شقَّ حُسنَ فَتًى لهنَّ غُبارا
في روضةٍ تَحكي لنا أنوارُها ... وجْه الرسولِ يُجاهدُ الكُفّارا
في فِتْيةٍ جاءَ الكتابُ بمدحهمْ ... فكساهُمُ مجداً سَمَا وفَخَارا
لَمْ يُسلموهُ ساعةً مُذْ أسْلمُوا ... وغَدَوْا له ولدينه أنْصارا
ما منهمُ إلاّ إمامُ فضْلُه ... فَضَحَ الرّياضَ ونافحَ الأزهارا
أخبارُهم أضحتْ لحافظِها حُلىً ... وحديثُهمْ أمسى له أسْمارا
يا مُوثقاً بين العِدى بقيودِهِ ... يَجْني لديهمْ ذِلّةً وصَغَارا
حَكَمَ الإلاه عليه الأسْرِ الذي ... ما في عظيم بلائه يُتَمارَى
اصْبِرْ لِحُكْمِ الله وارضَ بما قَضَى ... تُكْتَبْ لديه مِنَ الأنامِ خِيارا
وسَلِ السَّراحَ بجاهِ أفضلِ مُرْسَلٍ ... لترى له عن عاجل أسْرارا
فبجاهِه رفَعَ الإلاهُ شدائداً ... عنْ خَلْقِه كانتْ تهولُ ونَارا
فالمحْلُ أذهبَه بجاهِ رسوله ... والغيثُ أنْزَلَ ماءَهُ أنْهارا
وشكَا إليه الناسُ إضرارَ الحَيا ... لَمّا هَمَى بديارِهمْ مِدْرَارا
فدعا لهمْ فانجاب عنهم مُسْرِعاً ... وعلى الحدائقِ والأباطحِ صَارا
وهزيمةُ الأحزابِ أبداها لهُ ... فبدتْ ليُظْهِرَ دينَه إظْهارا
ورمَى التُرابَ على العِدى في البعض ... غَزواتِه فغدا له أحْجارا
هَزَمَ الإلاهُ به العِدى فسيوفُه ... أفْنَتْهُمُ إذْ وَلّوا الأدْبارا
لله دَرُّ رجالِ صدقٍ أسْلمُوا ... ملؤوا بِهِمْ بيداً خَلَتْ وقِفَارا
ما كان عندَهُمُ قِتالُ جميعهمْ ... إلاّ كمُرجعِ طَرْفٍ استحقارا
عَلِمَ الإلاه حقيقةً إخلاصَهُمْ ... فنفى بهمْ عن دينه أغْيَارا
يا حُسْنَ أيامٍ مضتْ كانوا بها ... لضيائها وبهائها أقْمارا
سَبَقَتْ لهُمْ عند الإلاه سَعادة ... رفعتْ لهم بين الورَى أقْدارا
دعني أهيمُ بذكرهمْ يا عاذلي ... وأخوضُ بحرَ مديحِهمْ زَخّارا
فالماءُ فَيضاً من أنامله جَرَى ... فسَقَى السريّة صَفْوةً مِدْرَارا
وأعادَ عينَ قتادةَ منْ بعد مَا ... سالَتْ وصار بِفَقْدها مِعْوَارا
يَرْمِي بها مثلَ الصّحيحةِ واغْتدتْ ... أبهى لِنَاظِرِ مَنْ غَدا نَظّارا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورأتْ حليمةُ مِنْ سنا بَركاتِه ... نوراً أدرَّ لِبَانَها إدْرَارَا
وأقالَها مِنْ قِلَّةٍ قطعتْ بها ... دهْراً خؤوناً لم يَزَلْ غَدّارَا
والبدْرُ شُقَّ له لدى إكْماله ... ورِجالُ مَكّة قد أتَوْا نُظَّارَا
لَمّا رأوهُ دونَ رَيبٍ أعرضوا ... عنه وقالوا قد غَدَا سَحّارَا
قُوموا اسْألُوا مَنْ جاءَكُمْ عن فِعْله ... إنْ كانَ عمٌّ بسحْرِه الأمصارَا
فجميعُ مَنْ سألوه ممّن جاءَهُمْ ... بالقَصْد أخْبرَهُم به إخْبارَا
لقد أتوهُ للمُناظرة التي ... رَامُوا بها تَعجيزَهُ استظْهارَا
فرأوا محلَّ الشُهْبِ دون مَحلِّه ... بُعْداً فما اسْطَاعوا إليه مَسارَا
ما ناظَرَ الرُّهبانَ والأحبارَ إلـ ... ـا أعْجزَ الرُّهبانَ والأحْبارَا
إيهٍ ولم يُخبِرْ بشيءٍ كائن ... إلاّ وجاءُ يُوافقُ الأخْبارَا
ودعَا إلى الإسلامِ شخْصاً كافراً ... مُستمرِّداً في كُفْرِه نَكَّارَا
فأجابَهُ لَكِنْ بِشَاهِدِ صِحَّةٍ ... يُبْدي فيُبْصِرُ نورُه إبْصَارَا
فدعا إليه بعضَ أشجارِ الفَلا ... فأتَتْ إليه وما تَنِي تَسْيارَا
حتّى إذا وصلتْ إليه بجَمْعِها ... صَلَّتْ عليه وسلّمتْ أكْبارَا
والشخصُ يَسْمعُ صوتَها ويرى ... حقيقةَ مَشيِها نحوَ الرسول جِهارَا
فاعجَبْ لأحجارِ الفلا شهدتْ له ... ولعاقلٍ في أمْرِه قد حَارَا
والجِذْعُ حَنَّ له حَنينَ مُتَيَّمٍ ... أوْلاهُ مَوْلاهُ قِلًى ونِفارَا
يا أيُّها المغرورُ بالدّنيا التي ... غَرَّتْ أُناساً قَبْله أخْيارَا
هذا الجمادُ حنينُه لمحمّدٍ ... بادٍ وقلبُك جاوزَ الأحْجارا
لكنْ تَحِنُّ لولدٍ ولزوجةٍ ... وتُحِبُّ مالاً صمتاً وعقارَا
حاولْ صلاحَ فسادِه فلقدْ طَمَا ... مادُمتَ في وقتٍ تُصيبُ يَسارَا
فيَسارُكَ العُمْرَ الذي تَعتدُّه ... لكنّه أضحى لديكَ مُعَارَا
وَصلَ الحنينُ أمْ أطافَ بَطيْبةٍ ... مَثْوىً له فيها يلوح ودَارَا
وشكا له الجملُ الضّعيفُ لحالِه ... فأقالَه لمّا شكا وأجارَا
ومَنِ ادّعى الحبُ الصحيحَ فإنّه ... أبداً يُرى لحبيبِه زَوّارَا
لَمّا استهلَّ لدى الولادة صارخاً ... صدعَ الظّلامُ لنُورِه فأنارَا
واهتزّت الدنيا له فَرَحاً بِهِ ... واسْتَبْشَرتْ بظُهورِه استبشارَا
وسَرَتْ بأنفاسِ العبيرِ نواسِمٌ ... ملأتْ به الأنجادَ والأغْوَارَا
وبدتْ لمولِدِه الشريفِ عجائبٌ ... ما مِثْلُها أبداهُ دهرٌ دَارَا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فخَبَتْ له نيرانُ فَارسَ آيةً ... فغَدتْ وما تَسْطيعُ تُوقِدُ نارَا
وارْتجَّ مِنْ إيوانِ كسْرى جانبٌ ... سَقَطَتْ به شُرُفاتُه إنْذَارَا
والماءُ أضحى بالبُحيرةِ ناضِباً ... مَنْ أمَّهُ لم يَحْمَد الإصْدَارَا
والنّورُ فاضَ على الجهاتِ ضياؤُه ... فجَلاَ قصوراً للعِدى ودِيارَا
والشُّهْبُ عادتْ تُحْرِقُ الجنَّ التي ... سَرَقَتْ لأسرار العلى أخْبارَا
فَلِمَا تخافُ مِنِ احتراقٍ هائلٍ ... أبَتِ الدُنُوَّ وأقصرتْ إقصارَا
آياتُ حقٍّ تَنْجلي أسرارُها ... بقلوبِ قومٍ من.....
سُبْحانَ مَنْ أسرى به من مكّة ... ليلاً لِمسجدِ إيليا أسجارَا
وسَما به فوقَ السّماواتِ العُلَى ... وأراهُ مِنْ آياتِه أسرارَا
في صُحبةِ الرّوح الأمين كرامةً ... وعلا على ظهرِ البُراقِ فطَارَا
إيهٍ وفارقَهُ الأمينُ بموْضِعٍ ... هو حَدُّهُ ما جازَهُ استمْرارَا
فشكَا إليه فراقَه ثُمّ ارتقَى ... فَرْداً يشُقُّ الحُجْبَ والأنْوَارَا
حتّى دنا مِنْ ربِّه جلَّ اسْمُه ... فأجلّهُ وقَضَى له الأوْطَارَا
ثمّ انثنى والليل أسْودُ شافع ... غرْبيبهُ عَنْ غُصْنِه ما طَارَا
حتّى إذا الإصباحُ لاحَ جبينُه ... شَرْقاً وأسْفَر وجْهُه إسْفارَا
جلسَ الرسولُ لِصَحْبِه يَسْقيهِمُ ... بحديثِه ممّ رَآه عُقارَا
يا فوزَ قومٍ أظْهرُوا تَصْديقَه ... وخَسارَ قَوْمٍ أنكروا إنْكارَا
ومِنَ العجائب آيةُ الغار التي ... صَحّتْ فأنْجَدَ ذِكْرُها وأغارَا
لمّا فشا أمرُ الرسولِ بمكّةٍ ... وتكرّرتْ أخبارُه تَكْرارَا
وبَدتْ علاماتُ الشّتاتِ بأفْقِها ... ورأتْ قُريشٌ للحروبِ بِحارَا
عَزَمَتْ على الشُّورى معاً في أمرِه. ... وستكثرت تردادَها استكثارا
وأتاهُ جبريلُ الأمينُ مُعَرِّفاً ... بجميع ما قد أضْمَرتْ إضْمارَا
حتّى انتهتْ للغارِ ضَلَّ دليلُها ... فرى الرّجوعَ ولم يؤُمَّ الغارَا
عَمِيَتْ بَصيرَتُه فلمْ يُبْصِرْ بها ... أحداً بدخلِه حوى استقرارَا
ومحمّدٌ فيه مع الصدِّيقِ قَدْ ... سَدَلَ الإلاهُ عليهما أسْتَارَا
وسُراقَةٌ إذْ أمُّهُ بجوادِه ... لِخروجِه عن قومِه إسْرَارَا
غَرِقَتْ قوائمُهُ عِقاباً في الثّرى ... فرأى الرّجوعَ ولو أباهُ لَبَارَا
وله بتَطليل السّحابةِ آيةٌ ... إذْ كان حَرُّ الشّمسِ يَحْكِي النّارَا
لمّا اصْطفاهُ اللّه جلَّ جلالُه ... واختار منه لِوَحْيِه ما اختارَا
وأتَى به للعَالَمينَ هدايةً ... كَثُرتْ عليمْ أجمعينَ نِثارَا
ظهرتْ عليه للاصْطفاءِ شواهدٌ ... نَشَرَتْ عُلاهُ فعمّتِ الأمْصارَا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما رَاءَ منها ذُو البصيرةِ شاهداً ... إلاّ اهْتدى واستَبْصَر اسْتبصَارَا
عَجَباً لمُبْصرِها تَروقُ منيرةً ... كالشّمسِ كيف لِمُنْكِرٍ إنْكارَا؟
مَضتِ الشواهدُ إذ مضتْ أزمانُها ... فنُفوسُنا تَسْلُو بها استبشارَا
لَكِنْ كتابُ اللّه منها شاهدٌ ... يَجلو العَمى ويُنوِّرُ الأبصارَا
إعْجازُه عند الإلاهِ مُجرَّدٌ ... ما جَرَّدَ الأعوامَ والأعْصارَا
ولقد أتى والوقت وقت بلاغةٍ ... ما فيه إلاّ مَنْ رَوى الأشْعارَا
فجميعُ مَنْ فيه أقرَّ بعجْزِهِ ... عنْ أنْ يُعارِضَ سورةً إقْرارَا
عرفُوا بلاغتَه وحُسْنَ مَسَاقِهِ ... فاستشعروا إعْجازَهُ اسْتشْعارَا
وكَفى بِكَلْمَةِ عُتبةَ بن رَبيعَةٍ ... لمّا وعاهُ وما إليه أشَارَا
فَوَ حقِّهِ ووَحَقِّ آياتٍ بِهِ ... تُبدي العيونُ لذِكْره اسْتِعْبارَا
لَهُوَ الشِّفاءُ لِكل مَكلومِ الحَشى ... ما عدَّه للسانِه مِضْمَارَا
يا خاتمَ الأرْسالِ يا خيرَ الورى ... وأجلَّ مَنْ سُحُبُ النجاةِ أثارَا
أنتَ العظيمُ لدى الإلاهِ شَفاعةً ... وأجلُّ مَخلوقٍ عَلاَ مِقْدارَا
مَالي إلى ربّي سواك وسيلةٌ ... أرجو بها أن تَمْحُوَ الأوزَارَا
ويجمّعُ الشّملَ الشّتيتَ بوالدٍ ... أضحتْ ضُلوعي مِنْ نَواهُ حِرارَا
ويَخُصُّني مِنْ فضلِه بعنايةٍ ... تَبْني لتَيْسيرِ السّراحِ مَنارَا
فلقد غدوتُ حليفَ أسرٍ مُكْرِبٍ ... ديارِ قومٍ أصبحوا كُفّارَا
يُمْسِي ويُصبحُ في الحديدِ مُقيَّداً ... مَعَ جُملةٍ مِنْ مسلمينَ أُسارَى
[فاشْفَعْ لنا] لِربِّنا في كَرْبنا ... يا خيرَ هادٍ مَحْتِداً ونِجارَا
فلَك الشفاعةُ في غدٍ مخصوصةٌ ... ولَكَ الوسيلةُ في الجنَانِ جِهارَا
صَلّى عليكَ اللهُ ما بلغَ المُنَى ... مَنْ أمّه قبركَ في القُبورِ وزَارَا
وابتلّ قطرُ الزّهرِ من قَطرِ النّدى ... وسرى النّسيمُ يُرَقِّمُ الأشجارا

قال أيضاً مُوريا بامرأة اسمها إلبيرة:(١)

شأني بآبُرةٌ لا أستطيعُ لَهُ ... وَصفاً يُوافي لِساني عنه تعْبيرَهْ
والصّبرُ في أسرها ما كنتُ آلفُهُ ... لولا اجْتِلائي فيها حسْنَ إلْبِيرَة

وقال يمدح الشيخَ الأستاذ أبا عبد الله البياني وهو في ثِقاف الأسر:(٢)

١- ديوانه، ص ١٩٤.
٢- ديوانه، ص ٤٠- ٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا بُد أنْ يَضْحَكَ الدّهرُ الذي عَبَسا ... ويَنْعَمَ البالُ مِمَّنْ ظَلَّ قد يَئِسا
ويَكْتَسي الغُصْنُ في روض المُنى زَهَراً ... من بعْدِ ما قَدْ ذَوى فيه وقد يَبِسا
والمَرْبَعُ الدّارسُ الخلي يعودُ غَداً ... كأنَّه ما خَلاَ يوْماً ولا دَرَسا
ومَنْ غَداً وهُمومُ الدّهْرِ تُثْقِلُهُ ... يروحُ منها خفيفَ الحِمْل ما نُكِساَ
فلا الصبرُ أوْلى بِمَنْ ضاقتْ مذاهبُهُ ... يوماً وأصبحَ في دنياهُ مُبْتَئِساَ
بالضيِّقِ تَعقُبُهُ مِنْ بَعْدِه سَعَةٌ ... تُبدي له مِنْ سَنَا أنْوارِه قَبَسا
فيا فؤاديَ كُنْ للأسْرِ مُصْطَبِراً ... وارْجُ السَّراحَ عساهُ أن يكون عَسَى
فكَمْ أسيرٍ حَبيسٍ في القيودِ غَدَا ... كأنَّه ما رأى أسْراً وما حُبِسا
واجعَلْ رئيسكَ في الصبّر الإمامَ أبا ... عبد الإلاه البيانيَّ خيْرَ مَنْ رَأسا
ذا الحِلمِ والصفْحِ وعلمٍ الذي بَهَرتْ ... أنوارُ أنواعِه مَنْ ظَلَّ مُقْتَبِسا
قُسُّ الفصاحةِ إنْ وافيتَ مُسْتَمِعاً ... مَعْنُ السَّماحةِ إنْ يَمّمتَ مُلْتَمِسا
إنْ جادَ جادَ كَمِثْلِ الغيثِ مُنسكِباً ... أوْ صَالَ صَالَ كمثْلِ الليثِ مُفْتَرِسا
يَلِينُ إنْ لاَنَ في ذاتِ الإلاهِ وإنْ ... قَسا ففي ذاتِه منْهُ الفؤادُ قَسَا
قَبولُه يُخجِلُ الرَّوْضَ المَنيرَ بداً ... وقارُهُ يَبْهَرُ الطَّوْدَ العظيمَ رَسا
يدْري بِفطْنتِه ما الصّدْرُ يُضْمِرُه ... سِرًّا فيُعربُ عمّا فيه قد هَجَسا
كأنّه عارفٌ بالغيبِ يَعلَمُهُ ... إذا غَداً مُدَّعيه يَدَّعِي هَوَسا
فَراسَةٌ فضحتْ سِرَّ الكتومِ كما ... بَدْرُ الدُّجُنَّةِ أمْسى يفضَحُ الغَلَسا
إذا ارْتَقى مِنْبَراً للوعظِ تَحْسَبُهُ ... قَرْماً غَداً راكباً يوْمَ الوغَى فَرَسا
في كلّ يوم له علمٌ يُقَرِّره ... ترى الفَصيحَ لديْه ساكتاً خَرِسا
للّه مَجْلِسُه يُلْقِي العلومَ به ... وفَوزُ صَبٍّ إلى إلقائِه جَلَسا
نِعْمَ المحلُّ مَحَلٌ مُونِقٌ عَبِقٌ ... يَهْدي لِمَنْ أمَّهُ مِنْ طيبِه نَفَسا
يَمَّمْتُه زمناً أجْنِي فوائدَه ... مُصابراً عندما أجْنِي ومُخْتَلِسا
والجِد يَبْعَثُني والمَجدُ يُسعدني ... مَعَ الشَّبابِ وطرْفُ الدّهر قدْ نَعَساَ
حتّى جَرَى القدر المَحْتُومُ سَابِقُهُ ... فخَابَ ظنّي، وما أمّلته انْعَكَسا
فحَرُّ صدْري يُحاكِي النّارَ مُلْهَبَةً ... ودمْعُ عيني يُحاكِي الماءَ مُنْبجِساَ
لكِنَّني صابرٌ أرجو بدَعْوتِهِ ... عودَ الزّمنِ الذي إصباحُه انْطَمَسَا
فهو الذي مُذْ بدتْ أنوارُ حكمتِه ... وفّى مؤمِّلَه منها وما بَخَساَ
ما أمَّهُ طالبٌ إلاّ وشطرَه ... وفي قوتِه دائماً دَعْ ناجِباً وكَسَا
فيَنْثَني عن محلِّ الجودِ حَضْرَتُهُ ... كأنه ما رأى فقْراً ولا فلَساَ
نَعَمْ ولا الْتَبَستْ في العلم مسألةٌ ... إلاّ وبَيَّنَ منها كُلَّ ما التَبَساَ
فطالبُ العلمِ يَجْني مِنْ بدائِعِه ... غَرْساً زَكَا ما سِواهُ مِثْلَه غَرَساَ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحقَّ والدِهِ الحبْرِ الإمَامِ وما ... حَوى مِن العلْمِ بالدّرس الذي دَرَسا
ما أبْصَرتْ مُقْلتي شخصاً يُماثلُه ... في بعضِ أوصافِه مُذْ جُلْتُ أنْدَلُسا
فيا وحيداً عَلَتْ في العلْمِ رُتْبتُهُ ... فبات يَرْشُفُ لِلْعَلْيا جَنىً سَلِسا
خُذْها إليْكَ عَروساً حَلْيُها أدَبٌ ... تَبْغي القَبولَ عليها المَهْرُ ما بُخِسا
جاءتْكَ مِنْ خَجَلِ التقْصيرِ لابِسةً ... ثوْبَ الحياءِ الذي ما مِثْلُهُ لُبِسا
فاعذُرْ بِفَضْلِكَ صَبًّا صاغَها عجَلا ... يَشكُو بابرةٍ أسْراً صباحَ مسا
أتى بها بيتغي مِنْكَ الدُّعاءَ لَهُ ... لَمَّا رأى أنّه فيها حليفُ أسَى
فَهبْ له منه حظَّها وافراً ليَرى ... مِنَ السَّراحِ به ما منْه قد يَئِسا
لا زِلْتَ تُدْرِكُ ما تَبْغيه مِنْ أمَلٍ ... ومَنْ يَرُومُكَ بالمَكْرُوهِ قَد تَعِسا

وقال :(١)

الموتُ أهوَنُ مِنْ أسْرٍ بآبرةٍ ... عِنْدَ الذي ذاقَه فيه مِنَ النّاسِ
ما ذاكَ إلاّ لِما يَلقىَ الأسيرُ بها ... مِنَ الثِّقَافِ العظيمِ الخطبِ والباسِ

وقال مخاطباً أبا عبد الله البياني من آبرة:(٢)

لِساني على أسْري بِودّكَ لافِظٌ ... وقلبي على بُعْدي لعهدِكَ حافِظُ
وفي كلّ أوقاتي أراك تَخَيُّلاً ... كأنّي بِعَيْني نحوَ وَجْهِكَ لاحِظُ
ونُصْبَ عِياني مِن كتابك مُرْشِدٌ ... يَحضُّ على الصبْرِ الجميلِ وواعظُ
كِتابٌ يَرُوقُ الطَّرفَ رائِقُ خَطِّه ... فيَقْرَؤُهُ في الناس من هو جاحِظُ
أصُولُ على دهري بفائِقِ لَفْظِهِ ... فيبدو له منّي بِصَبْوِيَ غائِظُ

وقال يخاطبه أيضاً:(٣)

إنْ خَانَنِي جَلَدي في الصبْرِ عن بلدي ... وكنتُ من كَمَدٍ فوقَ الذي أصِفُ
فالعُذْرُ يَقْبَلُهُ في ذاكَ كُلُّ فتىً ... لأنّه واضحٌ للعينِ مُنْكَشِفُ
أسْرٌ تُصاحِبُه الأغْلالُ دائمةً ... ومِحنةٌ معه الأشغالُ والكُلَفُ
لقد طَمَا فَرَقِي واعتادني أرَقِي ... ودامَ مِنْ حُرَقِي ما خِلتُ يَنْصَرِفُ
ما في فؤادِيَ يَفْنَى حَسْرةً وأسىً ... وخَلَّ دمعِيَ فوقَ الخدِّ يَنْذَرِفُ
فَخُصَّنِي بنَصيبٍ من دعائِكَ لِي ... لعلَّ نحْوِي بِهِ الأيامُ تَنْعطِفُ
زبقاك رَبِّي مُعافى الذاتِ ما بقِيَتْ ... جواهِرُ العلم من ناديكَ تُغْتَرَفُ

١- ديوانه، ص١٩٥.
٢- ديوانه، ص ٥١.
٣- ديوانه، ص ٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال :(١)

لبَلِيّتي يَبْكي الحَمامُ هديلاً ... ولِمِحْنتي يرثي العدوُّ طويلاً
ولِبعْضِ ما ألقاهُ تنصدعُ الصَّفَا ... والغيثُ يهمي بُكرةً وأصيلاَ
أسْرٌ تُصاحبُه القيودُ وضيقُها ... ومتاعبٌ تذَرُ الفؤادَ عليلاَ
يا شامتاً بي وهو يُظْهِرُ رحمةً ... اصبر- فديتُك- للزمان قليلاَ
فالدّهرُ لا يُبقي على حالٍ بدتْ ... إلاّ ويُعقِبُ بعدها تحْويلاً
كمْ منْ أسيرٍ موثقٍ بقيوده ... أمسى وأصبح مُطْلَقاً محلولاَ
ولَكَمْ طَليقٍ لم يُقدِّرْ أسرَهُ ... أمسى وأصبح مُوثَقاً مَغْلولا
أحكامُ قاضٍ لا يُرَدُّ قضاؤُهُ ... فيما قضاهُ ولا يُرى مسؤولاَ
فاشكُرْ إلاهَكَ يا مُعافىً دائماً ... فالشّكرُ أضحى بالمزيد كفيلا
واصبِرْ لماضي حُكمِهِ يا مُبتَلىً ... فالصبر يُبدي للخلاص سبيلا
ودعِ الحنينَ لبسطةٍ وربوعِها ... إنّ الحنين يهيج منك غليلا
واتركْ حديث جِنان رُومةَ جمبةً ... وجِنان عينِ قَنُولَشٍ تفصيلا
المُنيةَ الغرّاء دعْ تخييلها ... إيّاكَ إيّاكَ احْذرِ التخييلا
حيث الجداولُ ماؤُها متفجِّر ... أضحى الصغيرُ بها يفوق النيلا
حيث البِطاحُ كأنّها صُحف بدتْ ... تَهْوَى الجفونُ حسْنها التكحيلا
حيث الظّلال توارفت وتفيّأتْ ... بجوارها تَهْوى النفوسُ مَقيلا
حيث التّراب لطيبه ولِحسْنه ... تَهوى الشّفاه تَسومُه تقبيلا
تلك الربوعُ بها لفؤادُ متيَّمٌ ... عمّا يحنّ بها أبى التنقيلا

وقال :(٢)

يا مَنْ عليه في السّراحِ أُعوِّلُ ... وإليه في تَعجيله أتوسّلُ
أنتَ المؤمّلُ للشدائدِ كلِّها ... وعليكَ في تخفيفها أتوكّلُ
ولقد قضيتَ عليَّ بالأسر الذي ... ما مِثلُه خطْبٌ عظيمٌ مُعْضِلُ
فحملتُ من كُرُباته الكَرْبَ الذي ... مَا مِثلُه شخصٌ أسيرٌ يحملُ
وصبرْتُ صبرَ مفوَّضٍ لكَ أمرهُ ... راضٍ بما تقضيه فيه وتفعلُ
يا ربُّ فامْنُنْ بالسّراح معجِّلاً ... فأنا سراحي من جَلالِك أسألُ

وكتب لأهله من آبرة :(٣)

١- ديوانه ، ص١٠٨ -١٠٩ .
٢- ديوانه ، ص١٩٢
٣- ديوانه ، ص١٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّي فضضتُ عن الدّموع ختاما ... فغدت تسيل بوجْنتَيَّ غَمَامَا
شوقاً إلى عيش مضى بأحبّةٍ ... كانوا وعيشهُمُ عليَّ كِراما
لم أقضِ بعض حُقوقهم حتّى انقضتْ ... أيّامُهم فحسبتُها أحْلامَا
فأنا أُخَيِّلُ بالضّمير عهودَهم ... وَهْماً وأجعل أنْسيَ الأوْهاما
وأصيحُ إنْ هاجت بقلبي زفرةٌ ... من ذكرِهِمْ أخْشى بها الإعْدَامَا
يا ساكنينَ ببسطةٍ دوني ولي ... قلبٌ بهم ما يستفيق غراماً
وإنّني إنْ كنت عنكم نازحاً ... فالقلب في تلك الدّيار أقاما
وجلالِكم وجمالِكم وكمالِكم ... قَسَماً بذلك كلّه إعْظاماً
مالي بغير حديثكم شغلٌ ولا ... أرْعى لغيركُمُ هوىً وذِماما
وحلالُ نوْمي بالفراق جعلتُه ... من يوم فُرقتكم عليّ حراماً
فالنّوم قد عادى الجفون ضرورةً ... فغدت جفوني ما تذوق مناماً
ونسيمُكُمْ لَوْ زارني لَوجدتُه ... برداً على نار الحشى وسلاما
ولكنتُ أنشَقُ من شذاهُ إذا سرى ... غرقاً يداوي بالحشى الآلاما
لكنّ أسري عن شذاهُ صَدَّني ... فأنا أذوب صبابةً وهُياما
في دار كفر أظلمت أرجاؤُها ... حتّى تبدّتْ للعيانِ ظلاما
في قعر بيتٍ غُولُه مجموعةٌ ... والهامُ فيه قد أجاب الهاما
مالي به أُنسٌ سوى تذكارِكم ... ومدامع خُمرٍ تفيض سِجاما
وبجامعٍ جُمِعَتْ يدايَ وقُرْمَةٍ ... مَنَعتْ قيامي إنْ أردتُ قياما
والشَبُّ والإبريق كلٌّ منهما ... نُصْبَ العيان بجانبي قدْ قاما
وكفى بمَنْ حَكَمَ الإلهُ بكُفْرِه ... أصغي إليه إذا يقول كلاما
هذا الذي عيْني تُشاهِد بعدَكُمْ ... وتراه متّصِلاً يدوم دَوَامَا
لكنّني متعلّقٌ بدعائكم ... أرجو به للنائبات تَمَاما
فتعودُ أيامي كما كانتْ بكم ... غُرَراً تفوق بحسْنها الأيامَا
وتوسُّلي للّه جلّ جلالُه ... في نقص ما أمضى به الأحْكاما
بُمحمّدٍ خيرِ البريّةِ مَحْتِداً ... وأجل مَن صلى الصلاة وصاما
يا فوز ما أضْحى به متوسِّلاً ... وغدا له فيما ينوب إمَامَا
صلّى عليه اللّه من هادٍ رضيً ... ما زاره ركبٌ فنال مراما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨- التعاليمي، أبو زكريا، يحيى بن هذيل بن عبد الملك التُجيبي:

قال:(١)

تباعد عني منزلٌ وحبيبُ ... وهاج اشتياقي والمزارُ قريبُ
وإني على قرب الحبيب مع النَّوى ... يكاد إذا اشتد الأنينُ يجيبُ
لقد بعدت عني ديارٌ قريبةٌ ... عجبت لجار الجَنْبَ وهو غريبُ
أعاشرُ أقواماً تقرُّ نفوسهم ... فللهمِّ فيها عند ذاك ضُروبُ
إذا شعروا من جارهم بتأوُّهٍ ... أجابتْه منهم زفرةٌ ونحيبُ
فلا ذاك يشكو همَّ هذا تأسفاً ... لكل امرىءٍ مما دهاهُ نصيبُ
كأنيَ في غاب الليوث مسالمٌ ... يروِّعني منه الغداةَ وثوبُ
يحكم فيها الدهرُ والعقلُ حاضرٌ ... بكل قياس والأديب أديب
ولو مال بالجهال مَيْلَتَهُ بنا ... لجاء بعذرٍ إنَّ ذا لعجيبُ
رفيقٌ بمن لا ينثني عن جريمة ... بطوش بمن ما أوبقته ذنوب
ويطعمنا منه بوارقُ خُلَّبٌ ... تقول عساه يرعوي فيؤوبُ
إذا ما تشبثنا بأذيال بُرْدِهِ ... دهتْنا إذا جرَّ الخطوبَ خطوبُ
أدار علينا صولجاناً ولم يكن ... سوى أنه بالحاداثات لعوب
أيا دهر إني قد سئمتُ تهدُّفي ... أجِرْني فإن السهمَ منك مُصيبُ
إذا خفق البرقُ الطروقُ أجابه ... فؤادي ودموعُ المقلتين سكوب
وإن طلع الكف الخضيب بسحره ... فدمعي بحنَّاءِ الدماءِ خضيبُ
تذكرِّني الأسحارُ داراً ألفْتُها ... فيشتد حزني والحمام طَروب
إذا علقتْ نفسي بليْتَ وربما ... تكاد تفيض أو تكاد تذوب
دعوتُك ربي والدعاءُ ضَراعةٌ ... وأنت تُناجى بالدعا فتجيب
لئن كان عقبى الصبر فوزاً وغبطةً ... فإني على الصبر الجميل دؤوب

* * * *

٩- ابن ثعلبة الجذامي، أبو مروان، عامر بن عامر بن كليب:

قال:(٢)

عُظم الخطاء فهل تُقيلُ ... يا سيدي أو تقول
أنت العزيز بهفوتي ... وأنا بها العبد الذليل
واللّه لو أني استطعـ ... ـتُ لما بدا مني فضول

١- النفح، ج٥، ص٤٩٣-٤٩٤.
٢- الحلة، ج١، ص١٦١، والمغرب، ج١ ص٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما رأى مني الصديـ ـق سوى قوامٍ لا يميل
ولسان صدق لا يزو لُ من الصواب ولا يحول
فأبت عليَّ الكأس إلا أن يداخلني الذهول

* * * * * *

١٠- الجُزيري، أبو مروان، عبد الملك بن إدريس الخولاني:

قال:[١]

قالوا جفاه ثلاثاً ثم غرّبه فليس يرجو لديه حظوةً أبدا
جاروا وما عدلوا في القول بل حكموا على المقادير جهلاً لا هُدوا رشدا
أليس يوقِد نصلَ السيفِ ضاربُهُ قبل الصِّقال مراراً جمةً عددا
حتى إذا ما سقى حدّيه ريَّهما واهتز لدناً دعها الصارم الفردا
وما المهذب إلا من تعرَّقَهُ زمانه مخطئاً طوراً ومعتمداً
من لم يذق طعم بؤساه وشدّتها لم يدر لذة نعماه ولا وجدا
ودون هذا الذي قالوه أقضية للّه في حكمه لم يؤتها أحدا
لا بد للقدر المقدور من أمدٍ يلقاك فيه على حتم وإن بعدها

وكتب من معتقله قصيدته المشهورة في الناس وأولها:[٢]

ألوى بعزم تجلّدي وتصبّري نأيُ الأحبة واعتياد تذكّري
شحط المزار فلا قرار ونافرتْ عيني الهجوع فلا خيالٌ يعتري
وقصرت عنهم فاقتصرت على جوىً لم يدعَ بالواني ولا بالمُقْصِر[٣]
أزرى بصبري وهو مشدود القوى وألان عودي وهو صلب المكسر
وطوى سروري كلّه وتلذذي بالعيش طيٌّ صحيفةٍ لم تنشر
هلاً بما ألقى الحبيب توهّماً بضمير تذكاري وعين تفكّري
وإذا الفتى فقد الشباب سما له حب البنين ولا كحبّ الأصغر
عجباً لقلبي يوم راعتنا النوى ودنا وداعك كيف لم يتفطّر
ما خلتني أبقى خلافك ساعةً لولا السكون إلى أخيك الأكبر
إنسان عيني إن نظرت وساعدي مهما بطشت وصاحبي المستور
فإذا شكوت إليه شكوى راحةٍ ذكّرته فشكا إليّ بأكثر
أربى عليَّ فحظه ممّا بنا حظ المعلى من قداح الميْسر

١- إعتاب ، ص١٩٣ .
٢- اليتيمة ، ص١١٧ -١١٨ .
٣- في صفة جزيرة الأندلس ،ص١٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنها :

واعلم بأن العلم أرفع رتبة ... وأجل مكتسب وأسنى مفخر
فاسلك سبيلَ المقتنين له تَسُدْ ... إنَّ السيادة تُقتَنى بالدفتر(١)
وبضُمَّر الأقلام يبلغ أهلها ... ما ليس يبلغ بالجيد الضُّمَّر
والعلم ليس بنافع أربابه ... ما لم يفد عملاً وحسن تبصر
فإذا دفعت إلى قرين فابْلُهُ ... قبل التقارض والتشارك واخْبُر
لا يستفزّك منظر حسن بدا ... حتى تقابله بحسن المخبر
كم من أخ يلقاك منه ظاهر ... باد سلامته وباطنه وري
واشرح لكل ملمّةٍ صدراً وخذ ... بالحزم في كلّ الأمور وشمِّر
واستنصح البرَّ التَّقيَّ وشاور الـ ... ـفطن الذكي تكن ربيح المتجر
واخزن لسانك واحترس من نطقه ... واحذربوادر غيِّه ثم احذر
واصفح عن العوراء إن قيلت وعد ... بالحلم منك على السفيه المعور
وكل المسيء إلى إساءته ولا ... تنعقب الباغي ببغي تنصر
فكفاك من شرٍّ سماعك خبره ... وكفاك من خبرٍ قبول المخبر
وإذا سئلت فجد وإن قلَّ الجدى ... جهد المقل إزاء جهد المكثر
واشكر لمن أولاك براً إنّه ... حقٌّ عليك ولا تكن بالمتري
ليس الحريص بزائدٍ في حرصه ... بأتم حيلته هشيمة إذخر
أو ما رأيت غبيَّ قومٍ موسراً ... ولبيبهم يشقى بحال المعسر
قد أوعب التكوين كلَّ مكوَّنٍ ... مذ أحكم التقدير كلّ مقدر
فلوِ ابتغيت بكل جهدٍ نيل ما ... سبق القضاء بمنعه لم تقدر

وفي آخرها يخاطب بنيه:(٢)

لا تسأموا إحضاره رغباتكم ... فهِباتُهُ مبسوطةٌ لم تُحْظَرِ
وعسى رضى المنصور يُسْفرُ وجهه ... فيديلَ من وجه الفراق الأغبرِ

وفيها يقول يصف المعقل الذي حُبس فيه:(٣)

في رأس أجردَ شاهقٍ عالي الذُّرى ... ما بعده لموحِّد من مَعْقَلِ
يأوى إليه كلُّ أعور ناعبٍ ... وتهبُّ فيه كلُّ ريح صرصرِ
ويكاد مَنْ يرقى إليه مرةً ... في عمره يشكو انقطاع الأبْهَرِ

١-البيت في إعتاب ، ص١٩٤ .
٢- إعتاب ، ص١٩٥ .
٣- إعتاب ، ص١٩٥ ، وصفة جزيرة ، ص١٢٥ ، والبيتان الثاني والثالث في المطمح ، ص١٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١- ابن جودي، أبو عُثمان، سعيد بن سُليمان بِن جودي

قال:[١]

خليليّ صبراً راحة الحر في الصبر ... ولا شيءَ مثلُ الصبرِ في الكربِ للحُرِّ
فكم من أسيرٍ كانَ في القدِّ موثقاً ... فأطلقَهُ الرحمن من حلَقِ الأسرِ
لئن كنتُ مأخوذاً أسيراً وكنتما ... فليسَ على حربٍ ولكن على غدرِ
ولو كُنتُ أخشى بعضَ ما أصابني ... حمتني أطرافُ الرديني السُمرِ
فقد علِمَ الفِتيانُ أني كَميُّها ... وفارسُها المِقدامُ في ساعة الذُعرِ
بهمك ألقى خالقي يوم موقفي ... وكربُكَ أقضى لي من القَتلِ والأسرِ
وإن لم يكُن قبراً فأحسنُ موطئاً ... من القبرِ للفتيان حوصلة النسرِ
فيا ظاعِناً أبلِغ سلامي تحيةً ... إلى والديَّ الهائمين لدى ذكري
وأدِّ إلى عَرسي السلامَ وقُل لها ... عليك تحياتي إلى موقف الحشر

* * * * *

١٢- الجيَّاني، أبو عمر، أحمد بن محمد بن فرج

قال:[٢]

ما سمعنا سقماً يُداوَى بسَقَمِ ... غيرَ ما في جفون ليلى وجسمي
ناضلتني يومَ الكثيب ولكن ... أين من وَقْعِ سهمها وقْعُ سهمي
لي منها حظا عتابٍ وإعتا ... بٍ هما معنيا سروري وهمي

* * * * *

١- الحلة، ج١، ص١٥٩
٢ - معجم الأدباء، ج١ ص٤٧٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٤- الحِجاري، عبد الملك بن غصن

قال من رسالته (السجن والمسجون والحزن والمحزون):[١]

نحن في حالةٍ لأيسرَ منها ... يتلظى الردى وتبكي الخطوبُ
ما لنا في وطاء البسيطة حظٌّ ... لا ولا في نشقِ الهواءِ نصيبُ
في محلٍ كأنه ظلفُ شاةٍ ... ليس فيه لذي دبيبٍ دبيبُ
وكأن الكبلَ الثقيلَ إذا ما ... رنَّ في الساق للخُطوب خطيبُ
إن رمتنا يدُ الخطوبِ بقوسٍ ... طالما كانَ سهمها لا يصيبُ
أو يكن عثّر الزمانُ فمرجوٌّ ... لإنعاشنا القريبُ المجيبُ
قد أجاب الإله دعوة نوحٍ ... حين نادى بأنه مغلوبُ
وشفا ذو الجلال علة أيو ... بَ وقد شارف الردى أيوبُ
وانقضى سجن يوسفٍ وقد استيـ ... ـأس وارتدَّ مبصراً يعقوبُ

وأودع رسالته (السجن والمسجون والحزن والمحزون) ألف بيت فقال فيها:[٢]

وألفِ بيتٍ من القريض إذا ... مات جميعُ الأنام لم تمتِ
لو أن شعر الورى يُنَظَّم في ... عقدٍ لكانت بموضع السِّطَةِ
سائرةً حيث لم يسرِ قمرٌ ... ولا سرت أنجمٌ ولا جرتِ

وكتب إلى ابن هود ليخلصه من سجنه:[٣]

أيا راكب الوجناء بلغ تحيةً ... أميرَ جذامٍ من أسيرٍ مقيدِ
ولمّا دهتني الحادثاتُ ولم أجد ... لها وَزَراً أقبلتُ نحوكَ أغتدي
ومثلك من يُعدي على كل حادثٍ ... رمى بسهامٍ للردى لم ترصدِ
فعلّك أن تخلوَ بفكركَ ساعةً ... لتنقذني من طولِ همٍ مجددِ
وها أنا في بطن الثرى وهو حاملٌ ... فيسر على (رقبى) الشفاعةِ مولدي
حنانيك ألفاً بعد ألفٍ فإنني ... جعلتك بعد الله أعظمَ مقصدي
وأنت الذي إذا رامَ حاجةً ... تضلُّ بها الآراء من حيث يهتدي

١- إعتاب الكتّاب، ص٢٢٠
٢- الذخيرة، ق٣ م١ ص٣٣٣
٣- النفح، ج٣ ص٣٦٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال في رسالته المذكورة:[١]

أزاح الدهرُ حلوَ الماءِ عني ... على ظمأٍ وأسقاني زعاقَهْ
وبالمرجوِّ إنْ أظفرْ به من ... رضا المأمون يُحلي لي مذاقَهْ
وناس لفّني بهم شقاءٌ ... ألَمَّ فزمَّ في ساقي سباقَهْ
ولم يكُ لي بذاك العير عيرٌ ... ولا بقطيعِ ذاك الذود ناقَهْ
وربُتما استحال النحسُ سعداً ... فذاق المعتدي مما أذاقَهْ
وأعمى عين أهدى من قطاةٍ ... وشدّ بمثل مَفْحَصِها وَثاقَهْ
إذا سار الهلالُ إلى كمالٍ ... وتم بهاؤه فارقُب مُحاقَهْ
وإن عبوس هذا الدهر يأتي ... على أثرِ البشاشَةِ والطلاقَهْ
أضاع الدهر مني عَلْقَ فهمٍ ... إذا نظر المميِّزُ منه راقَهْ
وأيُّ فتىً لتقديم الأيادي ... لديه وأيُّ عبدٍ للعتاقَهْ

وقاله:[٢]

أأروى وبين ضلوعي حريقُ ... وأشجى وإنسانُ عيني غريقُ
وفي كلِّ يوم وفي كل حينٍ ... يحمِّلني الدهر ما لا أطيقُ
تهيم الخطوبُ بوصلي فما ... لهن إلى غير قلبي طريقُ
أيا واحدي وشقيقي ويا ... فريقاً يبكيه مني فريقُ
أخوك أخو نكباتٍ لها ... يرقُّ العدوُّ فكيف الصديقُ
كسدتُ ونظمي درٌّ نفيسٌ ... وضِعْتُ ونثريَ مسكٌ فتيقُ
ورأيي شهابٌ أجلّي العمى ... به وحديثيَ روضٌ أنيقُ
وما أظلم الجهلُ في معشرٍ ... وفي أفقهم من علومي شريقُ
ولو جاثليقٌ تخولته ... بموعظةٍ آمن الجاثليقُ

ومنها :

وطيفِ صديقٍ كريمٍ له ... بنفسي وإن بان عنّي لصوقُ
سرى واهتدى لي ومن دونه ... جدار معلىً وبابٌ وثيقُ
فشيَّعَهُ من دموعي انسكابٌ ... وودعه من فؤادي خفوقُ
وفارق ذا سقمٍ لا يبين ... لولا الزفير ولولا الشهيقُ

وقال:[٣]

وخِلٌّ يسليني على بعد داره ... ويكشفُ من كربِ الشوقِ المتيمِ
ودادِيَ موقوفٌ عليهِ وخُلّتي ... وفكريَ مشغولٌ به وتوهمي

١-إعتاب، ص٢١٨ - ٢١٩
٢- الذخيرة، ق٣ م١ ص٣٣٢ - ٣٣٣ . ٣- إعتاب، ص٢١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أنني من ضيقِ سجني وحيلتي ... بليتُ ما حدِّثتَ عن حِقْشِ أيِّمِ
أجانبُ فيه ذكرَ خلّي كرامةً ... وأخجل من طيفِ الخيال المسلّمِ
أرى نوَبَ الدنيا تروح وتغتدي ... فمن فرح ناءٍ وهمٍّ مخيمِ
إذا شئتَ إسعافَ الزمانِ وعطفه ... فبادر بدارَ المسرعِ المتغنِّمِ
ونادِ بيا يحيى يُحيكَ بالمنى ... وثنِّ بإسماعيلَ تسمُ وتعظُمِ
يعطفةِ ذي المجدين أرجو من الردى ... خلاصي ولو أُلقيتُ في شِدق أرقمِ

* * * * *

١٥- الحجر اليابس، أبو بكر، عبد الله بن عبد العزيز المرواني

له مع رساله حين ظفر به المنصور:(١)

فررتُ فلم يُغن الفرار، ومن يكن ... مع الله لا يُعجزه في الأرض هاربُ
ووالله ما كان الفرار لحالةٍ ... سوى حذر الموت الذي أنا راهبُ
ولو أنني وُفِّقتُ للرشد لم يكن ... ولكنَّ أمر الله لا بد غالب
وقد قادني جرّاً إليك برمَّتي ... كما اجترَّ ميتاً في رحى الحرب سالبُ
وأجْمَعَ كلُّ الناس أنك قاتلي ... وربُّت ظنٍ ربُّه فيه كاذبُ
وما هو إلا الانتقام فتشفى ... وتركك منه واجباً لك واجب
وإلا فعفوٌ يرتضي الله فِعلَه ... ويجزيك منه فوق ما أنت طالب
ولا نفس إلا دون نفسك، فليكن ... على قدرها قدرُ الذي أنت واهب
فما خاب من جدواك -مذ كنت- سائل ... ولا ردَّ دون المبتغى عنك راغب
وقد منحتْ كفّاك ما يُعجز الورى ... وعمت عموم الغيث منك المواهب
وإن حُمَّ تأخيرٌ لنفسي فليكن ... لتُلفِها من حاجب الملك حاجب
فما زال سبّاقاً إلى كل خَصلةٍ ... يسير بها في الأرض ماشٍ وراكب
فلا انفك لي مولاً ألوذ بعزِّهِ ... فيصرف عني الخطبَ والدهر عاتب

وقال يستشفع بالمظفر عبد الملك إلى أبيه المنصور:(٢)

ألا أيها الحاجب المرتجى ... وأكرم من كان أو من يكونْ
دعوتك دعوة مستصرخٍ ... أحاطت به وأثخنته المَنون
فإن لم تغثني فمن ذا الذي ... يلوذ به الخائف المستكين؟
جمعتَ التقى والعلى والنُّهى ... فمالٌ مذالٌ وعِرضٌ مصون

١- الحلة، ج١ ص٢١٨ - ٢١٩(وتنسب هذه الأبيات للمصحفي أيضاً ، انظر : ما تبقى من شعر المصحفي، ص١٧٧-١٧٨)
٢- الحلة، ج١ ص٢١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتفريجُ غمّاءَ عن حائنٍ ... يعود بك الحيُّ وهو الدفين
فقل لي: لعلاً من عثار له ... أناديك والموت لي مستبين
وإن جل ذنبي فأنت الجليل ... وهل لك فيمن عليها قرين؟

* * * * *

١٦- ابن حزم، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد

قال رضي الله عنه إذ حُبسَ يتشوقُ إلى أهله وولده (وتروى لغيره):[١]

مُسهَّدُ القلبِ في خدَّيه أدمُعُهُ ... قد طالما شرِقَت بالوجَد أضلُعُهُ
داني الهموم بعيدُ الدار نازحُها ... رجعُ الأنين سكيبُ الدمعِ مُفزَعُهُ
يأوي إلى زفراتٍ لو يُباشِرُها ... قاسي الحديدِ فُواقاً ذابَ أجمَعه
إذا تخلَّل في أرجائها فرِحاً ... ظلت قواصفها باليأس تقرعه
وإن وَنَتْ لوعَةٌ عن كُنهِ صولَتِها ... هبَّت له لوعةٌ رقشاءُ تلسعه
تاهت به في بحار الحزن فكرتُهُ ... حتى رمته سحيقاً ضلَّ مرجعهُ
كم فكرةٍ داهمتْهُ في مسارحها ... تسقيهِ سماً نقيعاً باتَ يجرَعُهُ
ذكرى أُفيراخِهِ في كل ناحيةٍ ... توحي إلى القلبِ أسراراً تُقطّعه
كم قد تحمل من أعباءِ نأيهمُ ... نِضْواً نبا بلذيذ النومِ مضجعه
قد عانَدَ الحُزنَ حتى عادَ يرحمه ... وسادرَ الدمع حتى جف مدمعه
وصارَ يرحمُهُ من قد كان يعذله ... لمَّا اصطفاهُ من الإعواز أشنعه
تجول حلَّته في ذاته فترى ... آثارَ ما الدهرُ بالأحرارِ يصنَعُهُ
جسم قد تخوّنت الأيام جثته ... فعاد كالشّنِ مرآهُ ومسمعُهُ
تناهبت نُوَبُ الدنيا محاسِنَهُ ... فالضيمُ ملبَسُهُ والسجنُ موضعهُ
يشكو إلى القيد ما يلقاه من ألمٍ ... فبالأنين لدى شكواهُ يُرجِعُهُ
يا هاجعاً والرزايا لا تؤرقهُ ... قل كيف يهجع من في الكبلِ مهجعه
أم كيف حالةُ حيٍّ ساكنٍ جَدَثاً ... يرنو بعين أسيرٍ عزَّ مطمعهُ
قد طال في هاويات السجن محبسه ... وانشتّ من شمله ما كان يجمَعُهُ
فكم زفيرٍ يقدُّ الصخرَ أيسره ... وكم أنينٍ بنار الوجد يشفعُهُ
ما رجّعت سجعها حيناً مطوَّقة ... إلا ومن فضل شجوي ما تُرجِّعُهُ
ولا تجرّع كأس الوجد من أحد ... إلا ومن فضلِ وجدي ما تجرَّعَهُ
يا راحلاً عند حيٍّ عنده رمقي ... اقرا السلام على من لم أودِّعُهُ
وسلهُ بالله عن عهدي أيحفظُه ... فعهده بمكانٍ لا أُضَيِّعُهُ

١- قطعة من شعر ابن حزم، ضمن كتاب إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ص٣٨٥ - ٣٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكيف عني وعن أنسي تصبُّرُه ... أم كيفَ بُعادي عنه أربُعُهُ
تجهّمت نُوَبُ الدنيا لعامرها ... فلا يدٌ عن يدِ الضراء تمنعُهُ
واطول شوقاه ما جدَّ البعاد بهم ... إليهمُ مُذ سعوْا للبين أفظَعُهُ
لئن تباعد جثماني فلم أرهم ... فعندَهُمْ وأبيكَ القلبُ أجمَعُهُ
أقول والدهرُ قد غالت غوائله ... وحطَّ مني مكاناً كانَ يرفَعُهُ
عسى لطائفُ من لا شيء يُعجزه ... تحنو على شملنا يوماً فتجمعهُ
بمبتني المجد مذ حُلت تمائمُه ... بحيثُ لا نُوبُ الدُنيا تضعضعه
بحيثُ يشتجرُ الخطيُّ في صفدٍ ... ويفطم السيفُ ذا بأسٍ ويُرضِعُهُ
بالحاجب المرتجى السامي أرومته ... إلى هِلال الذي بالسعدِ مطلَعُهُ
سما إلى غايةٍ في المجدِ سامية ... فنال غاية ما قد كان يُزمِعُهُ
فأصبحتْ قُللُ السامين خاضعةً ... لعِزّهِ وسماءُ المجدِ موضِعُهُ
وارتاحَ للعرفِ والحاجاتِ يُسألُها ... فغصَّ بالوفدِ والآمالُ مصنَعه
نِعمَ الشَفيعُ لمن ضاقَت مذاهبُهُ ... لدى الخليفة أسمى من يُشفّعه
وكُلُّ زارعٍ خيرٍ عند مضطهدٍ ... فسوف يحصد ما قد كان يزرَعُهُ
فعِش عزيزاً على الأيامِ محتكِماً ... ما هزَّ ذيلُ الصِبا غُصناً يزعزعه

* * * * *

١٨- أبو خالد، هاشم بن عبد العزيز.

كتب من محبسه إلى جاريته عاج:[١]

وإني عداني أن أزورك مطنَقٌ ... وبابٌ منيعٌ بالحديدِ مضبَّبُ
فإنْ تعجبي يا عاجُ مما أصابني ... ففي رَيْب هذا الدهر ما يُتَعَجَّبُ
وفي النفس أشياء أبيتُ بغمِّها ... كأني على جمر الغضى أتقلبُ
تركتُ رشادَ الأمر إذ كنتُ قادراً ... عليه فلاقيتُ الذي كنتُ أرهبُ
وكم قائل انجُ ويحَكَ سالماً ... ففي الأرض عنهم مستَرادٌ ومذهبُ
فقلتُ له إنَّ الفرار مذلّةٌ ... ونفسي على الأسواءِ أحلى وأطيبُ
سأرضى بحكم الله فيما ينوبني ... وما من قضاءِ الله للمرء مهربُ
فمن يكُ مسروراً بحالي فإنه ... سينهلُ في كاسي وشيكاً ويشربُ

وكتب إلى الوزير الوليد بن غانم أثناء أسره عند ابن مروان الجليقي:[٢]

١- الحلة، ج١ ص١٤٠ - ١٤١، والبيان، ج٢ ص١١٦
٢- الحلة، ج١ ص١٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكم غصةٍ نَهْنَهْتُ خوفَ أنْ يُسَرَّ بما أبديه شنآنُ كاشحُ
تحاملتُ عنه ثم نادمْتُ في الدجى نجومَ الثريا والدموعُ سوافحُ

* * * * *

١٩- ابن الخشاب، أبو عبد الله، محمد بن الخشاب

قال لأحد بني عبد المؤمن:(١)

مولاي قد أفسد ما بيننا إمالةُ السمع لقول الحسودْ
ماذا تراه قائلاً بعدما أبصرني بالرغم منه أسود

* * * * *

٢٠- ابن الخطيب، أبو الأصبغ، عبد العزيز بن الخطيب

قال:(٢)

رويدك أيها الشوق المذكِّي لنار صبابتي بالمهرجانِ
لقد أذكْرتَ مني غير ناسٍ وهِجتَ لي الصبابة غير وانيِ
أيوم المهرجان اعذر، فحالي تراها في البلاء كما تراني
ولو لم يثني طبقٌ وقيدُهُ لرحتُ، وقيد لي قصبُ الرهان

* * * * *

٢١- ابن الخطيب، أبو عبد الله، لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب

قال:(٣)

بَعُدْنا وإن جاورتنا البيوتْ وجئنا بوعظٍ ونحن صُموتْ
وأنفاسُنا سكنتْ دفعةً كجهر الصلاة تلاه القُنوتْ
وكنا عظاماً فصرنا عِظاماً وكنّا نقوتُ فها نحن قوتْ
وكنا شموسَ سماءِ العلا غَرُبْنَ فناحت علينا السموتْ
فكم جدَّلتْ ذا الحسام الظُبا وذو البخت خَذَلَتْهُ البُختْ
وكم سيق للقبر في خرقة فتى مُلئتْ من كساه التختْ
فقل للعِدا ذهب ابن الخطيب وفات ومن ذا الذي يفوتْ
ومن كان يفرح منهم له فقل يفرح اليوم من لا يموتْ

١- المغرب، ج٢ ص٧٥
٢-الجذوة، ص٤٥٦، والبيان، ج٢ ص٢٩٣
٣-ديوان الصيب والجهام، ص٨٥ - ٨٦، وتاريخ ابن خلدون، المجلد ٧ ص٧٠٩ - ٧١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر المقَّري[١] أنه رأى بفاس تخميساً لهذه الأبيات منسوباً إلى بعض بني الصبَّاغ، وزاد في الأصل على ما ذكره ابن خلدون من هذه القطعة، فلعل ابن خلدون اختصر منها أو لم يقف على الزائد.

والأبيات الناقصة المأخوذة من التخميس هي:

ومـدت وقـد أنكرتْنا الثـيـابُ علينا نسائجها العنكبوتْ (بعد البيت الثاني)
ومَنْ كـان منتظراً للزوال فكيف يُؤَمِّلُ منه الثبوتْ (بعد البيت الخامس)
سيَبْلَى الجديدُ إذا ما المدى تتابَعَ آحادُهُ والسبُوتْ (بعد البيت الاخير)
ولا تغترِرْ بسراب الحياة وإنك عما قريب تموت (بعد سابقه من التخميس)

* * * * *

٢٣- الرمادي، أبو جنيش، يوسف بن هارون

قال حين سجن يخاطب الموكل بباب السجن في شأن غلام من أولاد العبيد:[٢]

حبيسُك ممَّن أتلفَ الحُبُّ قلبَهُ ويلذعُ قلبي حرقةً دونها الجمر
هلالٌ وفي غير السماءِ طلوعُه ورئمٌ ولكن ليس مسكنَه القفرُ
تأمَّلت عينيه فخامرني السُّكر ولا شكَّ في أنَّ العيون هي الخمرُ
أناطِقُهُ كيما أقولُ وإنّما أناطقُهُ عمداً لينتثر الدُّرُّ
أنا عبدُه وهو المليك كما اسمُه فلي منه شطرٌ كاملٌ وله الشطرُ

وقال:[٣]

وكم ليلةٍ جمَّعتنا وأدبرت تنوحُ على تفريقنا وتَلَهَّفُ
وليةِ أنس قد غمرنا ظلامها بأوجهِ راحٍ تستنير فترشف
إلى أن بدا وجهُ الصَّباح كأنّما تحمَّل لقمانٌ وأقبل يوسفٌ

وقال:[٤]

على كبدي تهمي السَّحاب وتذرفُ ومن جزعي تبكي الحمامُ وتهتف
كأنَّ السَّحاب الواكفات غواسلي وتلك على فقدي نوائحُ هتَّفٌ
إلا ظعنت ليلى وبان قطينها ولكنني باقٍ فلوموا وعنِّفوا
وأنستُ في وجه الصباح لَبَيْنِها نحولاً كأنَّ الصُّبح مثلي مدنفُ
واقربُ عهدٍ رشفةٌ بلَّت الحشا فعاد شتاءً بارداً وهو صَيِّفُ

١-النفح ج٥ ص١١٢ - ١١٥
٢-شعر الرمادي يوسف بن هارون، ص٧١
٣-شعر الرمادي، ص٨٨
٤-شعر الرمادي، ص٨٨ - ٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت على خوفٍ فولت كأنها ... من الرِّدف في قيد الخلاخل ترسفُ
وأهدت سلاماً عن بنان كأنّها ... التماعاً ووحياً بارقٌ متخطّفُ
بمعصم كافور بياضاً، تُكِنُّهُ ... بغاليةٍ من صبغه وتُطرّفُ

وقال :(١)

فوافوا بنا الزهراءَ في حال خالع الـ ... أئمةِ لاستيغالهم في التوثُّقِ
وحوليَ من أهل التأدُّب مائتمٌ ... ولا جؤذرٌ إلا بثوبٍ مشقَّقِ
فلو أن في عيني الحمام كروضها ... وإن كان في ألوانه غير مُشْفِقِ
ونادى حمامي مهجتي لتغافلتْ ... فهلاّ أجابت وهو عندي لمحنق
أعينيَّ إن كانت لدمعيَ فضلةٌ ... تثبت صبري ساعةً فتدفَّقي
فلو ساعدت قالت: أمِنْ قلّة الأسى ... تنقَّت دموعي أم من البحر تستقي

ومنها:

تكلفني أن أُعتبَ الدهرَ أنها ... لجاهلةٌ مَنّ لي بأعتابِ محنقِ
وقالت: تظن الدهرَ يجمع بيننا ... فقلتُ لها: مَنْ لي بظنٍّ محققِ
ولكني فيما زجرتُ بمقلة ... زجرتُ اجتماع الشمل بعد التفرُّقِ
فقد كانت الأسفارُ في مثل بُعدِنا ... فلما التقتْ بالطيفِ قالت: سنلتقي
أباكيةً يوماً ولم يأتِ وقتُهُ ... سينفذ قبل اليوم دمعُكِ فارفقي
ومُذْ لم تريني أنت في ثوب ضائع ... لعمري لقد حفَّت بعيٍّ ممزقِ

وقال في السجن أيضاً:(٢)

نسائلها هلاّ كفاكِ نحولُهُ ... ونَصْبَتُهُ أو دمعه وهموله
تكنّفه همّان: شجوٌ وصبوةٌ ... فبُلِّغ واشيه المنى وعذوله
فإن يستبن في وجهه همُّ سجنه ... فقد غاب في الأحشاء عنكِ دخيله
مُعنىً بكتمان الحبيب وحبّه ... فإن يقتل الكتمان فهو قتيله

ومنها:

وأقبلن من نحو الحبيب كأنما ... تحاشد نحوي جفنُهُ ونصوله
دعوني أشِمْ بالباب برقَ أحبتي ... قواماً فلم يسمح بذاك وكيله
يعم فلا يألو حصاراً لعلّه ... سيودي فيودي بَثُّهُ وأليله
فلو كان في هذا الحصار سميه ... لأنساه طولَ السبع في اليوم طوله
لقد راعني سجنٌ فشطَّ ولو دنا ... من السجن لم يسهل عليَّ دخوله
يعزُّ على الورد النضير حلوله ... ولم يكن عند المستهام نزوله

١- المطمح ، ص ٣١٨ -٣١٩ .
٢-شعر الرمادي، ص١٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٤- الزبراكة، أبو الأصبغ، عيسى بن قرلمان الخازن

قال:[١]

كأنني سامعٌ بعدي وقد ذهبت ... نفسي ووافاني المحذورُ من أجَلي
قولينِ والنَّعشُ موضوعٌ على جدثي ... قولاً عليَّ بمكروهٍ وآخرَ لي
من شامتٍ بي أو محضِ الودادِ ولم ... ينفَع ولا ضرَّ إلا سالفُ العملِ

* * * * *

٢٥- ابن زنون، أبو الحسن بن زنون

كتب وهو أسير بقيجاطة عند الإفرنج:[٢]

ما كان أحوجني إلى رجلٍ ... يأتي فينبهني في فحمة الغَلَسِ
يفكُّ قيدي وغِلِّي غير مرتقبٍ ... ولا مُبالٍ من الحُجَّابِ والحرسِ
وقوله لي تأنيساً وتسلية ... هذا سلاحي فالبسه وذا فرسي
فلو جُبُنْتُ ولم أقبل مقالته ... وامتطي الطّرفَ وثباً فعل مفترس
إذن خلعتُ لباس المجدِ من عنقي ... وصار حظي منه حظ مختلسِ
وأخلفتني أمانيَّ التي طمَحَتْ ... نفسي إليها وإحساني لكلِّ مُسي

* * * * *

٢٦- ابن زيدون، أبو الوليد، أحمد بن عبد الله بن زيدون

قال:[٣]

تنشق من عرْف الصَّبا، ما تنشقا ... وعاودهُ ذِكرُ الصِّبا فتشوقا
وما زال لمعُ البرقِ، لما تألّقا ... يهيبُ بدمعِ العين حتى تدفقا
وهل يملك الدّمعَ المشوقُ المُصَبّأ؟
خليليّ، إن أجزع، فقد وضح العذرُ ... وإن استطعْ صبراً، فمن شيمتي الصبرُ
وإن يكُ رُزءاً ما أصابَ به الدّهرُ ... ففي يومنا خمرٌ، وفي غده أمرُ
ولا عجبٌ، إن الكريمَ مرزّأ
رمتني الليالي عن قِسيٍّ النوائبِ ... فما أخطأتني مُرْسَلاتُ المصائبِ
أقَضّي نهاري بالأماني الكواذبِ ... وأوي إلى ليلٍ بطيءِ الكواكبِ
وأبطأ سارٍ كوكبٌ باتَ يُكلأ

١- الجذوة ص٤٧٣، والبغية، ص٤٠١
٢-النفح، ج٤ ص١٦
٣-ديوان ابن زيدون، ص٣٧ - ٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقرطبةُ الغرّاء! هل فيك مطمعُ؟ وهل كبدٌ حرّى لبَيْنِك تُنقعُ؟
وهل لياليك الحميدة مرجعُ؟ إذ الحُسنُ مَرأىً فيكِ، واللّهوُ مَسْمَعُ
وإذ كنفُ الدنيا، لديكِ، مَوطّأُ

أليس عجيباً أن تشُطّ النّوى بكِ؟ فأحيا كأنْ لم أنس نفحَ جَنابكِ؟
ولم يلتئم شعبي خِلال شِعابكِ ولم يكُ خلقي، بدؤه من ترابكِ
ولم يكتنفني، من نواحيكِ، مَنْشَأُ

نهارك وضّاحٌ، وليلكِ ضَحيانُ وتُربك مصبوحٌ، وغصنك نشوانُ
وأرضُكِ تُكسى، حينَ جَوُّكِ عُريانُ وريّاكِ رَوْحٌ، للنّفوسِ، وريحانُ
وحسب الأماني ظلُّكِ المتفيّأُ

أأنسى زماناً بالعُقابِ مُرفّلا وعيشاً بأكنافِ الرُّصافةِ دغفلا
ومغنىً، إزاءَ الجعفريةِ، أقبلا لنِعمَ مَرادُ النّفسِ روضاً وجدولاً
ونِعمَ مَحلُّ الصّبوةِ المتبوّأُ

ويا ربَّ مَلهىً بالعقيقِ، ومجلسٍ لدى تُرعةٍ، تدنو بأحداقِ نرجسِ
بطاحُ هواءٍ مُطمِعِ الحالِ مؤيسِ مغيمٍ ولكن، من سنا الرّاحِ، مشمسِ
إذا ما بدت، في كأسها، تتلألأُ

وقد ضمنا، من عين شُهدةَ، مشهَدُ بَدَأنا وعدنا فيه، والعودُ أحمدُ
يزف، عروس اللّهو، أحورُ أغيدُ له مبسمٌ عذبٌ، وخدٌّ مورّدُ
وكفٌّ بحنّاءِ المدامِ، تُقنّأُ

وكائن عدونا، مُصعِدينَ، على الجسرِ إلى الجَوْسَقِ النّصريّ، بين الرُّبى العُفرِ
ورحنا إلى الوَعْساء من شاطىء النهرِ بحيثُ هُبوبُ الرّيحِ، عاطرةِ النّشرِ
علا قُضُبَ النّوارِ، فهي تكفّأُ

وأحْسِنْ بأيامٍ، خلونَ، صوالحٍ بمصنعة الدولاب، أو قَصرِ ناصحِ
تهز الصِّبا، أثناء تلك الأباطحِ صفيحَةَ سَلْسال الموارد سائحِ
ترى الشمس تجلو نصلَها حين يَصدأُ

ويا حبّذا الزّهراءُ، بهجةَ منظرٍ ورقةَ أنفاسٍ، وصحّةَ جوهَرِ
وناهيك من مبدا جمال ومحضرٍ وجنةِ عدنٍ تطيّبيك وكوثرِ
بمرأىً يزيدُ العمرَ، طيباً، ويَنْسَأُ

معاهدُ، أبكيها، لعهدٍ تصرّما أغضّ، من الوردِ الجَنيّ، وأنعما
لبسنا الصِّبا فيها حَبيراً مُنمنما وقُدنا، إلى اللذاتِ، جيشاً عرمرما
له الأمنُ رِدءٌ، والعداوة مَرْبأُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كساها الرّبيعُ الطّلقُ وشيَ الخمائلِ وراحت لها مرضى الرّياح البلائل
وغادى بَنُوها العيشَ، حُلوَ الشّمائلِ ولا زال منّا، بالضّحى والأصائلِ
سلامٌ، على تلك الميادين، يقرأ

أإخواننا للواردين مصادرُ ولا أوّلٌ إلا سيتلوه آخرُ
وإني لإعتابِ الزّمانِ، لناظرُ فقد يستقيلُ الجَدُّ، والجَدُّ عاثرُ
وتُحمدُ عقبى الأمرِ ما زال يُشْنأُ

ظعَنتُ فكان الحُرُّ يُجفى فيظعنُ وأصبحت أسلو بالأسى، حين أحزنُ
وقَرَّ، على اليأسِ، الفؤادُ المُوَطّنُ وإنّ بلاداً، هُنْتُ فيها، لأهونُ
ومن رام مثلي بالدّنيةِ أدنأُ

ولا يغبطُ، الأعداءَ، كونيَ في السّجنِ فإني رأيتُ الشّمس تُحصنُ بالدَّجْنِ
وما كنت إلا الصارمَ العَضْبَ في جَفْنِ أوِ اللّيثَ في غابٍ، أو الصّقرِ في وَكْنِ
أو العِلقَ يُخفى، في الصّوارِ، ويُخْبَأُ

يضيقُ، بأنواع الصّبابة، مذهبي إلى كل رحب الصّدر، منك مهذبِ
مفضّضِ لألاءِ الأساريرِ، مُذهَبِ ينافس، منه البدرُ، غرّةَ كوكبِ
درى أنها أبهى سناءً، وأضوأُ

أسِفْتُ، فما أرتاحُ، والرّاحُ تُثملُ ولا أُسعفُ الأوتارَ، وهي تَرَسَّلُ
ولا أرعوي عن زفرةٍ، حين أعذلُ ولا ليَ، مذْ فارقتُكُمْ، مُتَعلّلُ
سوى خبرٍ منكم، على النّأي، يُطْرأُ

حمدتُم، من الأيّام، لينَ خلالها وسرّتكم الدّنيا بحُسنِ دلالها
مؤمّنةً من عَتْبِها ومَلالها ولا زال منكم، لابسٌ من ظلالها
يسوّغ أبكارَ المُنى ويُهَنّأُ

وقال وهو في السجن يهجو أبا الحزم:[1]

قل للوزير، وقد قطَعتُ بمدحه زمني، فكان السّجنُ منه ثوابي:
لا تخش في حقي بما أمضيتُه مِن ذاك فيّ، ولا توقّ عتابي
لم تُخطِ في أمري الصّواب موفّقاً؛ هذا جزاءُ الشّاعرِ الكذّابِ!

١-ديوان ابن زيدون، ص٢٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال يمدح أبا الحزم بن جهور، ويستشفع به:[١]

أمـا وألحـاظ مـراضٍ صِـحـاحْ، تُصـبي، وأعطافٍ نشاوى صَـواحْ
لفـاتنٍ بالحُـسنِ، في خـدّهِ وردٌ، وأثـنـاءَ ثـنـايـاهُ راحْ
لـم أنسَ، إذ بـاتـت يـدي لـيـلـةً وشـاحَـه اللاصقَ دون الوشـاحْ
ألْمَـمْتُ بالألطف منهُ، ولم أجنحْ إلى مـا فـيـه بعضُ الجُناحْ
لأُصْـفِـيَنَّ المصطفى جـهـوراً عـهداً، لروضِ الحُسنِ عنه انتضاحْ
جـزاءَ مـا رفَـهَ شُـرْبَ المُنى وأذَّنَ السَّـعيُ بوشكِ النّجـاحْ
يسّـرتُ آمـالي بتـأمـيله فـمـا عـداني منهُ فـوزُ القِداحْ
لم أشمِ البـرق جـهـامـاً، ولم اقـتـدِحِ الصُّمَّ بيضِ الصِّـفـاحْ
من مِـثـلُهُ، لا مِـثـلَ يُلفى لَهُ إن فـسـدت حـالٌ، فـعـزّ الصلاحْ
يا مـرشـدي، جـهـلاً إلى غـيـرهِ أغنى عن المصباح، ضَوْءُ الصّباحْ
ركينُ، مـا تُثنى عليـه الحُـبـا يهـفـو به نحـو الثّناءِ ارتياحْ
ذو باطنٍ أقـبسَ نورَ التّـقـى وظاهرٍ أشـربَ مـاءَ السّـمـاحْ
انظر تر البـدرَ سَنَاً، واختـبـر تجـده كـالمسكِ، إذا مـيـثَ فـاحْ
إيه أبا الحـزم! اهتـبلْ غِـرَّةً، ألسنةُ الشّكر عليـهـا فـصـاحْ
لا طـار بـي حـظٌّ إلى غـايـةٍ إن لم أكن منك مَـريشَ الجناحْ
عُـتـبـاكَ بعـدَ العَـتْبِ أمنيّـةٌ مـا لي، على الدهر، سـواها اقـتـراحْ
لم يُثْنِني عن أملٍ، مـا جـرى، قـد يُرقَع الخـرقُ وتؤسَى الجـراحْ
فـاشـحـذ، بحسن الرّأي، عـزمي يُرع منـي العِـدا، أليسَ شـاكي السّـلاحْ؟
واشـفـع، فللشّـافع نُعـمى بما سنّاهُ من عَـقـدٍ، وثيقِ النُّواحْ
إن سـحـاب الأفق منهـا الحـيـا والحـمـدُ في تأليـفـهـا للرّياح
وقـاكَ، مـا تخـشى من الدّهر، مَنْ تَعِـبْتَ في تأمـيـنه، واسـتـراحْ

١- ديوان ابن زيدون، ص١٤٥ - ١٤٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعث بهذه القصيدة من سجنه إلى أبي الحزم بن جهور يمدحه بها:[1]

ما جال بعدكِ لحظي في سنا القمرِ ... إلا ذكرتكِ ذكرَ العين بالأثرِ
ولا استطلتُ ذَماءَ اللّيلِ من أسفٍ ... إلا على ليلةٍ سرّت مع القصرِ
ناهيكِ من سهرٍ بَرْحٍ، تألّفهُ ... شوقٌ إلى ما انقضى من ذلك السّمرِ
فليت ذاك السّوادَ الجَونَ متّصلٌ ... لو استعار سواد القلب والبصرِ
أمّا الضّنى، فجنتهُ لحظةً عننٌ ... كأنها والرّدى جاءا على قَدَرِ
فهمتُ معنى الهوى من وحيِ طرفكِ لي ... إن الحوار لمفهومٌ من الحَوَرِ
والصّدرُ، مذ وردت رِفهاً نواحيهُ، ... تُومُ القلائدِ لم تجنح إلى صدرِ
حُسنٌ أفانينُ لم تستوفِ أعيننا ... غاياته بأفانينٍ من النّظرِ
واهاً لثغرك ثغراً بات يكلؤهُ ... غيرانُ، تسري عواليهِ إلى الثّغرِ
يقظان لم يكتحل غمضاً، مراقبةً ... لرابط الجأش، مقدامٍ على الغررِ
لا لهو أيّامه الخالي بمرتجعٍ ... ولا نعيم لياليهِ بمنتظرِ
إذ لا التّحيةُ إيماءٌ مخالسةً؛ ... ولا الزّيارةُ إلمامٌ على خطرِ
منيٌّ، كأن لم يكن إلا تذكرها ... إن الغرام لمعتادٌ مع الذّكرِ
من يسأل الناسَ عن حالي فشاهدها ... محضُ العِيانِ الذي يغني عن الخبرِ
لم تطو بُرد شبابي كبرةٌ، وأرى ... برقَ المشيبِ اعتلى في عارضِ الشّعرِ
قبل الثلاثين، إذ عهد الصّبا كثبٌ، ... وللشبيبة غُصنٌ غيرُ مهتصَرِ
ها إنها لوعةٌ في الصّدر، قادحةٌ ... نار الأسى، ومشيبي طائرُ الشّررِ
لا يُهنىءِ الشامتَ المرتاح خاطرهُ، ... أنّي مُعَنّى الأماني، ضائعُ الخطرِ
هل الرّياحُ بنجمِ الأرض عاصفةٌ؟ ... أم الكسوف لغير الشمسِ والقمرِ؟
إن طال في السّجن إيداعي فلا عجبٌ! ... قد يودعُ الجفنَ حدُّ الصّارمِ الذكرِ
وإن يُثبّطْ، أبا الحزم الرّضى، قدرٌ ... عن كشفِ ضرّي فلا عتبٌ على القدرِ
ما للذّنوبِ، التي جاني كبائرها ... غيري، يحمّلُني أوزارَها وَزَري
من لم أزل من تأنّيهِ على ثِقةٍ ... ولم أبتْ، من تَجنيهِ، على حذرِ
ذو الشّيمةِ الرّسل إن هيجت حفيظتُه، ... والجانب السّهلِ والمستعتبِ اليَسَرِ
من فيه للمُجتلى والمُبتلى، نسقاً ... جمالُ مرأى، عليه سرْوُ مختبرِ
مذلّلٌ للمساعي حُكمها شططاً ... عليه، وهو العزيز النّفسِ والنّفرِ
وزير سلمٍ، كفاهُ يُمنُ طائره ... شؤمَ الحروب ورأيٌ مُحصَدُ المِرَرِ
أغنتْ قريحتُه مغنى تجاربهِ ... ونابتِ اللّمحةُ العجلى عن الفكَرِ

١- ديوان ابن زيدون، ص١٤٧ - ١٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كم اشترى، بكرى عينيه، من سهرٍ ... هدوءُ عين الهُدى في ذلك السّهر
في حضرةٍ غاب صرف الدّهر خشيته ... عنها، ونام القطا فيها، فلم يَثُرِ
ممتّعٌ بالربيع الطّلق نازلُها ... يلهيه عن طيب أصالٍ ندى بُكَرِ
ما إن يزالُ يبثُّ النّبتَ في جَلدٍ ... مذ ساسها، ويُفيضُ الماءَ من حجرِ
قد كنت أحسبُني والنّجمَ في قرنٍ ... ففيم أصبحتُ منحطّاً إلى العَفَرِ؟
أحينَ رفّ على الآفاق، من أدبي ... غرسٌ، له من جناه يانع الثّمرِ؟
وسيلةٌ سببٌ، إلا تكن نسباً، ... فهو الودادُ صفا من غير ما كدرِ
وبائن من ثناءٍ، حسنه مَثَلٌ ... وشيُ المحاسن منه معلَمُ الطُّرَرِ
يستودع الصُّحف، لا تخفى نوافحُهُ ... إلا خفاءَ نسيم المسكِ في الصُّررِ
من كلّ مختالةٍ بالحبر، رافلةٍ ... فيه، اختيال الكَعابِ الرُّودِ بالحبرَ
تجفى لها الرّوضةُ حيّاً وهو إن فنيت ... مجالُ دمعِ النّدى في أعيُنِ الزّهرِ
يا بهجةَ الدّهرِ حيّاً وهو إن فنيت ... حياته، زينةُ الآثارِ والسّيرِ
لي في اعتمادك، بالتأميل، سابقةٌ ... وهجرةٌ في الهوى، أولى من الهِجَرِ
ففيم غضّت همومي من عُلا هممي، ... وحاصَ بي مطلبي عن وجهه الظّفرِ
هل من سبيلٍ، فماءُ العتب لي أسنٌ، ... إلى العذوبةِ من عتباك والخصرِ؟
نذرتُ شكرك، لا أنسى الوفاء به، ... إن أسفرت لي عنها أوجه البُشَرِ
لا تله عني، فلم أسألك، مُعتسِفاً، ... ردَّ الصّبا، بعد إيفاءٍ على الكِبَرِ
واستوفر الحظ من نصحٍ وصاغيةٍ، ... كلاهما العِلقُ لم يوهب ولم يُعَرِ
هبني جهلتُ فكان العِلقُ سيّئةً؛ ... لا عذر منها سوى أنّي من البشرِ
إنّ السّيادة، بالإغضاء، لابسةٌ ... بهاءها، وبهاء الحُسن في الخفرِ
لك الشّفاعة، لا تثنَى أعِنّتُها، ... دون القبولِ بمَقْبولٍ من العذرِ
والبس من النعمةِ الخضراءِ أيكتها، ... ظلاً حراماً على الآفاتِ والغيرِ
نعيمَ جَنّةِ دنيا إنْ هي انصرمت، ... نَعِمتَ بالخلد في الجنّاتِ والنّهرِ

وقال يشكو ويمدح ابن جهور:(١)

ألم يأن أن يبكي الغمامُ على مثلي، ... ويَطلبَ ثأري البرق منصلتَ النصلِ
وهلا أقامت أنجُم اللّيل مأتماً، ... لتندبَ في الآفاق ما ضاع من نثلي
ولو أنصفتني، وهي أشكالُ همتي، ... لألقت بأيدي الذّل لمّا رأت ذُلّي
ولا فترقت سبعُ الثّريّا، وغاضها، ... بمطلعها، ما فرّق الدّهرُ من شملي
لعمرُ اللّيالي! إن يكن طال نزعها ... لقد قرطَسَتْ بالنّبل في موضعِ النُّبلِ

١-ديوان ابن زيدون، ص١٥٩ - ١٦٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحلّت بآدابي، وإنّ مآربي
لسانحةٌ في عرض أمنيةٍ عُطلِ

أخَصُّ لفهمي بالقِلى، وكأنّما
يبيت، لذي الفهم، الزمان على ذحلِ

وأجفى، على نظمي لكلّ قِلادةٍ
مفصّلةِ السِّمطين، بالمنطقِ الفصلِ

ولو أنني أسطيعُ، كي أُرضي العِدا
شريت ببعض الحلم حظّاً من الجهلِ

أمقتولة الأجفان! ما لكِ والهاً؟
ألم تُرك الأيّام نجماً هوى قبلي؟

أقِلي بكاءً، لست أول حُرّة
طوت بالأسى كشحاً على مضض الثّكلِ

وفي أم موسى عبرةٌ أن رمت به
إلى اليمّ، في التابوت، فاعتبري واسْلي

لعل المليكَ المجملَ الصُّنعِ قادراً
له بعد يأسٍ، سوف يُجملُ صُنعاً لي

ولله فينا علمُ غيبٍ، وحسبنا
به، عند جورِ الدّهر، من حكمِ عدلِ

هُمامٌ عريقٌ في الكرامِ، وقلّما
ترى الفرع إلا مستمداً من الأصلِ

نهوضٌ بأعباء المروءةِ والتّقى
سحوبٌ لأذيالِ السّيادة والفضلِ

إذا أشكل الخطب الملّم، فإنه
وآراءهُ، كالخط يوضحُ بالشّكلِ

وذو تُدرإٍ للعزم، تحت أناته،
كُمونُ الرّدى في فترة الأعين النُّجلِ

يرفُّ، على التّأميلِ، لألاءُ بِشره
كما رفّ لألاءُ الحُسامِ على الصّقلِ

محاسنُ، ما للحسنِ في البدرِ علّةٌ،
سوى أنّها باتت تُملّ فيستملي

تُغِصّ ثنائي، مثلما غصّ جاهداً،
سوارُ الفتاة الرّادِ بالمعصمِ الخدلِ

وتَغنى عن المدح، اكتفاءً بسروها،
غنى المُقلةِ الكحلاء عن زينةِ الكُحلِ

أبا الحزم! إني في عتابك، مائلٌ
على جانبٍ، تأوي إليه العلا، سهلِ

حمائمُ شكوى صبّحتكَ، هوادلاً،
تناديكَ من أفنانِ آدابي الهُدلِ

جوادٌ، إذا استنّ الجيادُ إلى مدىً
تمطّرَ فاستولى على أمد الخصلِ

ثوى صافناً في مربط الهون يشتكي،
بتصهاله، ما ناله من أذى الشّكلِ

أفي العدلِ أن وافتك تَتْرَى رسائلي
فلم تَتْرُكَنْ وضعاً لها في يديْ عدلِ؟

أعدُّكَ للجلّى، وآمل أن أرى،
بنعماك، موسوعاً، وما أنا بالغفلِ

وما زال وعدُ النّفس لي منك بالمنى،
كأني به قد شمتُ بارقةَ المحلِ

أئنْ زعم الواشون ما ليس مزعماً
تعذّرُ في نصري وتُعْذِرُ في خذلي؟

وأصدى إلى إسعافك السّائغ الجنى
وأضحى إلى إنصافك السّابغ الظل

ولو أنني واقعتُ عمداً خطيئةً،
لما كان بدعاً من سجاياك أن تُملي

فلم أستثرْ حرب الفُجّار، ولم أطع
مسيلمةً، إذ قالَ: إني من الرُّسلِ

ومثليَ قد تهفو به نشوةُ الصِّبا
ومثلك قد يعفو، وما لك من مثلِ

وإني لتنهاني نُهايَ عن التي
أشاد بها الواشي، ويعقلني عقلي

أأنكثُ فيك المدح، من بعد قوةٍ
ولا أقتدي إلا بناقضة الغزلِ!

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذممت إذاً عهدَ الحياةِ، ولم يزل مُمراً على الأيّامِ، طعمها المحلي
وما كنت بالمُهدي إلى السودد الخَنا ولا بالمسيء القولِ في الحسنِ الفعلِ
وما لي لا أُثني بآلاء منعمٍ، إذا الرّوض أثنى، بالنسيم، على الطّلّ
هي النّعل زلّت بي، فهل أنت مكذبٌ لقيل الأعادي إنّها زلّةُ الحِسلِ؟
وهل لك في أن تشفع الطّوْلَ شافعاً فتنجحُ ميمون النّقيبة، أو تتلي؟
أجر أعد آمن أحسن ابدأ عُدِ اكْفِ حُط تحفّ ابسطِ استألفْ صن احمِ اصطنع أعلِ
منى، لو تسنّى عقدها بيد الرّضا تيسّر منها كلُّ مستصعبَ الحلّ
ألا إنّ ظني، بين فعليك، واقفٌ وقوفَ الهوى بين القطيعة والوصلِ
فإن تمن لي منك الأماني، فشيمةٌ لذاك الفعال القصد والخُلقِ الرّسلِ
وإلا جنيتُ الأنس من وحشةِ النوى وهول السُّرى بين المطية والرّحل
سيعنى بما ضيّعتَ منّي حافظٌ ويُلفى لما أرخصت من خطري مُغلي
وأين جوابٌ عنك ترضى به العلا، إذا سألَتْني بعدُ ألسنةُ الحفلِ؟

بعث ابن زيدون بهذه القصيدة من سجنه يخاطب الوزير أبا حفص بن برد:(١)

ما على ظنّي باسُ يجرح الدّهر وياسو
ربّما أشرف بالمر ءِ، على الآمالِ، ياسُ
ولقد ينجيك إغفا لٌ ويُرديك احتراسُ
والمحاذير سهامٌ والمقاديرُ قياسُ
ولكم أجدى قُعودٌ ولكم أكدى التماسُ
وكذا الدهر إذا ما عزّ ناسٌ، ذلّ ناسُ
وبنو الأيّامِ أخيَا فٌ: سَراةٌ وخِساسُ
نَلْبَسُ الدّنيا، ولكن متعةٌ ذاكَ اللّباسُ
يا أبا حفصٍ، وما ساواكَ، في فَهمٍ، إياسُ
من سنا رأيكَ لي، في غسقِ الخطبِ، قياسُ
ووِدادي لكَ نصٌّ، لم يخالفه قياسُ
أنا حيرانُ، وللأمرِ وضوحٌ والتباسُ
ما ترى في معشرٍ حالوا عن العهد وخاسوا
ورأوني سامِرياً يتّقي منهُ المَساسُ
أذؤبٌ هامت بلحمي، فانتهاشٌ وانتهاسُ

١- ديوان ابن زيدون، ص٨١ - ٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلُّهُمْ يسـألُ عن حالي ... وللذئب اعتساسُ
إن قسا الدّهرُ فللماء ... من الصخر انبجاسُ
ولئن أمسَيْتُ مَحْبوساً ... فللغيث احتباسُ
يلبدُ الوردُ السَّبَنْتى، ... وله بعد افتراسُ
فتأملْ! كيفَ يغشى ... مقلةَ المجد النّعاسُ؟
ويُفَتّ المسكُ في التُّرب، ... فيوطا ويُداسُ؟
لا يَكُنْ عهدُكَ وَرْداً! ... إنّ عهدي لكَ آسُ
وأدِر ذكريَ كأساً، ... ما امتطت كفك كاسُ
واغتنم صفو اللّيالي ... إنما العيشُ اختلاسُ
وعسى أن يسمح الدّهرُ، ... فقد طال الشّماسُ

وقال يمدح الوزير ابن جهور ويشكو سوء حاله:(١)

الهوى في طلوع تلك النجومِ ... والمنى في هبوب ذاك النّسيمِ
سرّنا عيشنا الرّقيق الحواشي ... لو يدوم السّرورُ للمستديمِ
وطرٌ ما انقضى إلى أن تقضّى ... زمنٌ، ما ذِمامه بالذميمِ
إذ ختامُ الرّضا المسوَّغِ مسكٌ ... ومزاجُ الوِصالِ منْ تسنيمِ
وغريضُ الدلالِ غضٌّ، جنى الصّبوة، ... نشوانُ من سلاف النّعيمِ
طالما نافرَ الهوى منهُ غِرٌّ، ... لم يَطُلْ عهدُ جيده بالتّميمِ
أيّها المؤذني بظُلمِ اللّيالي، ... ليس يومي بواحدٍ من ظلومِ
قمرُ الأفق، إن تأمّلت، والشّمسُ ... هما يُكسفانِ دونَ النّجومِ
وهو الدّهر ليسَ ينفكّ ينحو ... بالمصاب العظيم نحو العظيمِ
بوّأ الله جهوراً شرفَ السّؤدد، ... في السّروِ، واللُّبابِ الصّميمِ
واحدٌ، سلّمَ الجميعُ لهُ الأمرَ، ... فكان الخصوص وَفْقَ العُمومِ
قلّدَ الغمرُ ذا التجاربِ فيه ... واكتفى جاهلٌ بعلم العليمِ
خطرٌ يقتضي الكمالَ بنوعيْ ... خُلقٍ بارعٍ، وخلقٍ وسيمِ
أيّها ذا الوزير ها أنا أشكو، ... والعصا بدءُ قَرعِها للحليمِ
ما عنانا أن يأنفَ السّابقُ المربطَ ... في العتقِ منهُ والتّطهيمِ
وبقاءُ الحُسامِ في الجفنِ يثني ... منهُ، بعدَ المضاءِ، والتّصميمِ
أفصبرٌ مِئِينَ خمساً منَ الأيّامِ، ... ناهيكَ من عذابٍ أليمِ!

١- ديوان ابن زيدون، ص١٢٣ - ١٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَمُـــــعَنًّىً من الضّنى بهَنَاتٍ، نكأتْ بالكُلومِ قـــــرح الكُلومِ
سـقمٌ لا أعـادُ فـيـهِ وفي العـائدِ أنسٌ يفي ببُـــرْءِ السّـــقـــيم
نـارُ بـغـيٍ سـرى إلى جنـة الأمـن لظاها، فـأصـبَـحَت كـالصّـريمِ
بـأبـي أنـت، إن تـشـــأ، تـكُ بـرداً وســـلامـــاً، كنار إبـراهـيـم
للشّـفـيعِ الثّناءُ، والحـمـدُ في صـوبِ الحـيـا للرّياحِ، لا للغـيـومِ
وزعـيـمٌ، بأن يُذلّل لي الصّـعبَ مـثـابي إلى الهُـمـامِ الزّعـيمِ
ووداد، يغـيّـرُ الدهرُ مـا شـاءَ ويبـقى بقـاءَ عـهـدِ الكريمِ
وثناءٌ، أرسلتُـهُ سلوةَ الظّاعن عن شـوقِـهِ، ولهـوَ المُقـيمِ
فـهـو ريحـانةُ الجليسِ، ولا فـخـرَ، وفـيـه مـزاجُ كـأسِ النّديمِ
لم يزل مُـغـضـياً على هفـوةِ الجاني، مـصـيـخـاً إلى اعـتـذار الكريمِ
ومـتى يبـدأ الصّنيـعـةَ يولِعكَ تمامُ الخـصـال بالـتـتـمـيم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٧- الشبانسي، أبو محمد، قاسم بن محمد القرشي المرواني

قال:[١]

يا من برحماه أستَغيثُ وحُقَّ لي ... من الغياث عُلاكَ استر عليَّ دمي
لا أبتغي فيه سوى سنن الهدى ... غرضاً وأقضية الكتاب المُحْكَمِ
وتثبَّتَ المنصورُ مولانا وسيدنا الـ ... ـموفَّقُ في القضاءِ الملهم
ليموتَ أو يحيا بعدل قضائه ... فيرى اليقين عيانُ من لم يعلم
ناشدتك الله العظيم وحقه ... في عبدك المتوسل المتحرِّم
بوسائل المدح المعاد نشيدُها ... في كل مجمع موكب أو موسم
لا يُستَبَحْ منه حِمىً أرعاكه ... يا من يُرى في الله أحمى محتمي

* * * * *

٢٨- الشريف الطليق،أبو عبد الملك، مروان بن عبد الرحمن

قال يصف الكِبل:[٢]

كأن زماني فوق ساقيَّ قابضٌ ... ليَقصُرَ باعي عن علا كل مطلبِ
فمن زُبرِ الأقياد مدَّ بساعدٍ ... ومن حلقات الكِبل شدَّ بمخلبِ
فأمرُّ على الأفواه ذِكراً ولا أُرى ... كأني فيها ذكرُ عنقاءَ مُغربِ

قال يصف المطبق بالزهراء:[٣]

في منزلٍ كالليل أسودَ فاحمٍ ... داجي النواحي مظلم الأثباجِ
يَسودُّ والزهراءُ تَزْهَرُ حوله ... كالحبرِ أودِعَ في دواةِ العاجِ

وقال:[٤]

أقولُ ودمعي يستهلُ ويَسفَحُ ... وقد هاجَ في الصدر الغليلُ المبرّحُ
دعوني من الصبرِ الجميل فإنني ... رأيتُ جميلَ الصبرِ في الحُبِ يَقبَحُ
لقد هيَّج الأضحى لنفسي جوى ... أسىً كريهُ المنايا منهُ للنَفسِ أروَحُ
كأن بعيني حلق كل ذبيحةٍ ... بهِ وبصدري قلبَها حينَ تُذبَحُ
فيا ليت شعري هل لمولاي عطفةً ... يُداوى منها مني فؤادٌ مُجرّحُ
يحنُّ إلى البدر الذي فوق خدِّهِ ... مكان سوادِ البدرِ وردٌ مُفتّحُ
تقنَّعَ بدرَ التَّمِّ عند طلوعهِ ... مخافةَ أن يسريَ إليهِ فَيُفضَحُ
فقلت لهُ يا بدرُ أسفِرْ فقد غدا ... عليه رقيبٌ للعِدا ليسَ يَبْرَحُ
لعمري لذاك البدرُ أجملُ منظراً ... وأحسَنُ من بدرِ التَّمامِ وأملَحُ

١-الجذوه ص٥٢٦، البغية ص٤٤٧، والأبيات الثلاثة الأخيرة في النفح، ج٣ ص٥٩٢.
٢- التشبيهات: ص٢٦٦
٣- التشبيهات: ص٢٨٨
٤- الحلة ج١ ص٢٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال:[١]

تفرّغَ لي دَهري فصَيّرني شُغلا ... وعوّضني من خِصبِ روضَتِيَ المحلا
يُطالبُ بالثأرِ النبيلِ كأنما ... يرى النُبلَ منه بينَ أحشائِهِ نَبْلا

وقال:[٢]

أصبحتُ في الدَّهرِ كالمعقولِ مختفياً ... عن العيونِ وما تخفى مفاهمهُ
كأنّما السِجنُ صدري في تضمُّنِهِ ... شخصي، وشخصيَ سري فهو كاتمُهُ
كأنما الدَّهرُ يخشى منهُ لي فرجاً ... فمِن قيودي على البلوى تمائمُهُ

وقال:[٣]

وما طولُ سجني عائبٌ لي فإنّهُ ... مِسَنٌّ لألبابِ صدِئنَ بلا سَنِّ
وما أنا كالعُقارِ تكسَّبت ... نسيماً وطيباً في مُعاقرة الدَنِّ

وقال:[٤]

ألا إنَّ دهراً هادِماً كُلَّ ما نبني ... سيَبلى كما يُبلي ويَفنى كما يُفني
وما الفوزُ في الدنيا هو الفوز إنما ... يفوزُ الفتى بالربح فيها مع الغُبنِ
يُجازى ببؤسٍ عن لذيذ نعيمها ... ويجني الردى مما غدت كفُّهُ تجني
ولا شكَ أنّ الحزن يجري لغايةٍ ... ولكنّ نفس المرءِ سيئةُ الظنِّ

وقال:[٥]

فلا تُشمِتِ الحُسّادَ شدَّةَ حالتي ... فإني جوادٌ لا يُشَدُّ عنانُه
وما ألصقتُ بالأرضِ خدي إذالةً ... ولكنني كالرمح سُنَّ سِنانُه

وقال:[٦]

وشُتَّ يدُ الدّهرِ رأسي بالمشيبِ أسىً ... في غيهبٍ بسنى الصباحِ مَوْشِيِّ
فدبَّ فيهِ دبيبَ النار في فحمٍ ... ينفي دُجاهُ بلونٍ غيرِ منفيِّ
كأنّه يمشي حينَ كتبها ... صحيفةً كتبتها كفُّ أميِّ

* * * * *

٢٩- ابن الشَّمْر، عبد الله بن الشَّمْر بن نمر القرطبي

قال:[٧]

قل لمن أمسى بأرض الـ ... ـغرب للخلق ربيعا
لا يضِقْ لي منك ما قد ... وَسِعَ الناسَ جميعا

١- التشبيهات ص٢٥٤
٢- التشبيهات، ص٢٦٧
٣- التشبيهات، ص٢٦٦
٤- الحلة، ج١ ص٢٢١
٥- التشبيهات، ص٢٧٧
٦- التشبيهات، ص٢٥٦
٧- المغرب، ج ١- ص١٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٠- ابن شُهَيْد، أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد

قال:[١]

قريبٌ بمحتل الهوان بعيدُ ... يجودُ ويشكو حُزنه فيجيدُ
نعى ضرّه عند الإمام فياله ... عدوٌّ لأبناء الكرام حسودُ
وما ضَرّهُ إلا مزاحٌ ورقةٌ ... ثنتْه سفيه الذّكر وهو رشيدُ
جنى ما جنى في قبّة الماء غَيْرهُ ... وطوّق منه بالعظيمة جيدُ
وما فيّ إلا الشعر أثبَتَهُ الهوى ... فسار به في العالمين فريدُ
أفوه بما لم أته متعرضاً ... لحسن المعاني تارة فُأزيد
فإن طال ذكري بالمجون فإنني ... شقيٌّ بمنظوم الكلام سعيدُ
وهل كنتُ في العشاق أول عاشقٍ ... هوت بحجاه أعينٌ وخدودُ؟
وإن طال ذكري بالمجون فإنّها ... عظائمُ لم يصبر لهنّ جليد
فراقٌ وسجنٌ واشتياق وذلّةٌ ... وجبّار حُفّاظٍ عليٌّ عتيدُ
فمن مبلغ الفتيان أني بعدهم ... مقيمٌ بدار الظالمين طريدُ؟
مقيم بدارٍ ساكنوها من الأذى ... قيامٌ على جمر الحمام قُعود
ويسمع للجنان في جنباتها ... بسيطٌ كترجيع الصّدى ونشيدُ
وما اهتزّ باب السجن إلا تفطّرت ... قلوبٌ لنا خوف الرّدى وكسبودُ
ولست بذي قيدٍ يرقُّ وإنما ... على اللحظ من سخط الإمام قيودُ
وقلت لصدّاح الحمام وقد بكى ... على القصر إلفاً والدّموع تجود
ألا أيُّها الباكي على من تحبُّهُ ... كلانا مُعنى بالخلاءِ فريدُ
وهل أنت دانٍ من محب نأى به ... عن الإلف سلطانٌ عليه شديدُ؟
فصفّق من ريش الجناحين واقعاً ... على القرب حتّى ما عليه مزيدُ
وما زال يُبكيني وأبكيه جاهداً ... وللشّوق من دون الضّلوع وقودُ
إلى أن بكى الجُدران من طول شَجونا ... وأجهش بابٌ جانباه حديدُ
أطاعت أمير المؤمنين كتائبٌ ... تصرّفُ في الأحوال كيف يريدُ
فللشمس عنها بالنّهار تأخر ... وللبدرِ عنها بالظّلام صدود
ألا إنها الأيّام تلعب بالفتى ... نُحوس تهادى تارةً وسعودُ
وما كنت ذا أيدٍ فيُذْعِنُ ذو قوى ... من الدّهر مبدٍ صرفَهُ ومعيدُ
وراضت صعابي سطوةٌ علويّةٌ ... لها بارقٌ نحو النّدى ورعود
تقول التي من بيتها خفّ مركبي ... أقربك دانٍ أم نَواكَ بعيدُ؟
فقلت لها: أمري إلى من سمت به ... إلى المجد آباءٌ له وجدودُ

١- ديوان ابن شهيد، ص٩٩ - ١٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣١- ابن صمادح، أبو مروان، عز الدولة عبد الله بن المعتصم

كتب من سجنه إلى أبيه المعتصم بن صمادح ملك ألمرية:[١]

أبعد السنا والمعالي خمولُ ... وبعد ركوب المذاكي كُبولُ
ومن بعد ما كنتُ حراً عزيزاً ... أنا اليوم عبدٌ أسيرٌ ذليلُ
حللتُ رسولاً بغرناطة ... فحل بها فيّ خطْبٌ جليل
وثُقِّفْتُ إذ جئتها مرسلاً ... وقبليَ كان يُعَزُّ الرسول
فقدت ألمرية أكرِمْ بها ... فما للوصول إليها سبيلُ

* * * * * *

٣٢- ابن صمادح، أبو يحيى، رشيد الدولة محمد بن عز الدولة بن المعتصم

قال:[٢]

أحبَّتُنا الكرام بَغَوْا علينا ... وبغي المرء معطبةٌ ونارُ
وقالوا الهجر لما يعلموه ... وهجر القول منقصة وعارُ
صبرتُ على مقارعة الدواهي ... وطبعُ الحرِّ صبرٌ وائتجارُ
وقلت لعلها ظلمٌ ألمَّتْ ... وحالُ الليلِ آخرها النهارُ
فإن يكن الرد يكن اصطبارٌ ... وإن تكن المنى يكن اغتفارُ

وقال:[٣]

صبراً على نائبات الدهرِ إن له ... يوماً كما فتك الإصباح بالظلمِ
إن كنت تعلم أن الله مقتدر ... فثق به تلق روح الله من أممِ
وقلما صبر الإنسانُ محتسباً ... إلا وأصبح في فضفاضة النعم

* * * * * *

١- النفح، ج٧ ص٤١
٢- الحلة، ج٢ ص١٩١
٣-الحلة، ج٢ ص١٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٣- ابن عاصم ، أبو بكر، محمد بن محمد بن عاصم.

يقول في اعتقاله:[١]

« أودعوني تحت الثرى ونسوني ... فمقامي فيه مقامٌ طويلُ
أنا حيٌّ وحالتي حال ميتٍ ... ليت شعري هل للخروج سبيل؟
راحةُ النفس زوْرةٌ من خليل ... أو كتابٌ ، وأين أين الخليل؟
إن أرتني الأيامُ غيرَ جميلٍ ... وأحالت حالي، فصبرٌ جميل
أو وهتْني الخطوبُ فالله حَسْبي ... من جميع الورى ونعم الوكيل!

٣٤- ابن عبد العزيز، أبو عبد الملك، مروان بن عبدالله

« وفي سجنه قال قصيدة يعارض بها أبا مروان الجزيري أولها:

يا نفسُ دونَكِ فاجزعي أو فاصبري ... طلع الزمان بوجهه المتنمِّر

وهي طويلة ضعيفة لم يمر له فيها كبير إحسان »[٢]

---

١) ابن عاصم، جنة الرضى، ج٢ ص٢٠٣.
٢) الحلة ج٢ ص٢٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٥- ابن عمار، أبو بكر، محمد بن عمار

كتب إلى المعتمد في مدة اعتقاله بشقورة:[١]

نفسي تحن إلى فداء ... تفديك نفسي من شراء
فاسبق بنقدك وعْدَهُمْ ... مستترخصاً لي بالغلاء
ثم امض فيَّ على اختيا ... رك من فناء أو بقاء
والله ما أدري إذا ... قالوا غداً يوم اللقاء
ما أقتلُ الحاليْن لي ... إن كان خوفي أو حيائي

وكتب إلى المعتمد من سجنه يستعطفه ويقال إنها آخر قصيدة أرسلها إليه:[٢]

سجاياك إن عافيت أندى وأسمحُ ... وعذرك إن عاقبت أجلى وأوضحُ
وإن كان بين الخِطتين مزيَّةٌ ... فأنت إلى الأدنى من الله أجنحُ
حنانيك في أخذي برأيك لا تطع ... عداتي وإن أثنوا عليَّ وأفصحوا
وماذا عسى الأعداء أن يتزيدوا ... سوى أن ذنبي واضحٌ متصححُ
نعم لي ذنبٌ غير أن لحلمه ... صفاتٍ يزلُ الذنب عنها فيسفحُ
وإن رجائي أن عندك غير ما ... يخوض عدوي اليوم فيه ويمرحُ
ولم لا وقد أسلفت وداً وخدمة ... يكرَّان في ليل الخطايا فيصبحُ
وهبْني وقد أعقبت أعمال مفسدٍ ... أما تفسد الأعمال ثمة تصلحُ
أقلني بما بيني وبينك من رضىً ... له نحو رَوْحِ الله بابٌ مفتحُ
وعفٌ على آثار جرمٍ جنيته ... بهبة رحمى منك تمحو وتمصحُ
ولا تلتفت رأي الوشاة وقولهم ... فكل إناءٍ بالذي فيه يرشحُ
سيأتيك في أمري حديثٌ وقد أتى ... بزَوْرٍ بني عبد العزيز موشحُ
وما ذاك إلا ما علمتَ فإنني ... إذا تبت لا أنفك آسو أجرحُ
تخيلتهمُ لا درَّ لله درُّهُم ... أشاروا تجاهي بالشمات وصرحوا
وقالوا سيجزيه فلانٌ بفعله ... فقلت وقد يعفو فلان ويصفحُ
ألا إن بطشاً للمؤيد يرتجى ... ولكن حلماً للمؤيد أرجحُ
وبين ضلوعي من هواه تميمةٌ ... ستنفع لو أن الحِمام مجلحُ
سلامٌ عليه كيف دار به الهوى ... إليَّ فيدنو أو علي فينزحُ
ويهنيه إن مت السلوُّ فإنني ... أموت ولي شوقٌ إليه مبرِّحُ

وكتب إلى الرشيد بن المعتمد:[٣]

قل لبرق الغمام ظاهر بريدي ... قاصداً بالسلام قصر الرشيدِ

١- صلاح خالص، محمد بن عمار الأندلسي ص٣٠٦
٢- محمد بن عمار، ص٣١٩ - ٣٢١
٣- محمد بن عمار، ص٣٠٩- ٣١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتقلّبْ في جوّهِ كفؤادي ... وتناثَرْ في صحنه كالفريدِ
وانتحبْ في صلاصل الرعد تحكي ... ضجتي في سلاسلي وقيودي
فإذا ما اجتلاك أو قال ماذا ... قلت: إني رسول بعض العبيدِ
بعض من أبعدته عنك الليالي ... فاجتنى طاعة المحب البعيدِ
فجزاك الإله من ملك حرٍّ ... بقاء التمكين والتمهيدِ
من مطيعٍ عهد الوفاء مطاع ... وودودٍ على النوى مودودِ
كنت أشدو عليك يا دوحة المجـ ... ـد ويا روضة الندى والجودِ
إذ جناحي نَدٍ بظلك طلْق ... ولساني رطب على التغريدِ
وأنا اليوم تحت ظل عُقابٍ ... لقوة مُخْوتِ الجناح صيودِ
أتقيها بناظر خافق اللحـ ... ـظ مَروعٍ وخاطر مرؤودِ
غير أني سأصطفي لك جهدي ... من ثناء طيب وذكر حميدِ
في قليل من القوافي كثير ... وذَلولٍ من المعاني شرودِ
كلمات كأنها الدرُّ نظماً ... طوقتْ منك أيَّ طوق وجيدِ
أنت بدر النجوم تحت سنا الشمـ ... ـس أبيكم على سماء السعودِ
أنت ريحانة العلى لبني عبـ ... ـاد السادة الكرام الصِّيدِ
أنت إما اعترضتمُ دُرَّة التا ... ج فرنْدُ الحسام وسطى الفريدِ
وإذا ما مُدِحْتُم نكتة الخطـ ... ـبة قصد الحديث بيت القصيدِ
وإذا ما ركبتم الخيل صدر الـ ... ـجيش عين اللواء قلب الحديدِ
أنت فيهم إن يعتموا ليلة القد ... ر وإذ يصبحون يوم العيدِ
فهنيئاً أبا الحسين خلالٌ ... وصفات جلّتْ عن التجديدِ
وشفوفٌ على الجميع بسن ... وسناءٍ إلى سنا ممدودِ
وهنيئاً من المؤيد حظٌّ ... لا مزيدٌ عليه للمستزيدِ
لك في نفسه العزيزة حب ... شابَ فيه حلاوةَ التوحيدِ
وعلى لحظةِ النزيهِ طلوعٌ ... كطلوعِ البشيرِ بالتأييدِ
وإذا ما شدا بذكرك شادٍ ... قال: أحسنتَ هزة المستعيدِ
فعلام السُّرى وصبح رضاه ... سنا وجهك الأغرُّ السعيدِ
وإلى أين في الشفيع إذا ما ... لم ألذ منك عنده بالرشيدِ
بفتىً نازحِ المكان مُطِلٍّ ... غائب الشخص ذي اعتناء عتيدِ
مشفق يستجيب لي من قريب ... وانا أستغيثه من بعيدِ
لو أطلّتْ عليَّ رحمة عينيـ ... ـه انجلت شدتي وذاب حديدي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما قاله أثناء اعتقاله في إشبيلية: [١]

يقول قومٌ إن المؤيد قد ... حالَ في فديتي على نقدِهِ
يا قومُ ماذا الشراءُ ثانيةً ... ترى لمعنىً يريب من عندهِ؟
أوحشني والسماح عادتُهُ ... سماحُهُ بالغلاء في عبدهِ
الحمد لله إن يكن حرجاً ... فليس في مثلهِ سوى حمدهِ
وحيلة إنْ وصلتُ حضرتَهُ ... جعلتُها رغبةً إلى جندهِ
وسامحوا في الفرَنْد أرمُقُهُ ... من طَرْفِهِ لم أخفِهِ من غمدهِ
لكن على الغرب عارضٌ رجل ... مرتمياً بالشرار من رندهِ
أخضر يفتر من جوانبه ... كالبحرِ في جزرهِ وفي مدّهِ
يا رب بشِّر برحمة وحياً ... تؤنس من برقهِ ومن رعدهِ

وكتب في مدة اعتقاله عند صاحب شقورة إلى أبي الفضل بن حسداي يصف موضع اعتقاله: [٢]

أدركْ أخاك ولو بقافية ... كالطَّلِّ يوقظ نائم الزهرِ
فلقد تقاذفتْ الركابُ به ... في غير موماة ولا بحرِ
طفحت صحابته بلا سنة ... وتساقطوا سكرى بلا خمرِ
بمعارج أدت إلى جرد ... حتى من الأنواء والقطرِ
عالٍ كأن الجنَّ إذ مردت ... جعلته مرقاة إلى النسرِ
وحشٌ تناكرتْ الوجوه به ... حتى استربتُ بصفحة البدرِ
قصر تمهد بين خافقَتَيْ ... نسريْن من فلك ومن وكرِ
متحيرٍ سال الوقار على ... عطفيه من كبر ومن كِبْرِ
ملكتْ عنانَ الريح راحتُهُ ... فجيادها من تحته تجري
مأوى العزيز وقد نصحت فإن ... تهمل فقد أبليت في العذرِ
ووصلت خدمة قاطع سببي ... وأطعت أمر مضيع أمري
دع ذا وصِلْنا غير مؤتمر ... مستأثراً بالحمد والشكرِ
واكتب إلينا إنها ليد ... تمحو الذي كتبت يد الدهرِ

وقال في سجنه في شقورة مخاطباً الوزير أبا جعفر بن جرج حين اجتاز تلك البقاع: [٣]

كأني أراك أبا جعفر ... تقول وتبسم نحوي مشيرا
سفرت ليرجع هذا معي ... وزيرا فلم أر إلا أسيرا
وهل يملك المرء من أمره ... فتيلاً فينفذه أم ....
هو القدر الحتم يُعمي الفتى ... وإن كان بالدهر طباً بصيرا

١- محمد بن عمار، ص٣١٧ - ٣١٨
٢- محمد بن عمار، ص٣٠٢ - ٣٠٣
٣-محمد بن عمار، ص٣٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال وهو في سجن شقورة، وقد استدعى نورة يستنظف بها فتعذرت عليه فاستدعى موسى فأتي بها:[١]

بُؤسي شقورة عندي ... أربى على كل بؤسي
فقدت هرون فيها ... فظلت أطلت موسى

وكتب إلى صاحب ألمرية في مدة اعتقاله في شقورة:[٢]

أصبحت في السوق ينادى على ... رأسي بأنواع من المال
فهل فتىً يبتاعني ماجدٌ ... أخدمه مدة إمهالي
تالله لا جارَ على نقده ... مَنْ ضمَّني بالثمن الغالي
أرْبِحْ بها مولاي من صفقة ... في سلعة من ترك الغال

وكتب إلى المأمون بن المعتمد يطلب شفاعته لدى أبيه:[٣]

هلاّ سألتَ شفاعةَ المأمون ... أو قلتَ ما في نفسه يكفيني
ما ضرَّ لو نبَّهْتَهُ بتحية ... يسري النسيم بها على دارينِ
وهززتَ منه فقد يقلّب سيفه ... يوم الجلاد الحينَ بعد الحينِ
ما لي أنبِّه ناظراً لم يغفُ عن ... حظَّيْه من دنياه أو من دينِ
وأهز من عِطْف ثناه عطفَهُ ... حتى خشيت عليه فرط اللينِ
بيدي من المأمون أوثق عصمة ... لو أن أمري في يدي المأمون
أمري إلى مولىً إليه أمره ... وكفاه من فوقي كفاه ودونِ
حيث استوى الخصمان حقاً والتقى ... عز الغني بذلّة المسكينِ
ملكٌ طوى سرَّ المهابة شخصُهُ ... لولا أسرَّةُ وجهه الميمونِ
جبل سمى بذؤابتيه إلى العلى ... ورسا بهضبته على التمكينِ
متوقِّدُ الجنباتِ كُلَّلَ دوحه ... بجنىً وفُجِّر صَفْحُهُ بعيونِ
دانت لأيدي المجتنين قطوفُهُ ... ودنا إليهم من ظلال غصونِ
ونأى لأبصار العُصاة فإنما ... يتوهمون نعيمه بظنونِ
بحر إذا ركب العُفاةُ سكونه ... وهبَ الغنى في عزة وسكونِ
وإذا طمى للذنب لم يسمع به ... إلا الدعاء يعان بالتأمينِ
كم أسْكَبَ العذبَ الفرات على فمي ... يرمي يدي باللؤلؤ المكنونِ
واليوم قد أصبحتُ في غمَراته ... إن لم تغثني رحمة تنجيني
بَعُدَتْ سواحلُه عليَّ وأدركت ... أمواجُهُ فتلاعبت بسفيني
لا شك في أني غريقُ عُبابه ... إن لم يمدَّ الفتحُ لي بيمينِ
يا فتحُ جرِّدها عناية فارسٍ ... بطلٍ على حرب الولي أمينِ
متقدمٍ من جده بكتيبة ... مستظهر من لفظه بمكينِ

١- محمد بن عمار، ص٣٠٧ ٢- محمد بن عمار، ص٣٠٥ ٣- محمد بن عمار، ص٣١٣ - ٣١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واقـــرن شـــجـــاعـــتك الكريمة عنده ... بتـــــواضع عن عـــــزة لا هـونِ
في سكنة من هيـــبـــةٍ وسكينـةٍ ... وبضـــجـــة من رحـــمـــة وحنينِ
فـــأبوك من يغـــشي الملوك بســاطه ... شُـوســاً فـــمـــا يرمـــونه بعـــيـــونِ
مـــا يعـــرض الجـــبـــار منه لحـــاجـــة ... إلا بـــرفـع يـد ووضـع جـــــبـــينِ
يا فـــتح إن نازلتـــه مـــســـتنزلاً ... فـــاهنأ بفـــتح من رضـــاه مـــبـينِ
وليـــخلصنَّ إليك من أعـــلاقـــه ... عِلْقٌ يشـــــد عليك كفَّ ضنـينِ

وكتب عندما كان سجيناً في شقورة إلى المطرز:[١]

تراءى بعـــيـني إن أردت مـــبـــرتي ... وســـبب إلى الحـــسنى ولو بقـــسيمِ
فـــمـــا شُمَّ عَـــرْفُ المسك دون تنشق ... ولا اهتـــز عطفُ الغـصن دون نسيمِ

وكتب إلى الراضي بن المعتمد:[٢]

قـــالوا أتى الراضي فـــقلت لعلهـــا ... خُلِعْتْ عليـــه من صـــفـــات أبيـــه
فـــأل جـــرى فـــعـــسى المؤيدُ واهبـــاً ... لي من رضـــاه ومن أمـــان أخـــيـــه
قـــالوا نعم فـــوضـعتُ خدي في الثرى ... شكراً لـه وتيـــمـــناً ببنيـــه
يا أيهـــا الراضي وإن لم يلقني ... من صـــفـــحـــة الراضي بما أدريه
هبك احـــتـــجـــبتَ لوجـــه عـــذرٍ بيِّنٍ ... بذلُ الشـــفـــاعـــة أيُّ عـــذر فـــيـــه
ســـهل على يدك الكريمة أحـــرفـــاً ... فـــيـــمن أسَـــرْتَ فـــتنشني تفـديه

* * * * *

٣٦- العنسي، أبو جعفر، أحمد بن عبد الملك

قال:[٣]

مَنْ يشـتـري مني الحـيـاة وطيـبـهـا ... ووزارتـي وتـأدُّبـي وتـهـــــذُّبـي
بمحلٍّ راعٍ في ذُرى ملـمـــومـــة ... زويت عن الدنيـا بأقـصى مـرتبِ
لا حكم يأخـــذه بهـــا إلا لمن ... يعـــفـــو ويرأف دائمـــاً بالمذنبِ
فلقد سئمتُ من الحـياة من امرىءٍ ... مـتـغـضبٍ مـتـغلب مـتـرتِّبِ
الموتُ يلحظني إذا لاحظتُـــهُ ... ويقـــوم في فكري أوان تجنبي
لا أهتـدي مع طول مـا خـولتـه ... لرضـاه في الدنيـا ولا للمـهـربِ

وقال:[٤]

مـولاي إن يحـبسْكَ خـيـرُ خليـفـة ... فـبـذاك فـخـرُك واعـتـلاء الشـانِ
فـالجـفن يحـبس نوره من غـبطة ... والمرهفـات تصـان في الأجـفـانِ
فـأبشـر فنزْعُ الدّر من أصـدافـه ... يعليـه للأسـلاك والتـيـجـانِ

١- محمد بن عمار، ص٣٠٤
٢- محمد بن عمار، ص٣٠٨
٣- الإحاطة، ج١ ص٩٦
٤- الإحاطة، ج١ ص٩٧، والنفح، ج٤ ص١٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولئن غـــدا مَنْ ظلَّ دونك مطلقـــاً ... إنّ القـــذى ملقىً عن الأجـــفـــانِ
والعينَ تحـبس دائمـاً أجـفـانُهـا ... وهـداية الإنســـــان بالإنســـــانِ
والطرس يختم مـا حـواه نفـاسـةً ... ويهـــان مـــا يبـــدو من العنوانِ
فـــاهنأ به لكن مليّـــاً مكثُـــهُ ... ســـجنا لغـــيـــر مـــذلة وهوانِ
فَلْتَـــعْلُوَنْ رغم الأعـــادي بعـــده ... بذرى الخليـــفـــة في ذرى كـــيـــوانِ

* * * * *

٣٧- الغزال، يحيى بن الحكم البكري الجيّاني

قال:[١]

بعضَ تصـــــابيك على زينبِ ... لا خـيـر في الصبّـوةِ للأشـيبِ
أبعـد خـمـسينَ تقـضّـيـتـهـا ... وافـيـةً تصـبـو إلى الرّبربِ
كلَّ رداحِ الردف خُـمـصـانةٍ ... كـالمهـرة الضـامـرِ لم تُركَبِ
أو درةٍ ساعـةَ مـا اسـتُـخـرجت ... لم تُمْـتَـهَنْ بعـدُ ولم تُثـقبِ
مـشـربة اللّون، مـتُـوعِ الضُّحى ... صـفـراء بالآصـال كـالمذهبِ
من مُـبلغٌ عني إمـامَ الهـدى ... الـوارثَ المجـــــدَ أباً عن أبِ
أنّـي إذا أطـنـب مـــدّاحـــه ... قـصـدتُ في القـولِ فلم أطنبِ
فـــلا فكَّ عنّي الله إن لم تكن ... أذكّـرْتَنا من عُـمَـرَ الطّيبِ
وأصـبح المشـرقُ من شـوقـه ... إليك قـد حنّ إلى المغـربِ
منبـره يهـتـفُ من وجـدِهِ ... إليك بالسّـهل وبالمرحبِ
أطربـه الوقتُ الذي قـد دنا ... وكـان من قـبلك لم يطربِ
هفـا به الوجـدُ فلو منبـرٌ ... طار لوافى خَطْفَـةَ الكوكبِ
إلى جـمـيلِ الوجـه ذي هيـبـةٍ ... ليست لحامي الغابة المُغضَبِ
لا يُسْكِنُ النـاظـرُ من رؤيـةٍ ... إلا التـمـاحَ الخـائفِ المُذنبِ
إن تُردِ المال فـإنّي امـرؤٌ ... لم أجـمـع المال ولم أكـسبِ
إذا أخـذت الحقَّ منّي فـلا ... تلتـمس الريح ولا ترغبِ
قـد أحسن الله إلينا مـعـاً ... أن كـان رأس المالِ لم يذهبِ!

* * * * *

١- ديوان يحيى الغزال، ص٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٨- القضاعي، أبو جعفر، أحمد بن عطية

قال:[١]

عطفاً عليّ أمير المؤمنين فقد ... بانَ العزاءُ لفرط البثِّ والحَزَنِ
قد أغرقتْنا ذنوبٌ كلها لُجَجٌ ... وعطفةٌ منكمُ أنجى من السفنِ
وصادفتْنا سهامٌ كلها غرضٌ ... ورحمةٌ منكمُ أوقى من الجُنَنِ
هيهات للخطب أن تسطو حوادثه ... بمن أجارتْهُ رحماكم من المحنِ
من جاء عندكمُ يسعى على ثقة ... بنصره لم يَخَفْ بطشاً من الزمنِ
فالثوبُ يطهرُ عند الغسلِ من دَرَنٍ ... والطَّرْفُ ينهض بعد الركضِ في سَنَنِ
أنتم بذلتم حياة الخلق كلهمُ ... من دون مَنٍّ عليه لا ولا ثمنِ
ونحن من بعض مَنْ أحييتْ مكارمكم ... كلتا الحياتين من نفس ومن بدنِ
وصبية كفراخ الوُرْقِ من صِغَرٍ ... لم يألفوا النوحَ في فرع ولا فَنَنِ
قد أوجدتْهم أيادٍ منك سابقةٌ ... والكلُّ لولاك لم يوجد ولم يَكُنِ

وقال:[٢]

أنوح على نفسي أم أنتظر الصفحا ... فقد آن أن تُنسى الذنوب وأن تُمحى
فها أنا في ليل السخط حائرٌ ... ولا أهتدي حتى أرى للرضا صبحا

* * * * *

٣٩- القلعي، أبو عبد الله، محمد بن رشيق

قال:[٣]

ليس عندي من الهموم حديثٌ ... كلما ساءني الزمانُ سُررتُ
أتراني أكون للدهر عوناً ... فإذا مسني بضرٍ ضَجِرتُ
غَمّرةٌ ثم تنجلي فكأني ... عند إقلاع همّها ما ضُررتُ

* * * * *

١-الإحاطة، ج١ ص٢٧٦، والنفح، ج٥ ص١٨٥ - ١٨٦
٢-النفح، ج٥ ص١٨٦
٣- المغرب ج٢ ص١٨٠، والنفح، ج٣ ص٥٣١ - ٥٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤١- المُصْحَفي، أبو الحسن، جعفر بن عثمان:

قال:[١]

لا تأمنَنَّ من الزمان تقلبا ... إن الزمان بأهله يتقلب
ولقد أراني والليوث تخافني ... وأخافني من بعد ذاك الثعلبُ
حسب الكريم مذلّة ونقيصة ... ألا يزال إلى لئيم يطلب
وإذا أنت أعجوبة فاصبر لها ... فالدهر يأتي بالذي هو أعجب

قال:[٢]

لي مدة لا بد أبلغها ... فإذا انقضت أيامها متُّ
لو قابلتني الأسد ضاريةً ... والموت لم يدن لما خفتُ
فانظر إليّ وكن على حذر ... فبمثل حالك أمس قد كنتُ

قال:[٣]

صبرتُ على الأيام لما تولت ... وألزمت نفسي صبرها فاستمرت
فوا عجبا للقلب كيف اعترافه ... وللنفس بعد العزّ كيف استذلت
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن طمعت تاقت وإلا تسلت
وكانت على الأيام نفسي عزيزة ... فلما رأت صبري على الذّل ذلت
فقلت لها يا نفس موتي كريمة ... فقد كانت الدنيا لنا ثم وَلتِ

قال:[٤]

عفا الله عنك ألا رحمة ... تجود بعفوك أن أبعدا
لئن جل ذنب ولم أعتمدْه ... فأنت أجلُّ وأعلى يدا
ألم تر عبداً عدا طورَهُ ... ومولىً عفا ورشيداً هدى
ومفسد أمر تلافيته ... فعاد فأصلح ما أفسدا
أقِلْني أقالك من لم يزل ... يقيك ويصرفُ عنك الردى

قال:[٥]

١-ماتبقى من شعر المصحفي ، ص١٧٧ .
٢-ماتبقى من شعر المصحفي ، ص١٧٩ .
٣-ماتبقى من شعر المصحفي ، ص١٨٠ .
٤-ماتبقى من شعر المصحفي ، ص١٨١ .
٥- ماتبقى من شعر المصحفي ، ص١٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تأملت صرف الحادثات فلم أزل ... أراها توفّي عند موعدها الحُرا
فلله أيام مضت لسبيلها ... فإني لا أنس له أبدا ذكرا
تجافت بها عنّا الحوادث برهة ... وأبدت لنا منها الطلاقة والبشرا
ليالي لم يدر الزمان مكاننا ... ولا نظرت منا حوادثه شزرا
وما هذه الأيام إلا سحائب ... على كل أرض تمطر الخير والشرا

قال:(١)

أحنّ إلى أنفاسكم فأظنها ... بواعث أنفاس الحياة إلى نفسي
وإنّ زماناً صرت فيه مقيداً ... لأثقل من رضوى وأضيق من رمسِ

قال:(٢)

أجاري الزمان على حاله ... مجاراة نفسي لأنفسها
إذا نفس صاعد شفها ... توارت به دون جلاّسها
وإن عكفت نكبة للزما ... ن عكفت بصدري على رأسها

قال:(٣)

تندمت والمغرور من قد تندما ... وهل ينفع الإنسان أن يتندّما
غرست قضيباً خلته عود كرمة ... كنت عليه في الحوادث قيّما
أكرّمه دهري فيزداد خسّه ... ولو كان من عود كريم تكرّما

قال:(٤)

هبني أسأتُ فأين الفضلُ والكرم ... إذ قادني نحو الإذعان والندمُ
يا خير من مدت الأيدي إليه أما ... ترثي لشيخ نعاه عندك القلمُ
بالغتَ في السّخط فاصفح صفح ... مقتدر إن المَلوك إذا ما استرحموا رحموا

* * * * *

١- ماتبقى من شعر المصحفي ، ص١٨٦ .
٢- اتبقى من شعر المصحفي ، ص١٨٧ .
٣- ماتبقى من شعر المصحفي ، ص١٩٥ .
٤- ماتبقى من شعر المصحفي ، ص ١٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٢- المعتمد، أبو القاسم، محمد بن عبّاد

كتب إلى الطبيب أبي العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر:[١]

دعا لي بالبقاء وكيف يهوى ... أسيرٌ أن يطول به البقاءُ؟
أليس الموتُ أروحَ من حياةٍ ... يطول على الشقيّ بها الشقاءُ؟
فمن يك من هواه لقاءُ حبٍّ، ... فإن هواي من حتفي اللقاءُ!
أأرغب أن أعيش أرى بناتي ... عواريَ قد أضرّ بها الحفاءُ؟!
خوادمَ بنت من قد كان أعلى ... مراتبه - إذا أبدو- النداءُ
وطردُ الناس بين يدي ممرّي، ... وكفّهُم إذا غصّ الفِناءُ
وركضٌ عن يمين أو شمال، ... لنظم الجيش إن رُفع اللواء،
يُعَنّيه أمامٌ أو وراءٌ ... إذا اختتل الأمامُ أو الوراءُ
ولكن الدعاء إذا دعاهُ ... ضميرٌ خالصٌ نفع الدُّعاء
جُزيت أبا العلاء جزاءَ بَرٍّ ... نوى برّاً وصاحبَك العلاءُ
سيُسْلي النفس عمن فات، علمي ... بأن الكل يدركه الفناءُ

كتب المعتمد إلى رجل مسافر، طلب منه أن يزوده من شعره، وكان اسمه ابن الزجاري:[٢]

لو أستطيع على التزويد بالذهب ... فعلتُ، لكن عداني طارقُ النوبِ
يا سائل الشّعر يجتاب الفلاة به ... تزويدك الشعرَ لا يغني عن السَّغبِ
زادٌ من الرّيح لا ريٌّ ولا شبعٌ ... غدا له موثِراً ذو اللّب والأدب
أصبحت صفراً يدي مّما تجود به، ... ما أعجبَ الحادث المقدور في رجبِ!
ذلّ فقرٌ أزالا عزّةً وغنى ... نعمى اللّيالي من البلوى على كثِب
قد كان يستلب الجبارَ مهجَتَهُ ... بطشي، ويحيا قتيل الفقر في طلبي!
والمُلكُ يحرسه في ظلّ واهبه ... غُلبٌ من العُجْم أو شُمٌّ من العربِ
فحين شاء الّذي أتاه ينزعهُ، ... لم يجد شيئا، فسراع السّمر والقُضُبِ
فهاكها قطعةً يطوى لها حسداً ... السَّيف أصدق أنباءً من الكتب

١- ديوان المعتمد ، ص١٧٦ .
٢- ديوان المعتمد ، ص١٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال:[١]

قـــضى وطراً من أهله كلُّ نازح، وكـــرّ يداوي علة في الجـــوارحِ
ســـواي فـإني رهنُ أدهم مـــبـهِم ســـبـيل نجـاتي أخـذٍ بالمبـارحِ

وكتب لابنه الرشيد جواباً على قصيدة بعثها له:[٢]

كنتُ حَلِفَ النّدى وربُّ الســـمـاح وحـــبـيبَ النفـــوسِ والأرواحِ
إذ يميني للبـــذل يوم العطايا، ولقـــبض الأرواح يوم الكفـــاحِ
وشـــمـالي لقـــبض كلّ عنان يقـحم الخيل في مـجال الرمّـاح
وأنا اليـوم رهنُ أسـر وفـقـر، مـستـبـاحُ الحمى، مـهـيضُ الجناحِ
لا أجـيبُ الصّـريخ إن حـضـر النّا س، ولا المُعـتـفين يوم السّـمـاح!
عـاد بشـرى الذي عـهـدت عُـبُـوساً شـغلتني الأشـجـان عن أفـراحي
فـالتـمـاحي إلى العـيـون كـريهٌ ولقـد كـان نزهة اللّمـاحِ!

وقال:[٣]

تـبـدلت من عـز ظلّ البنود بذلٌ الحـديد وثقل القـيـودْ
وكـان حـديدي سناناً ذليـقـاً، وعـضـباً دقـيـقـاً صقيلَ الحديد
فـقـد صـار ذاك وذا أدهـمـاً، يعضُّ بسـاقي عضَّ الأسـود

قال بعد أن انطلق جماعة من أهل فاس من حبسهم وبقي هو في السجن:[٤]

أمـا لانسكاب الدّمع في الخد راحةٌ؟ لقـد آن أن يفنى ويفنى به الخـدُّ
هبَـوا دعـوةً يا آل فـاسٍ لمبـتل، بما منه قـد عـافـاكم الصّمَـد الفردُ!
تخلّصتمُ من سجن أغمات والتَوَتْ عليَّ قـيـودٌ لم يحن فُكها بعـدُ
من الدّهم أمـا خِلقُـهـا فـأسـاودٌ تلوّى، وأمّـا الأيدُ والبطشُ فـالأسـدُ!
فـهنئـتُم النُعـمى ودامت لكُلّكُمْ سعـادته، إن كـان قـد خانني سعـدُ
خـرجـتم جـمـاعـاتٍ وخلّفتُ واحداً ولله في أمـري وأمـركم الحـمـدُ!

وقال يبكي قصوره في الأندلس: [٥]

بكى المبـارك في إثر ابن عـبـاد! بكى على أثر غـزلان وآسـاد!
بكت ثريّاه لا غُـمّت كـواكـبـهـا بمثل نوءِ الثـريّا الرائح الغـادي!

١- ديوان المعتمد، ص١٨٦
٢- ديوان المعتمد، ص١٥٧
٣- ديوان المعتمد، ص١٧٠
٤- ديوان المعتمد، ص١٧٩-١٨٠
٥- ديوان المعتمد، ص١٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بكى الوحيد بكى الزّاهي وقبّتُهُ ... والنهّر، والتاجُ، كلٌ ذلهُ بادي
ماءُ السماء على أبناءئه درر ... يالجّة البحر دومي ذات إزباد!

وكتب قبيل وفاته وأمر أن تكتب على قبره:[١]

قبر الغريب سقاك الرّائح الغادي! ... حقاً ظفرتَ بأشلاء ابن عبّاد!
بالحِلم، بالعلم، بالنعمى إذا اتصلت، ... بالخصب إن جدبوا، بالرّي للصّادي
بالطّاعن الضّارب الرّامي إذا اقتتلوا، ... بالموت أحمرَ، الضرغامة العادي!
بالدّهر في نِقَمٍ، بالبحر في نعمٍ ... بالبدر في ظُلَمٍ بالصّدر في النادي
نعم، هو الحقُّ وافاني به قدرٌ ... من السماء فوافاني ليعادِ
ولم أكن قبل ذاك النعش أعلمهُ ... أن الجبال تَهادَى فوق أعواد
كفاك فارفق بما استُودِعْتَ من كرم، ... روّاك كلُّ قَطوب البرق رعّاد
يبكي أخاه الذي غُيّبتَ وابلهُ ... تحت الصّفيح بدمعٍ رائح غادي
حتّى يجودَكَ دمعُ الطلّ منهمراً ... من الزّهر لم تبخل بإسعاد
ولا تزال صلوات اللّه دائمةً ... على دفينك لا تحصى بتعداد

وقال في أول عيد مرَّ عليه:[٢]

فيما مضى كنتَ بالأعياد مسروراً ... فساءك العيدُ في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعة ... يغزلن للناس، ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم، خاشعة ... أبصارهن، حسيراتٍ مكاسيرا
يطأن في الطين والأقدام حافيةً ... كأنها لم تطأ مِسكاً وكافورا
لا خدّ إلا تشكى الجدب ظاهره ... وليس إلا مع الأنفاس ممطورا
أفطرت في العيد، لا عادت إساءتُه ... فكان فطرُك للأكباد تفطيرا!
قد كان دهرك إن تأمره ممتثلاً ... فردّكَ الدهر منهياً ومأمورا
من باتَ في مُلكٍ يُسَرُّ بِه، ... فإنما بات بالأحلام مغرورا

وجّه المعتمد لأبي بكر بن اللبانة بعشرين مثقالاً وثوبين وكتب إليه معها:[٣]

إليك النزرَ من كف الأسير ... فإن تقنع تكن عين الشكورْ
تقبل ما يذوب له حياءً ... وإن عذَرَتْهُ حالات الفقير
ولا تعجب لخطب غض منه ... أليس الخسفُ ملتزم البدور

١- ديوان المعتمد ، ص١٩٣-١٩٤
٢- ديوان المعتمد ، ص١٦٨ -١٦٩
٣- ديوان المعتمد ، ص١٧٤-١٧٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورَجٍّ بجبره عُقبى نداه ... فكم جبرتْ يداه من كسير
وكم أعلت علاه من حضيض ... وكم حطت ظُباهُ من أمير
وكم أحظى رضاه من حظّي ... وكم شهرت علاه من شهير
وكم من منبر حنت إليه ... أعالي مُرتَقاه ومن سرير
زمان تنافست في الحظ منه ... ملوكٌ قد تجور على الدُّهور
زمانَ تراجعتْ عن جانبيه ... جياد الخيل بالموت المُبير
بحيث يطير الأبطال ذعرٌ ... ويُلفى ثم أرجح من ثبير
فقد نظرت إليه عيون نحس ... مضت منه بمعدوم النظير
نحوسٌ كنّ في عقبى سعودٍ ... كذاك تدور أقدار القدير

وقال وقد رأى قمرية نائحة وأمامها وكرٌ فيه طائران يفردان:[1]

بكت أن رأت إلفين ضمهما وكرُ ... مساءً، وقد أخنى على إلفها الدّهرُ
بكت ولم تُرِقْ دمعاً وأسبلت عَبرةً ... يُقصّرُ عنها مهما هما القطرُ
وناحت فباحت واستراحت بسرها، ... وما نطقت حرفاً يبوح به سرُّ
فما لي لا أبكي أم القلبُ صخرةٌ؟ ... وكم صخرةٍ في الأرضِ بها يجري نهرُ؟
بكت واحداً لم يُشجها غيرُ فقده، ... وأبكي لألافٍ عديدُهم كثرُ
بنيٌّ صغيرٌ، أو خليلٌ موافق، ... يُمزق ذا قفرٌ، ويغرق ذا بحرُ
ونجمان زيْنٌ للزّمان احتواهما ... بقرطبة للنكداء أو رُنْدَةَ القبرُ!
عذرتُ إذاً إنْ ضنّ جفني بقطرةٍ ... وإن لؤمت نفسي فصاحبهما الصّبرُ
فقل للنجوم الزهر تبكيهما معي، ... لمثلهما فلتحزن الأنجم الزهرُ!

وقال:[2]

غريبٌ بأرض المغربين أسير ... سيبكي عليه منبرٌ وسريرُ
وتندُبه البيضُ الصّوارمُ والقنا، ... وينهلُّ دمعٌ بينهن غزيرُ
سيبكيه في زاهيه والزّاهر الندى، ... وطلاّبه والعَرفُ ثمّ نكيرُ
إذا قيل في أغمات قد مات جوده، ... فما يرتجى للجود بعدُ نشورُ
مضى زمنٌ والملكُ مستأنسٌ به، ... وأصبح منه اليوم وهو نفورُ
برأيٍ من الدهر المضلل فاسدٍ ... متى صلُحت للصّالحينَ دهورُ؟!
أذلٌّ بني ماء السماء زمانُهم، ... وذلٌّ بني ماءِ السماءِ كبيرُ؟
فما ماؤها إلا بُكاءٌ عليهم ... يفيضُ على الأكبادِ منه بحورُ

١- ديوان المعتمد، ص١٦٤-١٦٥
٢- ديوان المعتمد، ص١٧١-١٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مضى زمن والملك مستأنس به ... وأصبح منه اليوم وهو نفورُ
فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... أمامي وخلفي روضةٌ وغديرُ؟!
بمنبتة الزّيتون مورثة العُلى، ... يغنّي حمامٌ أو ترنُّ طيورُ
بزاهرها السامي الذُّرى جاده الحيا ... تشير الثريا نحونا ونشير
ويلحظُنا الزاهي وسعدُ سعوده ... غيّورَيْن، والصَّبُ المحبّ غيورُ
تُراه عسيراً أو يسيراً مناله، ... ألا كلّ ما شاء الإله يسيرُ
قضى الله في حمص الحِمام وبعثرت ... هنالك منا للنشور قبورُ

وقال :[1]

غربانَ (أغمات)! لا تعدَمْنَ طيبةً ... من اللّيالي وأفناناً من الشجرِ
تظلُّ زُغب فراخ تستكينُّ بها ... من الحرور، وتكفيها أذى المطرِ
كما نعبتُنَّ بالفأل يعجبني ... مخبِّرات به عن أطيبِ الخبرِ
أن النجوم التي غابت، قد اقتربت ... منّا مطالعها تسري إلى القمرِ
عليَّ إن صدّق الرّحمان ما زعمت ... ألا يُروّعن من قوسي ولا تري!
والله، والله لا نفّرت واقعها ... ولا تطيرت الغربان بالعورِ
ويا عقاربها لا تعدمي أبداً ... شجاً وعقراً، ولا نوعاً من الضررِ
كما ملأتنَّ قلبي مذ حللتُ بها، ... مخافةً أسلمت عيني إلى السهرِ
ماذا رمتكِ به الأيّامُ يا كبدي ... من نَبْلهن ولا رامٍ سوى القدرِ
أسْرٌ وعسرٌ ولا يُسرٌ أؤمله، ... أستغفر الله كم لله من نظرِ

كتب المعتمد إلى الشاعر ابن حمديس يعتذر عما وقع من خادمه، الذي منع ابن حمديس من زيارة المعتمد في سجنه:[2]

حُجبتَ فلا والله، ما ذاك عن أمري، ... فاصغ فدتكَ النفسُ سمعا إلى عذري
فما صار إخلالُ المكارم لي هوىً ... ولا دار إخجالٌ لمثلك في صدري
ولكنه لما أحالتْ محاسني ... يدُ الدّهرِ، شُلّت عنك دأباً يدُ الدّهرِ!
عُدمتُ من الخُدّامِ كلّ مُهذّبٍ ... أشيرُ إليه بالخفي من الأمرِ
ولم يبق إلا كل أدكن ألكنٍ ... فلا أذن في الإذن يبرأ من عرِّ
حمارٌ إذا يمشي، ونسرٌ محلقٌ ... إذا طار، بعداً للحمير وللنسرِ!
وليس بمُحتاج أتاناً حمارُهم، ... ولا نسرهم مما يحنُّ إلى وكرِ

١- ديوان المعتمد، ص١٨٩-١٩٠.
٢- ديوان المعتمد، ص١٧٢-١٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهل كنتَ إلا البـــاردَ العـــذب إنما ... به يشتفي الضمآنُ من غُلة الصدرِ؟!
ولو كنت ممن يشرب الخمر كنتها ... إذا نزعتْ نفسي إلى لذّة الخمرِ
وأنت ابن حمديس الذي كنتَ مُهدياً ... لنا السحر إن لم نأت في زمن السحرِ

وقال في رثاء ابنيْه المأمون والراضي:[1]

يقولون صبراً، لا سبيل إلى الصبرِ ... سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري!
نرى زُهرها في مـــأتم كل ليلة، ... يُخَمَّشْنَ لهفاً وسطه صفحة البدر
ينحْنَ على نجـــمين أثكَلْنَ ذا وذا، ... ويا صبرُ ما للقلبِ في الصبرِ من عذرِ
مدى الدّهر، فليبكِ الغمام مُصابه ... بصنويه يعذر في البكاءِ مدى الدّهرِ!
بعين سحاب واكفٍ قطر دمعها ... على كلّ قبر حلَّ فيه أخو القطر
وبرقٍ ذكي النّار حتى كأنّما ... يُسعَّر ممّا في فؤادي من الجمرِ
هوى الكوكبان: الفتح ثم شقيقه ... يزيد فهل بعد الكواكب من صبرِ؟
أفتحٌ! لقد فتحت لي باب رحمةٍ ... كما بيزيد، اللهُ قد زاد في أجري!
هوى بكما المقدارُ عنّي ولم أمُت ... وأُدعى وفيّاً قد نكصتُ إلى الغدرِ!
توليتما والسنُّ بعدُ صغيرةٌ ... ولم تلبث الأيامُ أن صغّرت قدري
توليتما حين انتهت بكما العُلى ... إلى غايةٍ، كلٌّ إلى غايةٍ يجري
فلو عدتما لاخترتما العود في الثرى ... إذا أنتما أبصرتماني في الأسرِ
يعيد على سمعي الحديدُ نشيدَه ... ثقيلاً، فتبكي العين بالجسِ والنّقرِ
معي الأخوات الهالكات عليكما ... وأمكما الثّكلى المضرّمة الصّدرِ
تذللها الذّكرى فتفزع للبُكَا ... وتصبر -في الأحيان- شُحّاً على الأجرِ
فتبكي بدمع ليس للقطر مثله، ... وتزجرها التقوى فتصغي إلى الزّجرِ
أبا خالد أورثتني البثّ خالداً ... أبا النصر مذ وُدّعتَ ودّعني نصري!
وقبلكما ما أودع القلبَ حسرةٌ ... تُجدّد طول الدّهر ثكلُ أبي عمرو

قال المعتمد بعدما خلع وسجن:[2]

قُبِّحَ الدّهرُ فماذا صنعا؟ ... كلّما أعطى نفيساً نزعا
قد هوى ظُلْماً بمن عاداته ... أن ينادي كلّ من يهوى (لعا)!
من إذا قيل الخنا، صَمَّ، وإن ... نطق العافون همساً سمِعا
من إذا الغيث همى منهمرا، ... أخجلته كفه فانقطعا!
مَن غمامُ الجود من راحته ... عصفت ريحٌ به فانقشعا
قل لمن يطمع في نائله: ... قد أزال اليأسُ ذاك الطّمعا!
راح لا يملك إلا دعوةً ... جبر الله العُفاةَ الضُيَّعا!

١- ديوان المعتمد، ص١٦٢-١٦٤
٢- ديوان المعتمد، ص١٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال:[١]

أنباءُ أسرك قد طبّقْنَ آفاقا ... بل قد عمّمن جهات الأرض إقلاقا!
سارت من الغرب لا تُطوى لها قدمٌ ... حتى أتت شرقها تنعاك إشراقا
فأحرق الفجعُ أكباداً وأفئدةً ... وأغرق الدّمع آماقاً وأحداقا
قد ضاق صدرُ المعالي إذ نُعيتَ لها ... وقيل: إنّ عليك القيد قد ضاقا
أنّى غُلبتَ وكنتَ الدّهرَ ذا غلبٍ ... للغالبين وللسباق سباقا؟
قلتُ الخطوبُ أذلّتْني طوارقُها، ... وكان عزمي للأعداء طراقا
متى رأيت صروفُ الدّهر تاركةً ... إذا انبرت لذوي الأخطار أرماقا؟!

وقال:[٢]

بكيتُ إلى سرب القطا إذ مررن بي ... سوارحَ لا سجنٌ يعوق ولا كبلُ
ولم تكُ، واللهُ المعيذ، حسادةً ... ولكن حنينا: إن شكلي لها شكلُ!
فاسْرَحْ، فلا شملي صديعٌ ولا الحشا ... جميع، ولا عيناي يُبكيهما ثكلُ
هنيئاً لها أن لم يفرّق جميعها ... ولا ذاق منها البُعدَ عن أهلها أهلُ!
وأن لم تبت -مثلي- تطير قلوبها ... إذا اهتز بابُ السجن أو صلصل القفلُ
وما ذاك مما يعتريني وإنّما ... وصفتُ الذي في جبلة الخلق من قبلُ
لنفسي إلى لقيا الحِمام تشوفٌ ... سواي يحبُّ العيش في ساقه كبلُ
ألا عصمَ الله القطا في فراخها، ... فإن فراخي خانها الماءُ والظلُّ

وقال:[٣]

لك الحمد من بعد السيوف كُبولُ ... بساقيَّ منها في السجون حُجولُ،
وكنّا إذا حانت لحرب فريضةٌ ... ونادت بأوقات الصّلاة طبولُ،
شهدنا فكبّرنا فظلّتْ سيوفنا ... تُصلّي بهامات العدا فتطيلُ
سجودٌ على إثر الرُّكوعِ متابعٌ ... هناك بأرواح الكماة تسيلُ

وقال:[٤]

قيدي! أما تعلمني مسلما؟ ... أبيتَ أن تُشفق أو ترحما!
دمي شرابٌ لك واللحم قد ... أكلتَهُ، لا تهشم الأعظما!
يبصرني فيك أبو هاشم، ... فينثني والقلب قد هشّما!
ارحم طُفيْلاً طائشاً لبُّهُ، ... لم يخش أن يأتيك مسترحما
وارحم أخياتٍ له مثله ... جرّعْتَهن السّمّ والعلقما!

١- ديوان المعتمد، ص١٨٠.
٢- ديوان المعتمد، ص١٨٧-١٨٨.
٣- ديوان المعتمد، ص١٧٩-١٨٠.
٤- ديوان المعتمد، ص١٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهنّ من يفهم شيئاً فقد ... خفنا عليه للبكاء العمى
والغير لا يفهم شيئاً فما ... يفتح إلا للرّضاع فما

وقال رداً على قصيدة لأبي بكر الداني:[١]

كلامك حرٌ والكلام غُلام، ... وسحر ولكن ليس فيه حرامُ!
ودرٌ ولكن بين جنبيك بحره، ... وزهرٌ ولكن الفؤاد كِمامُ
وبعدُ، فإن ودّعتني بخداعةٍ ... فحقي أن يجني عليه السلامُ
أعني على نفسي بتزويد أسهلي، ... بلى وقولٌ له شيء عليٌ حرامُ
فدونكه إذ لم أجد لي حيلةً، ... وقلبي فاعلم في الطعام طعامُ
فهنئتهُ زاداً وفي الصدر رقدةٌ، ... وللصبر من دون الفؤاد غرامُ
لقد كان فأل من سمائك مؤنس، ... فقد عاد ضدّاً والعراءُ رمامُ
تحلّيتَ بالداني وأنت مُباعد، ... فيا طيب بَدء لو تلاهُ تمامُ!
ويا عجباً حتى السِّماتُ تخونني، ... وحتى انتباهي للصّديق منامُ
أضاءَ لنا أغمات قُربك بُرهةً، ... وعاد بها حين ارتحلت ظلامُ
تسير إلى أرض بها كنت مضغة، ... وفيها اكتست باللحم منك عظامُ
وأبقى أسام الذّلّ في أرض غربةٍ، ... وما كنتُ لولا الغدرُ ذاك أسامُ
فبلّغتُها في ظلّ أمن وغبطةٍ ... وسُنّي لي مما يعوقُ سلامُ!

وقال يخاطب الكبل:[٢]

تعطّفَ في ساقي تعطف أرقم، ... يساورها عضّا بأنياب ضيغمِ
إليك، فلو كانت قيودك أسعرت ... تضرّم منها كلّ كف ومِعصَمِ
مخافة من كان الرجال بِسَبْيِهِ ... ومن سيفُهُ في جنةٍ أو جهنمِ!

وقال:[٣]

اقنع بحظكَ في دنياك ما كانا! ... وعزّ نفسكَ إن فارقتَ أوطانا!
في الله من كلّ مفقود مضى عِوَضٌ، ... فأشعِرْ القلبَ سلوانا وإيمانا!
أكلما سنحت ذكرى طربتَ لها ... مجّت دموعك في خديكَ طوفانا؟!
أما سمعت بسلطانٍ شبيهك قد ... بزّته سود خطوب الدّهر سلطانا؟
وطّنْ على الكُره وارقب إثره فرجا! ... واستغفر الله تغنم منه غُفرانا!

١- ديوان المعتمد، ص١٧٧
٢- ديوان المعتمد، ص١٨٢
٣- ديوان المعتمد، ص١٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال أيضاً في رثاء ابنيه المأمون والراضي :[١]

يا غيمُ عينيَ أقوى منك تهتانا ... أبكي لحزني وما حُمّلتَ أحزانا
ونار برقك تخبو إثر وَقدتِها، ... ونارُ قلبي تبقى الدّهر بُركانا
نارٌ وماءٌ صميمُ القلب أصلُهما، ... متى حوى القلب نيرانا وطوفانا؟
ضدّان ألّف صَرفُ الدّهر بينهما، ... لقد تلون فيَّ الدّهر ألوانا
بكيت فتحا فإذ رمتُ سلوته ... ثوى يزيدُ فزاد القلب نيرانا
يا فلذتَيّ كبدي! يأبى تقطّعها ... من وَجدها بكُما ما عشتُ سُلوانا!
لقد هوى بكما نجمان ما رميا ... إلا من العُلو بالألحاظِ كيوانا
مخففٌ عن فؤادي أن ثكلتما ... مثقلٌ لي يوم الحشرِ ميزانا
يا فتح قد فتحت تلك الشهادة لي ... باب الطماعة في لقياكَ جذلانا!
ويا يزيد لقد زاد الرّجا بكما ... أن يشفع الله بالإحسان إحسانا!
لما شفعتَ أخاك الفتح تتبعُهُ ... لقاكما الله غفرانا ورضوانا
منّي السلام ومن أمّ مفجعّة ... عليكما، أبداً مثنى ووحدانا
أبكي وتبكي ونُبكي غيرَنا أسفا ... لدى التذكر، نسوانا وولدانا

وقال : [٢]

قالت: لقد هُنّا هُنا ... مولاي أين جاهُنا؟
قلت لها: إلى هنا، ... صيّرنا إلهنا!

وقال : [٣]

سلّت عليَّ يدُ الخطوب سيوفَها، ... فجذَذْنَ من جلدي الخطيف الأمتنا
ضربت بها أيدي الخطوب وإنما ... ضربت رقاب الآملين بها المنى!
يا آملي العادات من نفحاتنا ... كفّوا فنّ الدّهر كفّ أكفنا!

وقال : [٤]

غنتكَ أغماتية الألحان، ... ثقلت على الأرواح والأبدانِ
قد كان كالثعبان رمحك في الوغى ... فغدا عليك القيدُ كالثعبان
متعدّداً بحسيك كل تعدد، ... متعطفاً لا رحمة للعاني
قلبي إلى الرّحمان يشكو بثّه، ... ما خاب من يشكو إلى الرّحمان!
يا سائلاً عن شأنه ومكانه، ... ما كان أغنى شأنه عن شاني!
هاتيك قَينتُه وذلك قصره، ... من بعد أيّ مقاصر وقيان!

١- ديوان المعتمد ، ص١٦٦-١٦٧
٢- ديوان المعتمد ، ص١٩١
٣- ديوان المعتمد ، ص١٩١-١٩٢
٤- ديوان المعتمد ، ص١٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من بعد كل عزيزة رومية ... تحكي الحمائم في ذرى الأغصانِ

وقال : [١]

تؤمِّل للنّفس الشجيّة فرحةً ... وتأبى الخطوب السودُ إلا تماديا

لياليكَ في زاهيك أصفى صحبَتَها، ... كما صحبتْ قبلي الملوك اللّياليا

نعيمٌ وبؤسٌ ذا لذلك ناسخٌ ... وبعدهما نسخُ المنايا الأمانيا

* * * * *

١- ديوان المعتمد ، ص١٨٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٣- الوادي اشي، أبو الحسن بن نزار:

قال:[١]

لقد بلغ الشوق فوق الذي ... حسبتُ فهل للتلاقي سبيلْ
فلو أنني متُّ من شوقكمُ ... غراماً لما كان إلا قليل
تعلِّلُني بالتداني المُنى ... وينشدني الدهرُ: صبرٌ جميل
فقل لبثينة إن أصبحتْ ... بعيداً فلم يَسْلُ عنها جميل
أغض جفونيَ عن غيرها ... وسمعي عن اللوم فيها يميل

ولم يزل على حاله من السجن إلى أن تحيَّل في جارية محسنة للغناء، وصنع موشحته التي أولها:[٢]

نازعَكِ البدرُ الليَّاحْ ... بنتَ الدِّنانِ
فلم يدعْ لك اقترحْ ... على الزمانِ

وفيها يقول:

يا هل أقولُ للحسودْ ... والعيسُ تُحْدَى
يا لا تُمي على السَّراحْ ... كانت أماني
أخرجها ذاك السَّماحْ ... إلى العِيانِ

وأوصاها أن تغنيها لابن مردنيش، وتطلب سراح قائلها ففعلت وأطلقه.

* * * *

٤٤- الوادي آشي، أبو محمد، عبد الله بن عذرة:

كتب إلى بعض أصحابه من الأسر:[٣]

لو كنت حيث تجيبني ... لأذاب قلبك ما أقولْ
يكفيك مني أنني ... لا أستقلُّ من الكُبول
وإذ أردتُ رسالة ... لكمُ فمما ألقى رسول
هذا وكم بتنا وفي ... أيماننا كاس الشَّمول
والعود يخفق والدخان ... العنبري به يجول
حال الزمان ولم أزل ... مذ كنت أعهده يحول

١- النفح ، ، ج٣ ص٤٩٣ .
٢- النفح ، ج٣ ص٤٩٣ .
٣- المغرب ، ج٢ ص١٤٨ ، والنفح ، ج٣ ص٥٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٥- اليابُري، أبو بكر، عيسى بن الوكيل

قال يمدح علي بن القاسم قاضي سَلا:[١]

سلِ البرقَ إذ يلتاح من جانب البلقا ... أقُرطَيْ سُليمى أم فؤادي حكى خفقا
ولمْ أسلبت تلك الغمامة دمعها ... أريعت لِوَشك البَيْنَ أم ذاقت العشقا؟!
وللريح هل جاءت بَعْرفِ أحبَّتي ... وإلا فلمْ فاحَ النسيمُ ولمْ رقا؟
غريبٌ أرض الغرب فرَّق قلبهُ ... فآوت سلا فرقاً ويابُرَةَ فرقا
إذا ما بكى أو ناح لم يُلفِ مُسْعِداً ... على شجوِهِ إلا الغمائمُ والوُرْقا

ومنها في المدح:-

حياءٌ يغضُّ الطَّرْف إلا عن العلى ... وعِرْض كماء المُزْن في الحَزْن بل أنقا
وفضلٌ نميرُ الماء قد خضَّرَ الرُّبا ... وعَدْلٌ منيرُ النجم قد نوَّرَ الأُفقا
بلغْنا بنعماك الأمانيَّ كلها ... فما بقيت أمنيَّةٌ غير أن تبقى
ولمَّا دهاني حملُ ما لا أُطيقه ... من النَّوب، استمسكتُ بالعروة الوثقى

* * * * *

١- إعتاب الكتاب، ص ٢٢٤، والأبيات الثلاثة الأولى والبيت الأخير في المغرب، ج٢ ص ٢٣٥-٢٣٦، والأبيات جميعها ما عدا الثالث والأخير في صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- فهرس الأعلام (من غير الشعراء السجناء)

ابراهيم بن يوسف بن تاشفين ١٥

أبو بكر الصديق ١٠٥

أحمد بن جبير (والد الرحّالة) ٩

أحمد بن عباس (وزير زهير العامري) ١١

أحمد المريني (أبو العباس) ١٨

أحمد بن هاشم ٩

اعتماد الرميكية ١٢٥

باديس (أمير غرناطة) ١١

جعفر بن علي الأندلسي ٨ ، ١١

الجلّيقي، ابن مروان ٢٠ ، ١١٣

ابن جهور، أبو الحزم جهور بن محمد ١٧، ٤٦ ، ٩٣ ، ١٠٢، ١٠٣ ، ١١٦ .

ابن جهور (محمد بن جهور) ٢٠ ، ٢١ ، ٣٩

حريز بن حكم بن عكّاشة ٩

أبو الحسن بن السيد البطليوسي ٩

خيران العامري ١٧

ابن خيرون (عبد الله بن سعيد) ٢٨

الداخل (عبد الرحمن بن معاوية) ١٦

الداني أبو بكر بن اللبانة ١٢

الراضي بن المعتمد ٤٤ ، ٦٧ ، ١١٠

ابن رشد القرطبي ١٤

الرشيد بن المعتمد ٤٤، ٦٢، ١٠٠

ابن زمرك ، عبد الله ١٨

ابن زهر، أبو العلاء بن عبد الملك ٨٣، ٩٥

سانشو (شنجول) عبد الرحمن بن المنصور ٣٣

سعيد بن يحيى ٢٨

الصُمَيْل بن حاتم ١٦

عاج (جارية هاشم بن عبد العزيز) ٦٠،٦٥، ٩٢

عبد الرحمن (الثاني) بن الحكم ٥ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٢ ، ١٠٣.

عبد الرحمن بن مطرف ١٦

عبد العزيز بن أبي الحسن (سلطان المغرب) ١٨

عبد الله بن أحمد المكويّ ١٨

عبد الله بن المنصور ١٦

عبد المؤمن بن علي الموحدي ٢١، ٢٧، ٤٠، ١٢٤.

علي بن أبي طالب ٤

علي بن القاسم (قاضي سلا) ٤٣ ، ٥٤

عمر بن حفصون ٢٤

عمر بن الخطاب ٤

غالب (صهر المنصور) ٢٢

فتح (مولى الناصر) ٩

القطاع (عيسى بن سعيد) ١٩

المأمون بن ذي النون ٢١، ٨٢

المأمون (القاسم بن حمود) ٩ ، ٢٦

المأمون بن المعتمد ٤٥، ٦٧، ١١٠، ١٢١

المؤيد (هشام بن الحكم) ١٢، ١٤، ١٥، ٢٧، ٣٢، ٣٣، ٣٧، ١٢٦ .

محمد صلى الله عليه وسلم ١٠٥

محمد (فصّاد المنصور) ٩

محمد بن أحمد الغافقي ٤

محمد بن أحمد بن مخلد ٢٨

محمدبن زرب (القاضي) ٩

محمد بن سعيد ٨

محمد بن عبد الرحمن الثاني (الأمير) ٢٦

محمد بن هشام بن عبد الجبار ٣٣

المرتضى (عبد الرحمن الرابع بن محمد) ١٧

ابن مردنيش ١٩

المستظهر (عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار) ٢٧

المستعين (سليمان بن الحكم) ٢٨

المستكفي (محمد بن عبد الرحمن) ١٧ ، ٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المستنصر (الحكم بن عبد الرحمن الناصر) ٩، ١٤،
٢٠، ٢٧، ٣٧ .
مسيلمة الكذاب ١٠٥
المظفر (عبد الملك بن المنصور) ١٩، ٣٢، ٤٣ .
المعتلي (يحيى بن حمود) ٩ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٤٢
معن بن عبد العزيز، أبو الأحوص ١٠
المنذر بن محمد (الأمير) ٢١
المنصور بن عبد المؤمن الموحدي ١٤
المنصور (محمد بن أبي عامر) ١١ ، ١٥ ، ٢٢، ٢٣،
٢٧، ٣١، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٣، ٥١، ٧٦، ١٠١، ١٠٨ .
ميسور الكاتب ٩
الناصر (عبد الرحمن الثالث) ٦، ٩، ٢٢
ابن وافد (يحيى بن عبد الرحمن اليحصبي) ٢٧،
٢٨
ولّادة بنت المستكفي ١٨ ، ١٠٣
يحيى بن عبد الواحد الحفصي، أبو زكريا (سلطان
تونس) ٤٠، ٩٦، ٩٨، ١٠٢
يحيى بن علي الأندلسي ٨ ، ١١
يوسف بن تاشفين ٢٤ ، ٥٠، ١٠٠
يوسف بن عبد الرحمن الفِـهْريَ ١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- فهرس الأماكن والمدن

أبَّذَة ٢٥
أبرَة ٢٥، ١٠٣
إشبيلية ٢٣ ، ٢٦، ٢٧
أغمات ٥٨، ١١٢
إلبيرة ١٠٣
ألمريَّة ١٧،، ٥،، ١٠٠
باب الجنان ٨
ببشتر ٢٥
بجاية ٤٠، ٤٣، ٩٦
بسطة ٤٩
بطليوس ٢٠
بلَنْسية ٩ ، ١٧، ٢٨، ٤٤
بيت العمال ٨
تُدْمير= مُرْسية ٢٣ ، ٤٣
حصن القصر ١٧
حصن مُطَرْنيش ٩
الحمراء ٨
الدَّويرة ٨ ، ١١
رُنْدَة ١١٠
الزاهرة ٨، ٣٢
الزهراء٨ ، ٩، ١١، ٢٥ ، ٣٨ ، ٦٩
سَرَقُسْطَة ٢٧
سَلا ٤٣، ٥٤
شاطِبة ١٥
شقورة ٢٣
شلوبانية ١٧
طُرْطُوشة ٩ ،٥٩
طُلَيطِلَة ١٦، ٢٤، ٢٧، ٢٨، ٦٢ ، ٩٧
غرناطة ١١، ١٦، ١٧، ١٨ . ٢٦ . ٥٢ . ١٠٣
قرطبة٦، ٧، ٨، ١٠، ١١، ٢٠، ٢٣، ٢٦، ٢٨، ٣٣، ٤٢، ٦٣، ١١٠
قلعة رباح ٩
قيجاطة ٢٥
ماردة ١٦
مالقة ٩
مراكش ٢٤ ،٢٧، ٤٣، ٥٤
مُرسية = تُدْمير ٢٣، ٤٣
وادي آشْ ١٩
وَبْذي ٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

The experience of the imprisonment in the Andalusian Poetry.

By :Rasha Al Khatib

Supervised by :

Dr . Hani Al - Amad

This study discusses the imprisonment experience in the Andalusian poetry. The subject is of a great importance in the Andalusian literature, Its significance stems from the fact that the imprisonment experience which many Andalusian poets had suffered, enriched, in return, the poetry with many great poems and stanzas throughout Andalusian collection of poems .

In Addition to that , the imprisonment experience is a sentimental experience which has a profound effect on the poet's personality and feelings .

The scholar tries to observe the echo of the imprisonment experience at the Andalusian poets who suffered it. Their poetry , which was written inside the prison, has a significant role in revealing Some parts of the prison, theme in general and its great effect on the poets' relationships with people, nature, and universe.

Accordingly, the study is divided into three chapters as follows:

Chapter One : Prisons in Al-Andalus

This chapter is a general introduction about the circumstances of Andalusion prisons such as the prison's descipline , its administration and locations.

At Omayad rule various prisons are spread all over AL-andalus to establish their regime there . Those prisons are organized and supervised by police represented by the chief of policemen, assistants, and guards.

Also, this chapter talks about the social positions of the prisoners for the type of prison differs according to the prestige of the prisoners . some of the prisons were specified for poets of high rank, so these prisons were

٤٧٩١٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

provided by comfortable facilities and good treatment. On the other hand , poor people where held in public prisons which were in bad condition and ill-treatment.

Further more, the chapter discusses the reasons of the imprisonment especially those of Andalusian poets. These reasons were varying :

Crimes, atheism, political conspiracies, and financial cases. It also, indicates the governors and the periods in which most of imprisonment cases took place in Al-andalus.

Chapter two : Themes of Prisons' poems

A lot of Andalusian poets wrote a great deal of poems as a result of the gravity of the imprisonment experience. All of these poems were about one theme : tragedy of imprisonment which they suffered. this major theme is divided into minor ones which are: supplication, reproach, prison and chains description, nostalgia and longing for their homes and families, warning and threats for rejoicers, inter changeable hope and despair, and The insight and wisdom they extract from their bitter experience.

Chapter three : Poets' styles in the description of imprisonment experience.

This chapter is about the construction of the poem in regard of the frame and the substance . The poems are varied. Some of the poems are long while others are short . The poets started their poems by wooing the beloved according to literary tradition. they used an eloquent style to express their feelings.

Also, this chapter discusses the issue of heritage inspiration and artistic integrity . It also talks about the unartificiality in the poems and the sad emotion which encircled the whole poetry .Morever, the poetic pictures and the literary imagination that the poets use to serve the meaning and to illustrate the feelings.

The last topic in this chapter is the bird symbol which was mentioned frequently by some of poets in addition to the analysis of the symbolic connotation of the word "bird" in the context of the poems.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit